وزارة التعليم العالي والبحث العلمي
جامعة الجزائر
كلية العلوم الإنسانية والاجتماعية
قسم التاريخ

الروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية

المعتقدات الدينية- الآداب- الفنون

من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول للميلاد

مذكرة لنيل شهادة الماجستير في التاريخ القديم

إعداد الطالبة
فاطمة الزهراء عزوز

إشراف الدكتور
بلقاسم رحماني

السنة الجامعية: 2005-2006م

الموضوع الصفحة

الفصل الأول: الإطار الجغرافي والتاريخي لأرض كنعان.

الفصل الثاني: تأثير المعتقدات الفينيقية في الديانة العبرانية.

الفصل الثالث: مظاهر الفكر الأدبي الفينيقي العبراني

اكتفى الباحثون بالإشارة إلى المواضيع الحضارية، والفكرية في عناصر فرعية من دراساتهم التاريخية التي اهتموا في خلالها بالأحداث السياسية، والعسكرية، وما يتعلّق بها من مسببات اقتصادية واستراتيجية؛ ولمّا كانت الدراسات الفكرية، ولاسيما المشرقية منها، تهمنا فقد آثرنا الالتفات إليها، بحكم تخصصنا في التاريخ القديم.

هذا، وكان لنا في الآية المائة وخمس وعشرين (125) من **سورة الصافات** ما أثار فضولنا المعرفي للتقصي عن حقائق تاريخية، أشارت إليها هذه الآية الكريمة؛ إذ يقول الله عز وجلّ، بعد بسم الله الرحمن الرحيم: **" أتدعونَ بعلاً وتذَرونَ أحسن الْخالِقين "،** لقد استوقفتنا هذه الآية التي وجه من خلالها الخطاب الرباني لبني إسرائيل، وهم العبرانيون، وذكر فيها عبادتهم للبعل، وهو إله فينيقي، فتساءلنا عن ماهية العلاقات الدينية بين العبرانيين وعبدة البعل، أي الفينيقيين، ورحنا نبحث في الأمر من خلال قراءات أولية، كشفت لنا بأنّ العلاقات التي جمعت بين هذين الطّرفين، لم تكن علاقات دينية فحسب، إنما شملت جوانب حضارية أخرى، من بينها الآداب، والفنون؛ فارتأينا أنه من المناسب أن تشكّل هذه الجوانب محاور متكاملة لموضوع رئيسي، وهو موضوع الفكر، فكان من ذلك أن أدرجنا كلا من المعتقدات الدينية، والآداب، والفنون، ضمن دراستنا للعلاقات الفكرية بين الفينيقيين والعبرانيين.

أما بالنسبة للإطار الزماني، فقد غطّى موضوعنا فترة زمانية تمتد من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول للميلاد، وهي فترة مرتبطة باستقرار العبرانيين في بلاد كنعان، ثمّ النفي الروماني الذي أنهى وجودهم الرسمي ككيان حضاري في تلك البلاد، وذلك في سنة سبعين للميلاد؛ وإن بدت هذه الفترة طويلة للوهلة الأولى، فإننا نعلل ذلك بطبيعة الموضوع، وهو كما أشرنا دراسة فكرية، لا تعتمد على أحداث متعاقبة، وإنما هي نتاج حضاري يتطور تدريجيا ولا يحدث دفعة واحدة، وهو ما يمكن تسميته، بالتراكم الحضاري.

وبعد أن تشكّلت لدينا صورة عامة عن الموضوع، رحنا نصوغه بناءً على المعطيات التي بحوزتنا، وهي موضوع العلاقات الفينيقية- العبرانية، على مستوى الفكر الحضاري الذي شمل مجالات المعتقدات الدينية، والأدبية، والفنية، في مدة زمنية معلومة، فكان عنوانه :" **الروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية، المعتقدات الدينية- الآداب- الفنون، من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول للميلاد" .**

ولم نبتغ من هذه الدراسة معرفة حقائق تاريخية فقط، بل كانت المعلومات التي جمعناها، وسيلة أردنا منها الكشف عن التأثيرات الفكرية المتمخضة عن احتكاك الشعبين الفينيقي والعبراني، وعن مداها، كما كانت معرفة دوافع التأثيرات، والنتائج التي أسفرت عنها من جملة الاهتمامات التي سعينا إلى معرفتها؛ وقد حملنا هذا على طرح الإشكالية التي ـدف إلى معالجتها في هذه الدراسة، والتي صغناها على النحو الآتي: **ما هي حقيقة العلاقات الفكرية** بين **الفينيقيين والعبرانيين؟ وإلى أي مدى بلغت التأثيرات الفكرية بينهما؟ وأي الشعبين كان ذا تأثير** في **الآخر؟.**

وللإجابة عن هذه الإشكالية، اعتمدنا منهجاً تاريخيا تركيبيا مبنيا على المقارنة والتحليل، ومستعيناً بمناهج العلوم الأخرى، وفي مقدمتها علم الآثار، الذي يعد رافداً من أهم روافد علم التاريخ، إلى جانب العلوم الجغرافية، والدينية، واللغوية، والفنية.

أما فيما يخص تقسيمنا للبحث، فقد اعتمدنا في بداية الأمر تقسيم الفصول حسب التسلسل الزمني، والمحطّات التاريخية التي مرت ـا بلاد كنعان، بيد أننا وجدنا في ذلك إجحافا في حق بعض الفصول، وإسهاباً في فصول أخرى من حيث فيض المعلومات التي تتوفّر في فترة زمنية، دون الأخرى بسبب سكوت المصادر التاريخية، أو عجز الأبحاث الأثرية عن إظهارها.

من أجل ذلك سلكنا مسلكاً آخر في تقسيمنا لفصول البحث، وهو تخصيصها للمحاور المعتمدة فيه، وهذا ما جعلنا نقسمه إلى أربعة فصول مسبوقة بفصل تمهيدي، ومتبوعة بخاتمة.

وسنعرض بإيجاز محتويات فصولنا فيما يأتي:

1) **الفصل التمهيدي:** كانت دراسة المصادر والمراجع المعتمدة في البحث على قدر من الأهمّية التي أفادتنا في البحث، فارتأينا أنّ من الضروري تخصيص فصل لها ، يكون مدخلاً إلى دراسة موضوع الروابط الفكرية، وقد عالجنا من خلاله إشكالية المصادر والمراجع، ثمّ تطرقنا إلى تصنيف الكتابات التي اعتمدناها إلى مصادر ومراجع، حيث تعرضنا بشيئ من التفصيل إلى المصادر الأثرية، التي ظهرت في نصوص رأس الشمرا، ثمّ إلى المصادر الأدبية التي تقدمتها أسفار العهد القديم؛ كما عرفنا أهم المراجع وحاولنا إبراز الإشكالات المتعلّقة ا، ثمّ ختمنا الفصل بخلاصة أردنا منها تقويم الكتابات المعتمدة، وإبراز أهمية الدراسات الأثرية في معالجة القضايا التاريخية.

2) **الفصل الأول:** حاولنا في هذا الفصل وضع دراستنا في إطاريها الزماني والمكاني، من خلال التعرض إلى جغرافية أرض كنعان، وضبط المفاهيم الجغرافية المتعلّقة ا، مع التعريف بأهم المدن الواقعة فيها، والسكان الذين استوطنوها وركّزنا على العنصرين الفينيقي والعبراني، وبعد ذلك تحدثنا عن أهم المحطّات التاريخية التي شهدتا المنطقة، ووقعها على الشعبين. ثمّ استخلصنا من هذا الفصل الأثر الجغرافي، والتاريخي في الربط بين الفينيقيين والعبرانيين.

3) **الفصل الثاني:** خصصنا هذا الفصل لدراسة المعتقدات الفينيقية (الوثنية)، وتأثيرها في الديانة العبرانية (التوحيدية)، وقد أجرينا مقارنة بين المعتقدين، بإعطاء نماذج عن كليهما، بدءاً بفكرة الإله، ثمّ الأساطير الفينيقية، وعلاقتها بالفكر العبراني، وصولاً إلى التأثير في تطبيق وممارسة الطّقوس العبرانية على النمط الفينيقي.

4) **الفصل الثالث:** كان اهتمامنا في هذا الفصل منصبا على أهم مظاهر الفكر الأدبي الذي جمع بين الفينيقيين والعبرانيين، حيث تطرقنا من خلاله إلى ذكر المقومات اللغوية لكليهما،

والتي تجسدت في العلاقة اللغوية بينهما، وهي انحدارهما من أصل واحد، هو اللغة السامية؛ ثمّ أدرجنا عنصرا خاصاً بالأبجدية الفينيقية، لما به من أهمّية، تلاه ذكر للكتابة العبرانية المقتبسة من الأبجدية الفينيقية، مثلما هوالحال بالنسبة إلى معظم الخطوط التي انتهلت منها؛ وكانت المخلّفات الأدبية من ضمن ما عالجناه في هذا الفصل، عن طريق المقارنة بين أهم نتاج أدبي فينيقي، وهو ما تمّ اكتشافه في المكتبة الأوغاريتية، وأهم المخلّفات الأدبية العبرانية المتمثّلة في نصوص العهد القديم، وأسفاره، مستشهدين بأمثلة من الأشعار والقصص الواردة فيهما. وكانت خلاصتنا في هذا الفصل تأكيد اعتماد العبرانيين في آدا م، على الآداب الفينيقية.

5) **الفصل الرابع:** تناولنا في الفصل الرابع دراسة الصلات الفنية بين الفينيقيين والعبرانيين، حيث كان العنصر الأول حديثاً عن الفن المعماري الفينيقي بشقّيه المدني والديني، وأثرهما في الفن المعماري العبراني، وكانت نماذجنا في هذا العنصر هي قصر النبي سليمان، ومعبد أورشليم العبراني اللّذين أشرف على إنجازهما فنانون معماريون وخبراء فينيقيون. وفي العنصر الموالي ضربنا أمثلة عن فنون النحت والتصوير الفينيقية، وعلاقة العبرانيين ا. أما في العنصر الأخير، فقد كان الحديث عن فنون الموسيقى والغناء الفينيقية، التي كانت خاضعة لنظام خاص غرضه تأدية الطّقوس الدينية؛ وهو النظام الذي انتهجه العبرانيون في فنو م الموسيقية، والغنائية. وقد سمحت لنا دراسة هذا الفصل بالربط بين الفنون الفينيقية والعبرانية، بل والقول بأنّ العبرانيين قد اعتمدوا في فنو م على الفينيقيين اعتماداً مطلقاً، وكانت هذه خلاصتنا في الفصل.

6) **الخاتمة:** توصلنا في اية بحثنا إلى جملة من الاستنتاجات التي شملت فصوله، وقادتنا إلى الإجابة عن الإشكالية التي طرحناها في البداية، مع التأكيد على توسيع آفاق البحث في هذا الموضوع.

ولن نتحدث هنا عن المصادر والمراجع التي اعتمدناها في بحثنا، فقد خصصنا لها، كما أشرنا، فصلاً مستقلا لأهمّيتها، كما لن نشير إلى الصعوبات التي اعترضتنا خلال إنجاز هذا العمل، لأنها أصبحت مألوفة، ولا مبالغة إن قلنا أنّ في تلك الصعوبات متعة البحث، لأننا في كلّ مرة واجهنا مشكلة، منحنا دفعاً جديدا وعزما على مواجهتها.

ولن نفوت فرصة ذكر أهم وأخطر مشكلة اعترضتنا في هذا البحث، وهي جهلنا باللغات القديمة، ولا سيما المشرقية منها، التي تناسب تخصصنا، ونريد ـذا الإشارة إلى اللغات السامية، أو على الأقلّ أحد فروعها، مثل اللغة الآرامية، ونحن إذ نشير إلى هذه الصعوبة، فذلك لأننا فعلاً شعرنا بالإحراج تجاه موضوع دراستنا الذي يتصل أحد فصوله مباشرة باللغات الكنعانية، والعبرانية، ولم نتمكّن من استخدام مصدر واحد على الأقلّ ـذه اللغات.

وفي النهاية نأمل أن يكون عملنا هذا إسهاماً في خدمة البحث العلمي، على الرغم من بساطته، وأن يكون إثراءً لمن يرغب في دراسة هذه المواضيع، أو على الأقل دافعاً للبحث والدراسة، لمن أراد ذلك.

والله وليّ التوفيق

تتضمن قراءة المصادر والمراجع المتعلّقة ـذا البحث، تصنيفاً لأهم الكتابات المعتمدة، من حيث الأهمية التاريخية والعلمية، لما في هذين العنصرين من قيمة نجدها في وفرة المعلومات التي تخص الفترة المدروسة، وفي ضبط المفاهيم وكشف الغموض الذي قد يكتنف بعض الدراسات؛ ولا بد من الإشارة إلى أنّ تخصيص دراسة للكتابات المعتمدة في هذا البحث ليس تقديماً لها في إطار منفصل عن الموضوع الأساسي، وهو **الروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية،** بل هو جزء متصل كلّ الاتصال بصميم الموضوع، ذلك أنّ الدراسات التي تناولناها، وإن قلّت عدداً، متنوعة بتنوع التيارات الفكرية التي انتهجها الدارسون، والانتماءات العرقية والدينية والحضارية، وهذا ما أدركناه خلال معالجتنا للموضوع، مما جعلنا نميز بين أصناف الكتابات، وندرك التوجهات والتناقضات الواردة فيها، بناءً على معطيات وجدناها في التعريف بأهم مصادر البحث ومراجعه، من خلال الاطّلاع على النصوص المتناولة وتحليلها، للخروج ـدف نتوخاه، وهو تدعيم دراستنا.

أولاً: إشكالية المصادر والمراجع.

لن نطيل الحديث في هذا العنصر عن قلّة المصادر وندرتا، وصعوبة الحصول عليها، فقد بات الأمر بديهياً، بل خطوة قد يتعرض إليها الباحث، وبالإمكان تلافيها، طالما توفّرت لدينا نسبة منها. لكننا سنتحدث عن الدراسات التي اعتمدناها في بحثنا، مصادر كانت أو مراجع، وهي، كما أشرنا، دراسات متنوعة على الرغم من قلّتها، وإن كان في ذلك التنوع ميزة إيجابية، لغزارة المعلومات التي يسفر عنها، فهو في الوقت ذاته يغذّي إشكالية على قدر من الخطورة، والسبب في ذلك هو الاختلاف في التوجهات الفكرية والحضارية التي انتهجها كتبة تلك الدراسات، بل والاختلاف كذلك في الأزمنة التي عاشوها، والتي لها دور في التأثير في أفكار أصحاب النصوص؛ وقد أحدث هذا الأمر تناقضات جمة، مست الجانب المعرفي، إذ كثيراً ما استوقفتنا تلك التناقضات أثناء معالجتنا

الموضوع، فحاولنا قدر المستطاع إثبات اليقين، وما كان ذلك ليحدث دون الرجوع إلى تلك الكتابات وإعادة قراءتا من زاوية أخرى، نعني التطرق إلى الظروف التي واكبت تدوينها، والغرض من التدوين، أي الكشف عن العلاقة الزمانية والعلاقة المكانية التي ربطت الكاتب بالحدث.

ثانياً: تصنيف الكتابات وتحليلها

جرت العادة أن تصنف الكتابات التاريخية إلى مصادرومراجع، كمرحلة أولى، تليها مرحلة ثانية تتمثّل في تصنيف المصادر بدورها إلى مصادر مادية، أي أثرية، ومصادر أدبية، أي كتابية، ولكلّ خطوات متبعة؛ ولن نحيد عن هذه الطّريقة في تصنيفنا لمصادر البحث ومراجعه، وسنحاول بذلك تحليل معطياتنا التاريخية، بناء على ما يلي:

1- المصادر المادية (الأثرية):

يعتمد في المصادر الأثرية على الدراسات الميدانية القائمة على علم الآثار، ومعاينة المكتشفات الأثرية ذات العلاقة بالموضوع المدروس؛ بيد أنّ افتقارنا إلى الوسائل اللازمة، وكذا عدم اختصاصنا في علم الآثار، حال دون اعتمادنا المباشر على المصادر المادية، ولكننا حاولنا كسر العجز بالاستناد على الدراسات الأثرية، والاطّلاع على الشواهد والمكتشفات التي تخص موضوعنا بطريقة غير مباشرة، من أجل تحقيق جزء، ولو بسيط، من استغلال المصادر المادية؛ وقد اعتمدنا في ذلك على سبل المعاينة غير المباشرة للشواهد المعمارية، والتحف الأثرية المرتبطة بموضوعنا، باستخدام التقنيات الحديثة التي يرجع الفضل فيها إلى الأثريين الذين أفادونا بدراسات جاهزة، وذلك من خلال تصوير المواقع الأثرية، وتزويد الصور بمخطّطات، ومعلومات قيمة، وإلى مسؤولي حفظ المجموعات الأثرية بالمتاحف المختصة، الذين أرفقوا تلك المكتشفات بسجلات دونت ا معلومات علمية وتاريخية

عنها؛ وقد سمحوا أيضاً بتصوير ونشر المجموعات الأثرية، في كتب، ومنشورات خاصة. وفي ذلك خدمة كبيرة أسدتها لنا التكنولوجيا الحديثة، المدعمة لعلم الآثار، الذي يعد من أهم روافد علم التاريخ القديم.

ونذكر من تلك الدراسات، المنشورات الصادرة عن وزارة السياحة اللبنانية، والتي أشرف على تحقيقها أساتذة مختصون في علم الآثار، كالدكتور **حسان سلامة سركيس؛** وكذا الكتاب الموسوعي المصور، الذي تضمن عرضاً مصوراً لأهم المواقع الأثرية اللبنانية، التي ترجع إلى العهد الفينيقي، وللمجموعات المتحفية التي يضمها المتحف الأثري الوطني اللبناني ببيروت، وقد ارتأينا أنّ من الضروري الاستناد إلى ما يخدم موضوعنا منها، باعتبارها شاهداً أثريا؛ والكتاب عنوانه (*Lebanon*)، من تأليف المبعوث الإيطالي المختص بالدراسات الأثرية بسوريا ولبنان، (*J. Pierre Dummar*) الذي تعاون مع مجموعة من الباحثين المختصين أيضاً، لإنتاج هذا الكتاب الحديث الصدور، إذ تمّ ذلك في صائفة سنة 2004م.

المكتبة الأوغاريتية/ مكتشفات رأس الشمرا: مما لا شك فيه أنّ النقوش المدونة في ألواح مكتبة أوغاريت، كانت أهم مصدر مادي، اعتمدناه في هذا البحث، وقد تناولناه كوثيقة أدبية جاهزة ومترجمة إلى العربية، بعد أن ألقينا نظرة إلى الصور الفوتوغرافية التي تخص النقوش المكتشفة، والمنشورة في مجلّة سيريا؛ وقد تكفّل بنشرها مجموعة من الباحثين، والأثريين، الذين يرجع إليهم فضل اكتشافها، وعلى رأسهم شارل فيروللو (*Charles virolleaud*)، والمجلّة المذكورة تعنى بالدراسات الأثرية في المنطقة السورية، وقد كانت تصدر سنويا عن لجنة الأبحاث الأثرية الفرنسية، بسوريا ولبنان، في أعداد منتظمة.

أما الأستاذ أنيس فريحة[1]، فقد تناول النصوص الأوغاريتية المنشورة في المجلّة، واعتمد على مقالات فيروللو، ونظّمها بالاستناد إلى معطيات تاريخية وأثرية في كتاب باللغة العربية، عنوانه **ملاحم وأساطير من أوغاريت "رأس الشمرا"،** ويقع الكتاب في قسمين، يضم أولهما تعريفات وشروحاً

1- أنيس فريحة، **ملاحم وأساطير من أوغاريت، رأس الشمرا**، ط2 (بيروت: دار النهار للنشر، 1980م).

متعلّقة بالاكتشاف الأوغاريتي، ومكان حدوثه، مع تعرض إلى تاريخ المنطقة بإيجاز. أما القسم الثاني فقد جمع الكاتب فيه النصوص الأوغاريتية وشكلها الملحمي، واعتمد في ترتيبه على باحثين أشار إليهم، وقد ذكرنا أنّ فيروللو كان على رأسهم، وسنتبع خطوات أنيس فريحة لعرض الملاحم ومحتوياتا على النحو الآتي:

1) ملحمة البعل وعناة:

أ/ النص الأول: احتوى النص الأول من الملحمة على أربعة وعشرين سطراً، تتلخص في تعيين يم ملكاً من طرف **إيل** الذي أمر ببناء هيكل له، وهذا ما جعل عشتر إله السقي يعترض، وتحذّره إلهة الشمس من ذلك الاعتراض، ثمّ ينقطع النص فجأة بسبب فقدان البقية.

ب/ النص الثّاني: يضم هذا النص سبعة وأربعين سطراً ملخصها صراع البعل ضد يم الذي يشكوه إلى إيل، وحدوث مبارزة كلامية بين بعل ويم.

ج/ النص الثالث: به أربعون سطراً، تتحدث عن الهزيمة التي مني ا يم على إثر صراعه ضد البعل، والتي كادت أن تودي به لولا تدخل عشتارت لمنع البعل من قتله، باعتباره أسيراً.

د/ النص الرابع: قسم هذا النص إلى ثمانية أعمدة، وكلّ عمود مقسم إلى سطور يتراوح عددها بين الأربعين، والستين سطراً لكلّ عمود، ويتناول هذا النص موضوع ظهور البعل على يم، وطلبه من إيل بناء مسكن له بوساطة عناة، فيجاب إلى طلبه، كما في النص حديث عن إنذار البعل المرسل إلى **موت**.

ه/ النص الخامس: يحتوي النص على ستة أعمدة، سطورها متفاوتة الأعداد، إذ تتراوح بين الخمسة وعشرين والواحد وثلاثين عموداً، تتناول كلّها موضوع صراع البعل وموت، والذي ينتهي بمأساة نزول البعل إلى العالم السفلي، وهو عالم الأموات، مما يجعل عناة تبكيه وتندبه.

و/ النص السادس: في هذا النص ستة أعمدة، يمتد عدد سطورها من العشرين إلىالستين سطراً، وهو وصف لحالة عناة غداة رحيل البعل، واستبشارها بعودته، كما يعاود النص في آخره مشهداً يصف فيه صراع البعل ضد موت.

ز/ النص السابع: وبه كذلك ستة أعمدة، يصل عدد أسطر بعضها إلى السبعين سطراً، وفي النص حديث عن الاحتفال بعودة البعل، وتكرار لقصة طلب البعل من إيل بناء بيت له.

ح/ النص الثامن: العمود الأول من هذا النص مفقود، أما باقي الأعمدة الخمسة المتراوح عدد أسطرها بين الخمسة وعشرين إلى الثلاثين، فهي تتحدث عن إرسال إيل في طلب إله البناء **كاشر وخاسس** لكي يبني له بيتاً، ويعلن محبته ليم، وربما هذا ما فتح مجال الصراع بين بعل ويم على السلطة.

ط/ النص التاسع: يشكّل هذا النص جزءاً متبقّياً من نص ما، وهو يحتوي على شذرتين، إحداهما متكونة من ثمانية وعشرين سطراً، والثانية من اثنتي عشر سطراً، ويبدو أنّ الشذرتين تكرار لما جاء في النص السابع الذي بسط تفسير هذا النص العسير بسبب التشويه الذي لحق به.

ي/ النص العاشر: في هذا النص عمودان يرويان نبأ اختفاء البعل بأسلوب آخر، وطول العمود الأول هو واحد وأربعون سطراً، والثاني ستون سطراً.

ك/ النص الحادي عشر: يتكون هذا النص من عمودين: الأول به ثلاثة وعشرون سطراً، والثاني يحتوي على سبعة وثلاثين سطراً، ومضمون النص هو وصف الابتهاج بعودة البعل.

ل/ النص الثاني عشر:يحتوي على سبعة عشر سطراً، فحواها تساؤلات، وتوسلات إلى الربة أشيرة، وتقديم القرابين لبناء بيت للبعل، والنص يتصف بالغموض.

م/ النص الثالث عشر: يتضمن النص ستة وثلاثين سطراً تابعاً لملحمة البعل، وبه إشارة إلى ولادة ثور للبعل من عناة.

ن/ النص الرابع عشر: ويضم تسعة أسطر، والباقي منه مفقود، وهو يتحدث عن زواج البعل من أخته عناة.

س/ النص الخامس عشر: ويحتوي على اثنتي عشر سطراً، وهو كثير التشويه، لكنه يلخص دعاء البعل، وطلبه البركة للناس، ومنحه إياهم السلام.

2) ملحمة/ أسطورة كارت ملك الصيدونيين: قسمت هذه الأسطورة إلى لوحات، وكلّ لوحة إلى أعمدة، وقسم العمود بدوره إلى سطور.

أ/ اللوحة الأولى: تضم هذه اللوحة ستة أعمدة، يتراوح عدد الأسطر في كلّ عمود من أربعين إلى ستين سطراً، ويدور موضوع الأسطورة حول فاجعة كارت.

ب/ اللوحة الثانية: تتضمن هذه اللوحة ستة أعمدة، في كلّ منها ثمانية وعشرون أو تسعة وعشرون سطراً؛ ويدور موضوعها حول زواج كارت من أجنبية.

ج/ اللوحة الثالثة: وفيها أيضاً ستة أعمدة يصل طول الواحد منها إلى ثمانية وخمسين عموداً؛ وهي تروي قصة مرض كارت واحتضاره، ثمّ شفائه؛ وتروي أيضاً حادثة ثورة **يصب** ابن كارت ضد والده، ومحاولة اغتصابه العرش.

3) أسطورة أقهات بن دانيال: تحوي هذه الأسطورة ثلاث لوحات، مرتبة كالآتي

أ/ اللوحة الأولى: تتحدث هذه اللوحة عن صلاة دانيال لإيل كي يرزقه بولد، وذلك في ستة أعمدة.

ب/ اللوحة الثانية: وتتضمن أعمدتا الأربعة موضوع تديد عناة لإيل إذا لم يعطها القوس الذي منحه لأقهات، ومقتل هذا الأخير.

ج/ اللوحة الثالثة: وفي هذه اللوحة أيضاً أربعة أعمدة، تتناول وعد عناة بإحياء أقهات، وفيها ذكر لمناحة دانيال على ابنه، وقرار الانتقام.

4) ملحمة الرفائيم (الأخيلة والاشباح): يعتقد بأنّ هذه الملحمة جزء من أسطورة أقهات، ولا تضم الملحمة نصوصاً، بل ثلاث شذرات، في كلّ منها أعمدة.

أ/ الشذرة الاولى: تتشكّل هذه الشذرة من عمود واحد، تذكر فيه دعوة إيل للأشباح إلى هيكله.

ب/ الشذرة الثانية: تحوي عمودين يضمان تكراراً لدعوة إيل، واستضافته للأشباح، بتقديمه لهم

فواكه صيفية، كالتين والتفاح.

ج/ الشذرة الثالثة: وفي هذه الشذرة عمودان، أهم ما جاء فيهما إعلان إيل تنصيب بعل ملكاً، وذلك عن طريق صب الزيت على رأسه.

5) مولد الآلهة الجميلة والوسيمة/ مولد السحر والغسق: عدت هذه اللوحة التي عثر عليها في سنة 1930م مراثي دينية تضم شكلاً من أشكال الطّقوس الكهنوتية.

ويعلّق الأستاذ أنيس فريحة في دراسته للملاحم الأوغاريتية، من حيث الشكل الذي وجدت عليه، ومدى قيمتها التاريخية والأدبية، على الرغم مما أصابها من التشوهات.

ففي ملحمة البعل نجده يذكر كثرة التشوهات والأعطاب التي أصابت اللوحات، وعدم الإدراك اليقيني بترتيب الألواح، بل الشك في انتسابها كلّها إلى ملحمة البعل، إذ يبقى جائزاً أنّ لها أجزاء لملحمة أخرى، ومع ذلك فقد بدت الملحمة في أثناء قراءتها واضحة ومفهومة؛ ويذكر عن اسم الملحمة، بأنّ أول ناشر لها وهو فيروللو، قد أسماها **الإلهة عناة** وبعد أن علم أنها تسمى البعل، حسب ما أوضحته النقوش، أصبحت تعرف بـ**ملحمة البعل وعناة.**

أما عن أسطورة كارت ملك الصيدونيين، فهو يشير إلى تاريخ العثور عليها، بعد مباشرة أعمال التنقيب خلال سنتي 1930م و1931م، وهي في وضعية هشة، وغير سليمة، حيث أعيد تركيب الحطام الذي تشكّلت منه بصورة تسمح بقراءتها، وكان الترتيب متبعاً حسب سياق الأحداث. وقد أصاب النقوش المدونة على هذه الألواح تشويه، وعطب، ومحو في كثير من الأعمدة.

وما قيل عن ملحمتي **البعل وعناة** و **أسطورة كارت ملك الصيدونيين** يقال أيضاً عن **أسطورة أقهات بن دانيال** من حيث التشويه والنقص اللذان أصابا الألواح المنقوشة فيها، ومع ذلك فقد أمكن للباحثين قراءتها بصورة مجملة.[1]

---

[1]- أنظر الملاحق رقم 1و 2 و3، ص154، 155، 156.

وليس الأمر كثير الاختلاف بالنسبة لملحمة **الرفائيم** التي فقد الكثير من أجزائها المفترض أنها تصل بين نص وآخر، مما يجعل الثّغرات كثيرة، والنصوص متقطّعة؛ كما لا يعرف على وجه التحديد إن كانت الألواح الخاصة بالرفائيم جزءاً من ملحمة البعل لأنه ذكر فيها، أو أنها مأخوذة عن أسطورة دانيال، أو ربما هي جزء من أسطورة مستقلّة، ومن المتفق عليه بين علماء الآثار الأوغاريتيين، إلحاق هذه الألواح، أو الشذرات، بأسطورة دانيال.

ويبدو أنّ قراءة نص اللوحة المتعلّقة بملحمة **مولد السحر والغسق،** والتي يسميها فيروّللو **مولد الآلهة الجميلة والوسيمة** (*Naissance des Dieux Gracieux et Beaux*)، تمّت بسهولة، فقد وجدت الملحمة منقوشة في وجهين للوحة واحدة، لكن الصعوبة كانت في فهم المعنى، والهدف من الملحمة التي بدت غامضة، ولم يعرف سوى أنها قصيدة شعر اختلف في تفسيرها المختصون.

الأهمية التاريخية للنصوص الأوغاريتية: قام أنيس فريحة ، بعد أن تعرض لوصف وضعية الألواح المنقوشة، بتقويم شامل للملاحم، ولا سيما من حيث الأهمية التاريخية للنصوص التي تتضمنها، ذلك أنّ هذه المكتشفات الأثرية التي ترجع إلى فترات تاريخية مبكرة، تمتد من القرن الثامن عشر إلى القرن الخامس عشر قبل الميلاد، كان من شأ ا وضع حد للاعتماد على مصادر أجنبية، أشارت إلى تاريخ المنطقة إشارات عابرة، مثلما هو الأمر بالنسبة إلى رسائل تلّ العمارنة، وبعض الوثائق البابلية والمصرية؛ أو المصادر التي كان أصحا ا ينظرون إلى شعوب بلاد كنعان نظرة العدو الذي تجب إبادته، من أجل إقامة كيا م في تلك البلاد، ونقصد ؤلاء مباشرة، مدونو المصادر التوراتية، أو أسفار العهد القديم؛ أو مثلما هو الامر بالنسبة للكتابات الصادرة عن المؤرخين الكلاسيكيين، إغريقاً كانوا أم روماناً، وكلّ المصادر التي ذكرت جاءت في فترات متأخرة بالنسبة إلى المصادر الأوغاريتية، مما ينقص من مدى صدقيتها؛ ويحملنا هذا على تدعيم تقويم أنيس فريحة، اعتبارَ الملاحم الأوغاريتية، أكثر صدقية وثقة، سواءً من حيث العلاقة المكانية، بحكم وجودها في صميم بلاد كنعان، أو من حيث العلاقة الزمانية، إذ هي أسبق من الكتابات الأخرى؛ ضف إلى ذلك أنها الأوفر من حيث الرصيد المعرفي إذا ما قورنت بمصادر أخرى.

وعلى الرغم من كلّ هذا فنحن نعيب في شأن فك رموز النصوص الأوغاريتية، التي تبناها

الأجانب، وجود ترجمات عربية مباشرة؛ علماً أنّ اللغة الأوغاريتية كانت أقرب إلى العربية منها إلى الفرنسية، أو اللغات اللاتينية، التي ترجمت إليها النصوص، مما يجعل الثّقة ا موضع اهتزاز.

2- المصادر الأدبية/ الكتابية:

1) القرآن الكريم: ما كان لنا لنستدلّ بآيات من القرآن الكريم في هذا الموضوع حتى نضعه في موضع التحليل والنقد والمقارنة، لاعتقادنا المطلق، بأنه كتاب اللّه الم ّل، والم ّه من كلّ أخطاء، وبأنه كتاب العظات، والإرشادات الذي ننتهل منه معارفنا العقائدية. بيد أنّ انطلاق موضوعنا من إحدى آيات هذا المصدر الكريم، وتدعيم فهمنا لها بالتفاسير المختصة[1]. حملنا على الاستشهاد بآيات وردت فيه لتكون شاهداً على ما ذكرناه في كثير من العناصر التي عالجناها، وليس موضوعاً يبحث من خلاله عن قرائن قد تكون عرضة إلى التشويه، والتحريف. وبالإضافة إلى ذلك فإنّ موضوع الروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية، كلّه مبني على آية قرآنية؛ هذا وإنّ سور القرآن الكريم، أوردت الكثير من الأسماء، والأحداث التي تطرقنا إليها، مثل فترة تيه العبرانيين في صحراء سيناء، وابتعادهم عن تعاليم ديانتهم، في سبيل عبادة الأوثان.

و ذا اتضح المغزى من اعتمادنا على آياتٍ من القرآن الكريم، وهو الاستشهاد ا، لا إثارة مواضيع جدلية، قد تجعلنا في وضع حرج، بسبب فقدان الشواهد الأثرية، التي ماتزالف الأبحاث الأثرية عاجزة عن إثباتا.

2) الكتاب المقدس: يجدر بنا قبل التطرق إلى مضمون الكتاب المقدس، بأن نضبط مفهوم العبارة؛ حيث إنّ الكتاب المقدس هو مجموعة من الكتب الوارد فيها أخبار العهد الذي قطعه الله مع العبرانين عن طريق النبي موسى، ثمّ جدده وأتمه مع النبي عيسى، فكان من ذلك أن ضم الكتاب المقدس عهدين عرفا بـ **العهد القديم** و**العهد الجديد**، وقد جمع الكهنة المسيحيون العهدين في كتاب واحد، وهو **الكتاب المقدس** [1].

1- محمد الطّاهر بن عاشور، **التحرير والتنوير**، ط1(بيروت: مؤسسة التاريخ العربي، 2000م)، ج23، ص77-78.

1- أحمد عبد الرزاق مصطفى، **فضائح التوراة**، ط1 (سوريا: دار صائب للنشر والتوزيع، 2003م)، ص23؛ صبحي حموي اليسوعي،**العهد القديم لزماننا الحاضر**،ط1، (بيروت: منشورات دار المشرق، 1993م)، ص23.

أ/ العهد القديم: "**...هو كلمة لله المدونة خطّياً...**" كان هذا تعريف الأب صبحي حموي اليسوعي[1]، وهو المفهوم الذي يعتقده العبرانيون والمسيحيون على حد سواء، فتكون بذلك كتب العهد القديم، **إلهية المصدر**، فلا يمكن الاعتراض على ما جاء فيها، ولا مقارنتها بمصادر أخرى، أو نقدها؛ ويتميز العهد القديم بانفراده بالتاريخ المقدس عن سائر الكتب، وقد شكّل **إنتاجاً بشريا** معصوماً من الخطِأ على حد تعبير صموئيل شولتز[2]. ولا شك أنّ أول ملاحظة نبديها هي التناقض الوارد في التعريف بالعهد القديم، من حيث نسبته إلى المصدر الإلهي، أو المصدر البشري، مما يفتح باب الجدال إزاء مصادر كتابة العهد القديم، من أجل ذلك كثرت الدراسات النقدية المختصة في تحليل مضامين كتب العهد القديم، وأكّدت أنّ دراسة العهد القديم ليست بالضرورة دراسة كتاب مقدس، بل هي معالجة تاريخية وحضارية لمؤلف أدبي بالإمكان نقده ومقارنته بنصوص أخرى[3].

- محتويات العهد القديم: يضم العهد القديم مجموعة كتب تعرف بالأسفار، وعددها تسعة وثلاثون سفراً بالنسبة للمذهب البروتستانتي، وستة وأربعون بالنسبة للمذهب الكاثوليكي.

والأسفار في النسخة البروتستانتية هي على التوالي: التكوين، والخروج، واللاويين، والعدد، والتثنية، ويشوع، والقضاة، وراعوث، وصموئيل الأول، وصموئيل الثّاني، والملوك الأول، والملوك الثاني، وأخبار الأيام الأول، وأخبار الأيام الثاني، وعزرا، ونحميا، وأستير، وأيوب، والمزامير، والأمثال، والجامعة، ونشيد الإنشاد، وإشعياء، وإرميا، ومراثي إرميا، وحزقيال، ودانيال، وهوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي.

وتضيف النسخة الكاثوليكية الأسفار التالية:

سفرا طوبيا ويهوديت: ويأتيان في الترتيب بعد سفر نحميا؛ وسفرا الحكمة ويسوع بن سيراخ:

1- صبحي حموي اليسوعي، المرجع السابق، ص18.

2- صموئيل شولتز، **العهد القديم يتكلّم**، ترجمة، أديبة شكري يعقوب، (القاهرة: مطبعة السلام، 1983م)، ص14.

3- محمد أبو المحاسن عصفور، **معالم حضارات الشرق الأدنى القديم**، (بيروت: دار النهضة العربية، 1981م)، ص170؛ موسكاتي سباتينو، **الحضارات السامية القديمة**، ترجمة،السيد يعقوب بكر، (القاهرة: دار الكتاب العربي للطباعة والنشر، د ت)، ص156.

ويأتيان بعد نشيد الإنشاد؛ أما سفر باروك فيأتي بعد مراثي إرميا؛ ونجد بعد سفر ملاخي سفري الميكابيين الأول والثاني.

ويعرف سفر اللاويين المذكور، بسفر الأحبار في النسخة الكاثوليكية، كما أنّ سفري صموئيل الأول، وصموئيل الثاني، يعرفان باسم سفري الملوك الأول والملوك الثاني، ليصبح سفرا الملوك الأول والثاني، في هذه النسخة معروفين بسفري الملوك الثالث والملوك الرابع [1].

- مضامين أسفار العهد القديم: سنحاول في هذا العنصر إلقاء نظرة موجزة إلى المواضيع التي تتضمنها أسفار العهد القديم، مع التعريف ببعض كتبتها الذين أتيحت لنا فرصة الاطّلاع عليهم.

***سفر التكوين:** يبدو من كلمة التكوين أنّ السفر يتحدث عن نشأة الكون، وبداياته، وهذا ما نتبينه عند قراءة السفر الذي يتحدث عن أصل العالم، وخلق آدم، ثمّ حادثة الطّوفان، وما تلاها من خلق نسل جديد، كما يتعرض إلى هجرات العبرانيين، منذ عهد النبي إبراهيم، إلى الاستقرار في مصر منذ زمن النبي يوسف.

***سفر الخروج:** وفي هذا السفر حديث عن خروج العبرانيين من أرض مصر، وعن فترة التيه التي قضوها في الصحراء، والوصايا العشر للنبي موسى.

*** أسفار اللاويين، والعدد، والتثنية:** يتضمن سفر اللاويين نصوصاً وتشريعات طقسية، عرفت بالنظام، أو القانون الكهنوتي، ويتواصل الحديث عن تلك النصوص، في سفر العدد، وقد سمي هذا الأخير بالعدد لأنه يحتوي، إلى جانب التشريعات المشار إليها، على إحصاءات العبرانيين في الصحراء؛ أما سفر التثنية، فهو يتضمن تتمة الأحكام التشريعية الواردة في سفر اللاويين، وهو يعرف باسم **تثنية الاشتراع** الذي معناه **الشريعة الثانية.**

*** سفر يشوع/ يوشع:** تفتتح الأسفار المعروفة بأسفار الأنبياء، بسفر يشوع، ويشوع هو خليفة النبي موسى، في قيادة العبرانيين، وفي هذا السفر حديث عن دخول أرض كنعان، وعن موته.

*** سفر القضاة:** نسب سفر القضاة إلى الحكام الذين عرفوا بالقضاة، ويتضمن السفر توضيحات عن

---

[1]- محمد عزة دروزة، **تاريخ بني إسرائيل من أسفارهم،** ط2 (بيروت: المطبعة العصرية للطباعة والنشر، 1969م)، ص14.

زيغ العبرانيين، بعبادة آلهة غير يهوه.

* **سفر راعوث:** يضم هذا السفر قائمة أسلاف النبي داود.

* **سفرا صموئيل الأول/ الملوك الأول، وصموئيل الثاني/ الملوك الثاني:** تفتتح أسفار الملوك، منذ عهد صموئيل، وصولاً إلى عهد النبي داود بعد موت شاؤول، وقرار بناء الهيكل.

* **سفرا الملوك الأول/ الثالث، والملوك الثاني/ الرابع:** يحتوي هذان السفران على وصف الهيكل والقصر اللّذين بنيا في عهد النبي سليمان، وعلى انقسام المملكة العبرانية، وما بعدها من تعرض إلى تاريخ مملكتي يهوذا وإسرائيل، وزيغ العبرانيين، إلى مجيء الغزو البابلي بقيادة نبوخذنصر.

* **سفرا أخبار الأيام الأول والثاني**: وفيهما ذكر لسلسلة الأنساب من النبي آدم إلى النبي داود، في السفر الأول، وفي السفر الثاني، تعرض إلى أحداث عهد النبي سليمان، ودمار أورشليم، وإعادة ترميم الهيكل في زمن الإمبراطور الفارسي قورش.

* **أسفار عزرا، ونحميا، وإستير:** تحمل هذه الأسفار أسماء الأنبياء الذين دونوها، وهي تتضمن الأحداث الواقعة في أيامهم، ويتضح أنّ عزرا هو الكاهن الذي جاء من المنفى ببابل في سنة 398ق والذي سنعرفه في الفصول اللاحقة؛ أما نحميا فلم يكن كاهناً، بل كان ساقياً للملك في بابل، عاد إلى أورشليم في سنة 445ق م، ومات فيها في سنة 425ق م[1]. أما إستير فهي المرأة التي أحبطت المؤامرة التي حيكت ضد العبرانيين في بلاد فارس، وكانت زوجة للملك الفارسي أحشورش، على ما رواه السفر.

* **سفر أيوب:** يعتبر سفر النبي أيوب مؤلّفاً أدبيا يطرح مشكلة الألم والمأساة التي يعيشها الإنسان، وقد حدث ذلك في ذلك في حوالي سنة 450ق م[2].

***سفر المزامير:** لا يعرف على وجه التحديد من هو مؤلّف سفر المزامير، لكن أغلبها منسوب إلى النبي داود، وعدد كبير منها مؤلّفات فردية، كما توجد مزامير أو تراتيل طقسية، تؤدى في الصلوات.

[1]- صبحي حموي اليسوعي، المرجع السابق، ص363، 364.

[2]- صبحي حموي اليسوعي، المرجع نفسه، ص929.

* **أسفار الأمثال، والجامعة، ونشيد الإنشاد:** تتضمن هذه الأسفار حكماً وأشعاراً، تنم عن العاطفة الإنسانية المتمثّلة في الفرح والألم، وفي الموت والحياة، وغيرها من الانفعالات والمشاعر الإنسانية.

* **سفر إشعياء:** كان إشعياء أحد الأنبياء الأربعة الكبار، الآتي ذكرهم، حسب واضعي أسفار العهد القديم، وحسب العبرانيين؛ وقد ولد إشعياء في أورشليم، حوالي سنة765ق م، و مارس أعماله الممثّلة في تبليغ رسالة النبوة في مدة تجاوزت الأربعين سنة (746-700ق م) في مملكة يهوذا؛ وأهم ما يتضمنه سفر إشعياء تنبؤاته بمجيء المسيح[1].

* **سفر إرميا:** امتدت فترة نبوة إرميا من سنة 640ق م، إلى سنة 609ق م، وقد ولد في أسرة كهنوتية بالقرب من أورشليم ؛ ولا يختلف سفر إرميا عن سابقيه من حيث المواعظ، والتنبؤات، ومن أهم ما تنبأ به خراب أورشليم، وقرب ميلاد عهد آخر بعد العهد القديم، وهو العهد الجديد، أي مجيء المسيح[2].

* **مراثي إرميا:** يلحق سفر إرميا بمراثٍ هي عبارة عن أناشيد ندب، وشجب بسبب الخراب الذي لحق بأورشليم، ورغم أنّ المراثي منسوبة إلى النبي إرميا من طرف مترجمي كتب العهد القديم، فإنّ كاتبها مجهول.

* **سفر حزقيال:** ولد حزقيال بمدينة حيفا في سنة 597ق م، وهو تلميذ إرميا ومعاصره، وكان كاهناً بمدينة أورشليم، وشهد أحداث دمارها، وكان من بين المنفيين إلى بابل. وفي سفر حزقيال مواعظ، ورؤى، وتنبؤات بمصير أورشليم وعقا ا، وكذلك بمصير مدينة صور الفينيقية،و هو كتاب غني بالمعلومات التي تخص النشاط التجاري لها، وبه ذكر لعدة مدن وبلدان، وكذا لأنواع السلع والمنتجات التجارية الرّائجة في المنطقة[3].

* **سفر دانيال:** دانيال هو رابع الأنبياء الكبار، ويعد كتابه من أشد الأسفار تعقيداً لما به من اختلال، وخلط، ويتضح ذلك في الأسلوب الذي ورد عليه، وفي طوله، إذ تنقصه في النسخة العبرية مقاطع

1- صبحي حموي اليسوعي، المرجع السابق، ص591؛ Edouard Drohme dans ,*La Bible, l'ancien testament*, T2, p26-27.

2- op.cit, pp49-50.

3- ibid., pp 59-60.

كثيرة، والنص الأصلي مدون بخليط من اللغات العبرية، والآرامية، واليونانية.

*** أسفار الأنبياء الإثني عشر/ الصغار:** وهي أسفار هوشع، ويوئيل، وعاموس، وعوبديا، ويونان، وميخا، وناحوم، وحبقوق، وصفنيا، وحجي، وزكريا، وملاخي؛ تناولت هذه الأسفار مواضيع متماثلة، محورها رؤى نبوية، وإرشادات ومواعظ دينية، تتناسب وأحداث عصر كلّ نبي، وتحتوي أيضاً على التجارب التي مر ا بعض الأنبياء مثل النبي يونان (يونس)، وقصته مع الحوت.

- تاريخ تدوين الأسفار وطرق ترتيبها:

تمّ تدوين كتب العهد القديم في مدة زمنية قوامها ألف سنة، تمتد من حوالي سنة 1400ق م، إلى سنة 400ق م، وترجع أقدم المخطوطات العبرية المتوفّرة إلى حوالي سنة 900ق م، وقد رتبت الأسفار حسب تطور الأحداث التاريخية(1)، وقسمت إلى قسمين: أما القسم الاول فيضم الأسفار الخمسة الاولى التي عرفت في اللغة الإغريقية بـ **البانتاتوك** (*Pentateuque*)، وهي أسفار: التكوين، والخروج، واللاويين، والأحبار، والعدد، وتثنية الإشتراع. بينما يضم القسم الثاني باقي الاسفار، المصنفة إلى: أسفار الأنبياء المعروفة بـ **نبييم،** والتي تحتوي على سفر يشوع، وسفر القضاة، وسفر راعوث، وسفري صموئيل الأول والثاني، وسفري الملوك الأول والثاني؛ وإلى الأسفار التاريخية المتبقية(1).

تعرض القسم الأول الذي يضم الأسفار الخمسة إلى الجدال بين الباحثين والمؤرخين؛ والسبب في ذلك هو نسبتها إلى النبي موسى، باعتباره أول قاض عبراني أصدر أحكاماً تلقّاها من يهوه، عرفت في العبرية بـ **تورث**، ومفردها **تورا،** ومنها اشتقت كلمة **التوراة،** وهنا يكون معنى التوراة هو أنها مجموعة من الأحكام الإلهية المصدر المدونة بخطّ يد النبي موسى، والمحفوظة في تابوت العهد، برعاية الكهنة اللاويين، وهي تضم الأسفار الخمسة المذكورة؛ ويعترض محمد عزة دروزة على تسمية تلك الأسفار بالتوراة، لأنّ القرآن الكريم خص الكتاب المنّل على النبي موسى ذا الاسم، على أنه كتاب مقدس، وليست الأسفار الخمسة من القداسة في شيء، لما ا من تحريف، وتناقضات، على

1- أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجعى السابق، ص23؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص156، 175.

الرغم من وجود بعض الأمور المتطابقة بين القرآن الكريم، والأسفار الموسوية التي وجدت في زمن النبي محمد (صلّى الله عليه وسلّم)، وعرفت بالقراطيس، ولكن الاحتمالات الواردة ترجح أنّ هذه الأخيرة قد ضاعت بعد ذلك[1].

أمّا الباحث فاروق الدملوجي، فيجد تناقضاً صارخاً بين زمن النبي موسى، وهو القرن السادس عشرقبل الميلاد، وبين ظهور الكتابة في أواسط القرن الثامن عشرقبل الميلاد، إلاّ في حالة واحدة، يشاطره فيها الشيخ نسيب وهيبة الخازن، وهي أنّ الأسفار الخمسة، أو التوراة لم تكن بالضرورة مدونة بخطّ يد النبي موسى، أو أنها دونت بالهيروغليفية، التي يحتمل أنه تعلّمها في البلاط الفرعوني[2].

وقد تأكّد لدى الكثيرمن الباحثين أنّ أسفار التوراة، جمعت من مصادر مختلفة، وفي أزمنة متباينة، إذ يذهب بعضهم إلى الاعتقاد بأنّ مؤلّفي سفر التكوين جاؤوا بعد فترة انقسام مملكة النبي سليمان، كما يذهب آخرون إلى القول بأنّ الكاهن عزرا هو من دون هذا السفر بغرض تسجيل تاريخ الأمة العبرانية؛ ويبدو أنّ سفر التكوين قد فقد الكثير من أجزائه، ومن الواضح أنّ الفترة التي عاش فيها الكاهن عزرا، وهي القرن الخامس قبل الميلاد، كانت بعد السبي البابلي، وربما في ذلك تفسير لما تضمنه السفر من تأثيرات الأساطير البابلية[3].

هذا، وأجمعت الدراسات التوراتية على صحة ما ذكرناه، فقد أكّد العلماء الكاثوليك بأن التوراة مشكّلة من مصادر مختلفة، لكنهم أصروا على نسبتها إلى النبي موسى، كما أقر مجمع الحاخامين صياغة النص النهائي للتوراة العبرية في سنة100م، اعتبر من خلاله أنّ الأسفار المنسوبة إلى النبي موسى دونت بعد القرن الثامن قبل الميلاد[4]. وصدرت عن اللجنة الحبرية التوراتية (*Commission*

---

[1]- محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص18، 21؛ فاروق الدملوجي، **تاريخ الأديان، الألوهية وتاريخ الآلهة،** (بيروت: الأهلية للنشر والتوزيع، 2003م)، ص421.

[2]- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، **أوغاريت، أجيال، أديان، ملاحم،** ص80؛ فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص421.

[3]- كمال الصليبي، **خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل،** ط5، (بيروت: دار الساقي،2002)، ص14؛ فاروق الدملوجي، المرجع نفسه، ص403-404.

[4]- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص79؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص158 .

Pontificale Biblique) ، المنعقدة بتاريخ 13 فبراير من سنة 1905م، قرارات تقضي بصعوبة الأخذ بالتطابق بين التواريخ التوراتية، والوقائع التاريخية؛ ومع ذلك فقد كان الإصرار على نسبة الأسفار إلى النبي موسى، وقررت اللجنة في اجتماع آخر، انعقد في 27 فبراير من سنة 1906م، ما يلي:**"...إنّ نسبة هذه الأسفار إلى موسى لا تتضمن بصفة حتمية أنّ موسى كتبها بيده أو أملى أمناء سره نصوص هذه الأسفار"** [1]**.**

وقد تلخص القرار النهائي للّجنة، والصادر في شهر جوان من السنة نفسها فيما يلي:**"...يمكن القول بأنّ موسى استعمل وثائق مخطوطة وتقاليد شفوية سابقة ونقل عنها ما الغاية التي استهدفها بإلهام الروح القدس، وأنه نقل تارة النصوص بحروفها، وتارة بمعناها، وأخرى بتلخيص أو بإسهاب... وإنّ الكتب الخمسة المذكورة قد تعدلت نصوصها مع مرور الزمان بحيث أضيفت مثلاً نصوص كتبها كاتب ملهم بعد وفاة النبي موسى، وزيدت تفسيرات، وتحولت تعابير قديمة إلى تعابير مستحدثة. وإنّ هناك أخطاء اقترفها الناسخون."**[2]**.**

ويشهد صموئيل شولتز بأنّ نصوص العهد القديم كلّها موضع شك بالنسبة للباحثين، لما تتضمنه من معلومات تتنافى والحقيقة التاريخية؛ ولم يكن هذا الأمر متداركا إلاّ بفضل الأبحاث الأثرية التي نبهت إلى ضرورة إعادة النظر في تلك النصوص بعد أن كان الاعتماد عليها بلا قرائن تاريخية أو أثرية[3].

أما نحن فنقف تجاه هذه الدراسات موقف المحايد الذي تطرق إلى التناقضات الواردة بشأن تدوين أسفار العهد القديم، وقار ا بالمعطيات التاريخية التي نقلتها الأبحاث، وأخذ بآرائها، ومع ذلك فقد اضطر للّجوء إلى تلك الاسفار، والتعامل معها كوثيقة تاريخية ليس بالإمكان تلافيها، لأنها تتضمن معلومات غزيرة، تفيد البحث التاريخي، لكن بتوخي الحذر، والتمحيص عن طريق الاستناد إلى

1- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص55.

2- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع نفسه، ص79.

3- صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص211-212.

الأبحاث المختصة، التي تحلّل مضامين الأسفار، والعمل على الإتيان بشواهد أو قرائن، من شأ ا إثبات أو نفي ما جاء في الأسفار؛ والملاحظ أننا استخدمنا نسختين للعهد القديم: إحداهما باللغة العربية، تضم النصوص من غير تعاليق، وهي الصادرة في سنة 1993م ببيروت، ويبدو أنّ هذه النسخة هي طبعة بروتستانتية، وذلك بناء على ماذكرناه، لكنها تفتقر إلى البيانات المتعلّقة بالنشر، إذ ذكر فيها أنها مترجمة عن اللغات الأصلية فقط، أما النسخة الفرنسية، وهي الطّبعة الكاثوليكية، فمزودة ببيانات وشروح أفادتنا كثيراً في هذه الدراسة، ومن البيانات الواردة أنّ النسخة صادرة عن مكتبة الثريا الفرنسية(*Bibliothèque de la Pléiade*) ، في سنة 1959م، وقد قدم لها(*Edouard Dhorme*) المختص في الدراسات الأثرية الأوغاريتية، والتوراتية و باحثون آخرون؛ والنسخة في جزأين، يضم أولهما الأسفار الخمسة الاولى، وأسفار الملوك، والأسفار التاريخية، ويشمل الجزء الثاني باقي الأسفار. وقد كان استخدامنا للطبعتين العربية والفرنسية، لإبراز مدى صدقية كتاب العهد القديم، الذي يتغير بتغير اللّغات المترجم إليها، والتيارات التي يتجه إليها المترجمون، حسب ما لاحظنا.

ب/ العهد الجديد "الإنجيل" : تعني كلمة الإنجيل البشارة، أو الخبر السار، وتندرج الأناجيل ، كما ذكرنا، ضمن الكتاب المقدس، وهي مجموعة الأسفار المنسوبة إلى زمن النبي عيسى وما بعده، وأشهرها أناجيل **متى، ومرقس، ولوقا، ويوحنا،** المتبوعة بأعمال الرسل ورسائلهم الموجهة إلى الملوك، والشعوب لنشر الديانة المسيحية. وهذه الأناجيل هي ما أقرته ا امع الكنسية ورفضت ما دو ا.

ولم يكن تركيزنا على هذا الكتاب كبيراً، إذ تناولنا منه فقط بعض ما رأيناه مناسباً لتدعيم بحثنا.

3) مصادر أخرى: اعتمدنا في بحثنا على بعض المصادر التي اعتبرناها ثانوية بالمقارنة، مع المصادر التي ذكرناها آنفاً، وهي تتمثّل في مجموعة من الكتب التي دونت لأحداث بلاد كنعان، لكن دون أن تربطها ا علاقات زمانية أو مكانية، أي أنها مصادر من الدرجة الثانية، سوى في بعض الحالات، كما سيتبين لنا.

ومن ذلك مؤلف **تواريخ (***Histoires*) لـ **هيرودوت** الذي تناولنا منه ما خدم موضوعنا بخصوص أصل الفينيقيين، ووصفه لمعبد ملقرط بمدينة صور، حين زاره في القرن الخامس قبل الميلاد، وتدوينه لمعلومات تتعلّق بتاريخ تأسيس المعبد، وبقي هيرودوت مصدرنا الموثوق به في غياب الكشوفات الأثرية التي تصور لنا المعبد. ومن المعروف أنّ كتاب **تواريخ** يضم تسعة كتب، اعتمدنا منها الكتاب الأول الذي يخدم موضوعنا، وهو وارد في طبعة (*Miot*) الفرنسية، الصادرة في سنة 1822م.

ونذكر أيضاً المؤرخ يوسف اليهودي، المعروف بـ **يوسيفيوس فلافيوس** (*Flavius Josèphe*) الذي دون الأحداث العسكرية التي عاصرها، والمتمثّلة في الحروب التي شهدتها بلاد كنعان في الفترة الرومانية، في كتاب عرف بعنوان **حروب اليهود**؛ والكتاب الذي اعتمدناه مترجم من طرف دار النشر الفرنسية المعروفة، وهي (*Belles Lettres*)، التي أرفقت كلّ صفحة من صفحات الكتاب باللغة الإغريقية التي ترجمت منها؛ كما اعتمدنا نسخة أخرى للكتاب نفسه، أصدرتها دار نشر فرنسية أيضاً، وهي (*Les éditions de minuit*)، وهي نسخة مزودة بالشروح والتعاليق التي ساعدتنا على فهم محتويات الكتاب الذي ترجم من اللغة الإغريقية إلى اللغة الفرنسية، وقد أشرف على عملية الترجمة (*Pierre savinet*)، بينما قام بتقديم الكتاب (*Pierre Vidal- Naquet*)، وتعرض في تقديمه لحياة المؤرخ يوسيفيوس، فذكر أنه سليل أسرة كهنوتية، ولد في حوالي سنة 37ق م، وسافر إلى روما في سنة 64ق م، ليلتمس من الإمبراطور الروماني نيرون العفو لمجموعة من الكهنة اليهود المعتقلين، وكان له ذلك؛ وقد تقرب يوسيفيوس من البلاط الروماني، وعين قائداً لجيشه في سنة 66ق م، حيث أوكلت إليه مهمة إقناع اليهود الثائرين ضد روما، وقد انتهى أمره بإبعاده إلى روما، وهناك قدم كتاباً بالإغريقية بعنوان **عن الحرب اليهودية**(*Sur la guerre Juive*)، وذلك خلال الفترة الممتدة بين سنتي 76 و79م. هذا ويذكر المقدم للكتاب بأنّ مؤلّف يوسيفيوس دون باللغة الآرامية، التي لم يعثر على نسخة منها، ثمّ أعيدت كتابته باللغة الإغريقية، ويتضمن المؤلّف سبعة كتب مقسمة إلى فصول يتراوح عددها بين العشرة فصول والثلاثين فصلاً لكلّ كتاب، وكلّ فصل مقسم إلى فقرات مرقّمة.

أما عن مضمون الكتاب ومحتوياته، فهو يتعرض إلى الأحداث التي شهدها يوسيفيوس، ودوافع كتابته لها. ومن تلك الأحداث احتلال أورشليم، وما تلاها من ردود أفعال وحروب، ذكرها بالتفصيل، كما تعرض إلى العلاقات بين الحكام، ووصف هيكل أورشليم بعد أن أعيد ترميمه في عهد الامبراطور الفارسي قورش، وتدميره النهائي على يد الرومان.

وبما أنّ موضوعنا ليس موضوعاً سياسيا، أو عسكريا، فقد كان الاعتماد على يوسفيوس محدوداً، إذ تناولنا منه فقط ما يتعلّق ببعض الأحداث التي أوردناها في الفصل الأول بشأن المحطّات التاريخية، وكذا ما جاء في وصف هيكل أورشليم بعد ترميمه، كما اعتبرنا مؤلّف يوسيفيوس من ضمن المخلّفات الأدبية العبرانية، في الفترة الهللينية.

3- المراجع:

1) تصنيف المراجع: يتميز الموضوع الذي نعالجه، باعتماده على المقارنة بين أفكار شعبين، والربط بينهما من خلال تلك الأفكار؛ وقد تطلّب هذا العمل الرجوع إلى الدراسات التي تعنى بتاريخ كلّ من الطّرفين على حدة،وفي سبيل ذلك كانت قراءاتنا لمعالجة هذا البحث على نوعين، أحدهما يتعلّق بالطّرف الفينيقي، والآخر بالطّرف العبراني؛ وإلى جانب ذلك تَنَاوَلَتْ بعض الكتابات تاريخ المنطقة الكنعانية، فتعرضَتْ إلى الشعوب التي سكنتها، وكان من ذلك أن خصت الفينيقيين والعبرانيين بالدراسة، في عناصر أو فصول؛ ومن ثمّة كان تصنيفنا للمراجع تصنيفاً تلقائيا، يعتمد على ما ذكرناه.

هذا، ويمكننا تصنيف مراجعنا بطريقة أخرى تتماشى ومعطيات موضوعنا، الذي تعرضنا من خلاله إلى دراسات دينية، وأدبية، وفنية، إلى جانب الدراسات الجغرافية، وقد قادتنا هذه الدراسات إلى البحث في مجالات مختلفة، تخص المحاور التي اعتمدناها في بحثنا.

2) تعريف أهم المراجع:

لن نعتمد في تعريفنا للمراجع ودراستها على التصنيفات الواردة أعلاه، وذلك لصعوبة التحكم فيها

بسبب التداخلات التي قد تعيق فهم الموضوع، ولكننا سنحاول عرض أهم المراجع ومعالجتها وفق منهجية مبسطة تتلخص في التعريف بالكاتب والكتاب، وعلاقته بالموضوع، لإبراز مدى صدقيته، وبذلك نكون قد وفّقنا ولو بجزء يسير في تحليل مراجعنا؛ كما سنعمل على الجمع بين كتابين تعرضا إلى موضوع واحد، والمقارنة بينهما، وكشف أسباب التناقضات الواردة.

* **تاريخ** بني **إسرائيل من أسفارهم** لـ محمد عزة دروزة**:** عرف المؤلّف محمد عزة دروزة باختصاصه في تاريخ العرب والإسلام، ويبدو من خلال كتاباته أنّ اهتماماته كانت ذات توجه قومي، وهذا ما حملنا على الاعتقاد بأنّ مؤلفه الذي اعتمدناه ذو وجهة قومية (عربية- إسلامية)، وهذا لا ينفي قيمة العمل الذي قدمه في هذه الدراسة التي صدرت الطّبعة الثانية منها، في سنة 1969م عن المكتبة العصرية للطباعة والنشر ببيروت، بعد أن كانت الطّبعة الأولى قد صدرت عن مكتبة ومطبعة ـضة مصر في سنة 1958م. وقد تعرض الكتاب إلى تاريخ بني إسرائيل اعتماداً على أسفار العهد القديم، وقدم تحاليل نقدية بناءً على دراسات تاريخية، وعلى القرآن الكريم، ترتبت عليها جملة من النتائج، أهمّها تفنيد الكثير من المعلومات التي ذكرتا نصوص العهد القديم.

* **العهد القديم يتكلّم** لـ صموئيل شولتز**:** كان المؤلف صموئيل شولتز أستاذَ الكتاب المقدس وعلم اللاهوت، ورئيس مجلس إدارة قسم الدراسات الكتابية، بكلّية **هو**تين ببلجيكا، لمدة عشرين سنة، وكان بعد ذلك راعياً في الكنائس المستقلّة والمعمدانية، وله مؤلّفات عدة من أشهرها: **الأنبياء يتكلّمون**، و**ناموس المحبة**، و**جوهر الديانة اليهودية**، و**سفر التثنية**، و**إنجيل المحبة**؛ ونتبين من هذه الكتابات التوجه الفكري لصموئيل شولتز الذي يجعلنا نتناول كتابه **العهد القديم يتكلّم** ونضعه في موضع المقارنة مع كتاب محمد عزة دروزة؛ ذلك أنّ كلاهما تطرق إلى تاريخ بني إسرائيل (العبرانيين) من خلال أسفار العهد القديم. فقد صدر الكتاب في سنة 1960م، تحت إشراف الكلّية التي درس ا المؤلّف، وترجم إلى العربية تحت إشراف مطبعة السلام بمصر، في سنة 1983م، من طرف أديبة شكري يعقوب، التي لا نعرف عنها، سوى الانتماء الفكري المتعصب للكاتب صموئيل شولتز، وهذا ما لاحظناه في تقديمها للكتاب.

قدم مؤلف شولتز دراسة تحليلية للعهد القديم، واهتم بتقديم الأسفار عى أنها حقيقة تاريخية أثبتتها الأبحاث الأثرية، وهنا يتضح الاختلاف بين شولتز ودروزة، إذ عالج كلّ منهما موضوع العهد القديم من زاوية تياره، وهذا ما رأيناه مناسباً لدراستنا.

*كما نذكر الكتابات التي تناولت موضوع الملاحم الأوغاريتية، وفي مقدمتها **ملاحم وأساطير من أوغاريت" رأس الشمرا"** لـ أنيس فريحة الذي مر بنا ذكره في المصادر الأثرية، حيث شمل القسم الأول من هذا الكتاب تعريفاً للملاحم، وتقويماً تاريخيا لها، ولم يختلف عنه الشيخ نسيب وهيبة الخازن في مؤلفه **أوغاريت: أجيال ، أديان، ملاحم،** وقد كان استناد المؤلّفين إلى العالم الأوغاريتي فيروّللو كبيراً ، باعتباره موضع ثقة، أو بالأحرى لكونه الأسبق في دراسة تلك الملاحم، ونشرها في مجلّة **سيريا (** *Syria*) المختصة بالدراسات الأثرية بمنطقة سوريا ولبنان.

ومن الدراسات التي اعتمدنا عليها ما تناولت نقدا لأسفار العهد القديم ، وللديانة العبرانية، واتخذت منها موقفاً سلبياً مثل **فضائح التوراة** لـ أحمد عبد الرزاق مصطفى، و**خفايا التوراة وأسرار شعب إسرائيل** لـ كمال الصليبي.

هذا، ونجد مجموعة أخرى من المراجع التي اختصت بدراسة الجوانب الحضارية لشعوب الشرق القديم، فتطرقت إلى أحد الطّرفين، أو كليهما، ونشير مثلاً إلى الجانب الديني الذي تناوله الباحث فاروق الدملوجي في دراسته **تاريخ الأديان، الألوهية وتاريخ الآلهة**، التي صدرت طبعتها الأولى ببيروت في سنة 1949م، ثمّ طبعت ثانية ببغداد، في شكل مجموعة كتب عددها عشرة؛ ثمّ قام فيصل الدملوجي نجل فاروق الدملوجي بجمع تلك الكتب، وإعادة نشرها في مجلّد واحد في سنة 2002م، وهي الطبعة التي اعتمدنا عليها، وقد كان في الكتابين الخامس والسابع ما يخدم موضوعنا، حيث تعرض الأول إلى المعتقدات الوثنية في فصول، كان ثانيها عن الالوهية في المعتقدات الفينيقية؛ بينما كانت فصول الكتاب السابع مخصصة للديانة العبرانية.

أما دراسة دوسو (*René Dussaud*) لديانات الشرق الأدنى القديم، فقد حذت حذو الدملوجي في عرض فصول تتعلّق بطبيعة الديانات التي وجدت في المنطقة المدروسة، وهذا ما جعلنا

نعتمد على مؤلفه في تاريخ الديانات الحورية، والحثية، والفينيقية، والسورية، (*Les religions des Hittites et des Hourrites, des Phéniciens et des Syriens*)
وقد صدر هذا الكتاب بالجامعة الفرنسية بباريس، في سنة1949م، في طبعته الثانية، بعد أن كانت الطبعة الأولى في سنة1945م.

كما كان كتاب **الأسطورة والمعنى دراسات** في **الميثولوجيا والديانات المشرقية** للمؤلّف فراس السواح ذا قيمة لا يستهان بها من حيث الاستفاضة في تحليل وقائع الأساطير والمعتقدات المشرقية القديمة، وقد صدر هذا المؤلف بدمشق، في سنة2001م.

أما الجانب الأدبي فقد أفادنا كتاب **تاريخ اللغات السامية** لـ إسرائيل ولفنسون بفيض من المعلومات التي تخص هذا المجال، لما تعرض له من ذكر لفروع اللغة السامية، وتطرقه إلى العلاقة بين اللغتين الفينيقية والعبرانية، على الرغم من مواقفه المنحازة إلى الطّرف العبراني، ومن التناقضات التي وجدناها فيه، وقارناها بدراسات أخرى.

وقد اختصت دراسات كلّ من نعمت إسماعيل علاّم في **فنون الشرق الاوسط والعالم القديم،** وهوجولا يختنتريت في **الموسيقى والحضارة** بالجوانب الفنية التي تطرقنا إليها كمحور من محاور بحثنا.

ورغم أنّ موضوع دراستنا موضوع فكري، فقد كان من الضروري التطرق إلى الأحداث السياسية، والعسكرية، التي عرفتها المنطقة، بسبب التأثيرات الناجمة عنها؛ ضف إلى ذلك، الوضع الجغرافي للمنطقة الذي أسهم في تغذية الفكر الحضاري؛ وهذا كلّه وجدناه في كتب مختصة بتاريخ المنطقة، مثل كتاب **تاريخ الحضارة الفينيقية** لـ جان مازيل، وكتاب **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،** لـفيليب حتي، و**الحضارة الفينيقية** لـ جورج كونتينو، و**التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم** لـ ياسين سويد، وغيرها من الدراسات التي تطرقت بالتفصيل إلى التاريخ السياسي والحضاري لبلاد كنعان، والمشرق القديم.

هذا، وقد كان للموسوعات والمعاجم دور في إثراء موضوعنا من حيث شرح بعض المسائل الغامضة، أو من حيث توجيهنا إلى الكتب المختصة، مثلاً كان لـابن منظور الفضل في شرح معاني بعض المصطلحات التي أوردناها، وذلك في مؤلفه **لسان العرب.**

تقويم:

مما لا شك فيه أنّ أول انطباعاتنا حول مصادر ومراجع البحث، هو أنها أفادتنا في دراستنا، لما تضمنته من معلومات تاريخية، ساعدتنا في تركيب الفصول، فتكون بذلك ذات قيمة علمية لا غنى عنها.

ويبقى التعليق على التناقضات الواردة في الدراسات التي اعتمدناها، مصادر كانت أم مراجع، من أهم ملاحظاتنا، على الرغم من معرفة أسبا ا، ونعني ا التوجهات الفكرية لأصحا ا، وانتماءاتم العرقية والدينية؛ وفي هذا الأمر خطورة من شأ ا عرقلة الابحاث العلمية، ذلك أنّ الأغراض الذّاتية التي وجهت الدارسين في أبحاثهم، تجعلنا في موقف حرج تجاه القضايا التي عالجوها، ولا سيما في غياب الدلائل الأثرية، والقرائن التاريخية، التي تثبت أو تلغي تلك الدراسات باليقين العلمي، الذي لا يخضع إلى مقاييس الذّاتية؛ فعلى الرغم من اعتماد المؤلّفين على الأبحاث العلمية (التاريخية والأثرية)، نجد طغيان النزعة الذاتية بادياً في مؤلّفاتم، وإن تفاوتت النسب في بروزها.

من أجل ذلك، ينبغي على المتعامل مع الوثائق المذكورة توخي الحذر وعدم الانسياق وراء المعلومات الواردة فيها من غير تمحيص، أو إعادة نظر فيها، وذلك عن طريق اللجوء إلى الشواهد الأثرية، إن وجدت، أو الإتيان بقرائن أدبية، وتحكيم العقل باستخدام الأساليب العلمية المنتهجة في دراسة المواضيع التاريخية، وهذا ما حاولنا اتباعه في هذه الدراسة.

أسهمت أقلام المؤرخين في تدوين تاريخ المنطقة العربية القديم، لما نتج عنه من نشاط حضاري إنساني أثرى الدراسات المختصة في تاريخ البشرية القديم. ولمّا كانت بلاد كنعان جزءاً لا يتجزأ من هذه المنطقة، فقد حظيت بقسط لا يستهان به من الكتابات التاريخية والجغرافية. لذا عكف الدارسون على الإحاطة بجميع جوانبها الحضارية، فتطرقوا إلى الأحداث التي شهدتها، وركّزوا على العناصر البشرية ذات التأثيرات القوية في صنع تاريخ المنطقة.

وبما أنّ دراسة حضارة ما تتطلّب معرفة دقيقة بالمكان الذي قامت فيه، فإنّ الإحاطة بالنطاق الجغرافي لأرض كنعان أمر لازم لدراسة هذا البحث. ومن ثمّة سنحاول التعريف به، وإعطاء صورة بسيطة عن المسيرة الحضارية التي شهدها من خلال أبرز محطّاته التاريخية.

أولا: جغرافية أرض كنعان.

1)المدلول اللغوي والتاريخي لكلمة كنعان:

اختلفت الآراء حول مدلول كلمة كنعان؛ فهناك من يرى أنّ أصلها مشتق من كلمة **كيناجي** *Kenaggi* الحورية[1] للدلالة على الصباغ الأرجواني أو الصباغ القرمزي.

1- الحورية نسبة إلى الحوريين،الذين جاؤوا من المرتفعات الواقعة شمال شرق الهلال الخصيب، وأسسوا إحدى الممالك القوية في الشرق الأدنى، ونجحوا في حوالي سنة 1500ق.م في تأسيس مملكة ميتاني، وقد خلّف الحوريون وثائق مكتوبة باللغة الحورية أو الميتانية المنسوبة إليهم.ولم يتم تفسيرها، باستثناء تلك التي اكتشفت في تل رأس الشمرا، ويرجع تاريخها إلى حوالي سنة1400ق م.-أنظر، فيليب حتي، **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين،** ترجمة، جورج حداد، (بيروت: دار الثقافة1982م)، ج1، ص161-164؛ نائل حنون، **المعجم المسماري"معجم اللغات الأكدية والسومرية والعربية"،** ط1 (بغداد: بيت الحكمة،2001)، ج1، ص47.

وقدوردت في **رسائل تل العمارنة**[1] إشارة إلى هذه الكلمة بصيغة كيناخني أو كيناخي المقصود ا بلاد الأرجوان[2]. ويذهب آخرون إلى أنّ كنعان اسم سامي مشتق من الفعل "كنع" أي انخفض وتواضع، وبذلك يكون معنى كلمة كنعان هو الأراضي المنخفضة[3].

هذا ويرجح أغلب الباحثين أنّ كلمة كنعان ،ذات الاصل السامي، منسوبة إلى الجد الأول للكنعانيين الذين حملوا التسمية إلى المكان الذّي استوطنوا فيه، ضمن الهجرة السامية الثانية الحاصلة في حوالي سنة 2500ق م،حسب رأي المؤرخ بريستد[4] (*Breasted)*. وأصبحت البلاد التي وفدوا إليها تعرف بـ **أرض كنعان**،وبذلك يكون لمصطلح كنعان دلالة جغرافية إلى جانب الدلالة اللغوية والتاريخية.

1- هي الرسائل التي عثر عليها ، سنة 1887م، في قريةتل العمارنة بمصر، وهي مثلة في قطع من الآجر ا كتابة كنعانية على النمط المسماري ، وكان يبعث ا من طرف حكام فلسطين ولبنان وشرقالأردن والعراق إلى أسيادهم حكام مصر في القرنين الخامس عشر والرابع عشر قبل الميلاد.-أنظر، أنيس فريحة، المرجع السابق**،** ص15.

2-فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص85؛ ظفر الإسلام خان، **تاريخ فلسطين القديم،** ط1 (بيروت: دار النفائس،1973 م)، ص16؛ حلمي محروس إسماعيل، **الشرق العربي القديم وحضاراته**، (مصر:مؤسسة شباب الجامعة،1997)، ص174.

3-محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق**،** ص158 ؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص146؛ فيليب حتي**،** المرجع نفسه،ج1، ص85.

4-شهد العالم القديم موجة من الهجرات السامية التي قامت ا جماعات منتسبة إلى سام بن نوح على دفعات، أشهرها:دفعات البابليين، في والكنعانيين، والآراميين، والعبرانيين،ثمّ العرب، ويعتقد أنّ شبه الجزيرة العربية هي الموطن الأصلي لتلك الجماعات المهاجرة، ولعلّ أولى الهجرات السامية قد حصلت في حوالي سنة 3130ق م.-أنظر، وهيب أبي فاضل، **لبنان** في **مراحل تاريخه الموجزة**، ط2 (بيروت: مكتبة أنطوان، 2004م)، ص15؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع نفسه، ص146؛ فيلييب حتي، نفسه، ج1، ص27؛

M .S.Munk, Palestine *: Description géographique, historique, et archéologique***,** **(**Paris : Librairies de l’institut de France, s-d) ,p3.

2)المفهوم الجغرافي لكنعان :

أطلق اسم كنعان على منطقة فلسطين الحالية، وعلى جزء كبير من الساحل السوري وظهيره الممثل في جبال لبنان[1].

وقد حدد العهد القديم بلاد كنعان بنهر الأردن وببحيرة طبريا شرقاً، لينطلق منها خطّ أفقي نحو البحر المتوسط الذّي يحدها من الغرب، ويمر الخطّ من مدينة صيدا مشكّلاً الحد الشمالي للبلاد، وصولاً إلى يافا جنوباً. هذا على أنّ المنطقة الكنعانية كانت أوسع مما ذكره العهد القديم، الذّي أراد بذلك الحصر تحديد موطن العبرانيين المعروف بأرض الميعاد[2].

ويفهم من ذلك أنّ نظرة العبرانيين إلى بلاد كنعان وتخومها كانت محددة حسب حاجتهم إلى إنشاء كيا م، فشملت تقريباً، كلّ فلسطين الحالية.

كما أسهمت طبيعة المكان في الفصل بين أجزاء بلاد كنعان، إذ نميز بين إقليمين متباينين من حيث البنية التضاريسية، وهما: الإقليم الفينيقي شمالاً، والإقليم الفلسطيني جنوبا*.

1- موسكاتي سباتينو،المرجع السابق، ص124؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص147؛ ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص17؛ -أنظر الملحق رقم 4، ص157.

M .S.Munk ,op .cit .p3.

2- ياسين سويد، **التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم**، ط1(بيروت: شركة المطبوعات للتوزيع والنشر،1998)،ج1، ص117،113؛ ظفر الإسلام خان، المرجع نفسه، ص16؛ - أنظر الملحق رقم5، ص158.

*-إنّ التسمية الواردة أعلاه بخصوص الإقليمين الفينيقي ، والفلسطيني، لم ترد فيما قرأناه من الكتب التي عالجت هذه المسألة. ولكننا ارتأينا أنّ من المفيد إجراء هذا الضبط المعجمي لتسهيل الإحاطة الجغرافية بالمنطقة.

أ/الإقليم الفينيقي:

لم يكن الإقليم الفينيقي يمثّل دولة موحدة، بل كان امتداداً جغرافياً على طول الشريط الساحلي الضيق، المطلّ غرباً على شرق البحر المتوسط،إذ يبلغ طوله حوالي 270كلم، وعرضه نحو36 إلى 45كلم، مع الاختلاف في تحديد طول الساحل الّذي يمتد أحياناً إلى الجنوب ليشمل مدناً فلسطينية[1].

ويتميز هذا الإقليم من الناحية التضاريسية بكثرة الجزر المحاذية لساحله المفعم بالرؤوس والخلجان الّتي تفصل بينها الطّبيعة بأ ار ووديان منبعها الجبال.

أما من جهة الشرق، فتفصل الساحل الفينيقي عن قارة آسيا سلسلتان جبليتان متوازيتان، يتوسطهما سهل عرف لدى الإغريق باسم **سوريا المنخفضة**، ويعرف حاليا بـ **سهل البقاع،** ومعناه الحرفي هو: **حيث تركد المياه،**ويبلغ علو السلسلة الأولى المنتهية إلى الساحل 3110م على مستوى سطح البحر، بينما يبلغ اقصى ارتفاع في السلسلة الثّانية المتجهة نحو الإقليم السوري الداخلي 2800م فوق مستوى سطح البحر[2].

وقد عرف الإقليم الفينيقي في تضاريسه الجبلية بصعوبة المسالك وكثرة العوائق الطبيعية، كما كثرت فيه الكهوف، والمغارات، والوديان، ناهيك عن الغابات الّتي غطّت ،بكثافة، جبال لبنان

1-Fabrice Leomy, « *La Phénicie : Puissance maritime et commerciale* », Les grandes batailles de l'histoire, N°29, Paris, 1994, p79;

2-Adel Ismail ,*Lebanon .History of a people* ,trans :shereen khairallah(Beirut:Dar Al-Makchouf,1972),p15;

محمد السيد غلاّب، **الساحل الفينيقي وظهيره في الجغرافيا والتاريخ،**ط1 (بيروت:دار العلم للملايين،1969م)،307.

بأشجار السرو،والصنوبر، والصفصاف، والأرز الذي لا يزال رمز لبنان حتى في أيامنا هذه[1].

ب/ الإقليم الفلسطيني[2]:

أشرنا إلى أنّ العهد القديم قد حدد بلاد كنعان بنطاق جغرافيّ لا يتعدى الخطّ المار من بحيرة طبريا شمالاً، ونجد ذلك في الإصحاح الرابع والثّلاثين من سفر العدد:"**وكلم الرب موسى قائـلاً: أوص بني إسرائيلَ و قُلْ لهم إنكم داخِلونَ إلى أرض كنعانَ. هذِهِ هِي الأرض التِي تقَع لكُم نصِيباً. أرض كنعانَ بتخومِها. تكُونُ لكُم ناحِيةُ الجنوبِ مِن برية صِين على جانِبِ أدوم. و يكُونُ لَكُم تخم الجنوبِ مِن طَرفِ بحرِ المِلْحِ إلى الشرق و يدور لكُم التخم مِن جنوبِ عقَبةِ عقْربيم و يعبر إلى صِين وتكُونُ مخارجه مِن جنوبِ قَادِش برنِيع ويخرج إلى حصر أدار و يعبر إلى عصمونَ. ثُم يدور التخم مِن عصمونَ إلى وادِي مِصر وتكُونُ مخارجه عِندالبحر. وأما تخم الغربِ فَيكُونُ البحرُ الكَبير لَكُم تخماً. هذَا يكُونُ لَكُم تخم الغربِ. و هذَا يكُونُ لَكُم تخم الشمال. مِن البحرالكَبير ترسمونَ لَكُم إلى جبل هور . ومِن جبل هور ترسمونَ إلى مدخل حماةَ وتكُونُ مخارج التخمِ إلى صدد.ثُم يخرج التخم إلى زِفْرونَ وتكُونُ مخارجه عِند حصر عِينانَ. هذَا يكُونُ لَكُم تخم الشمال. وترسمونَ لَكُم تخماً إلى الشرق مِن حصر عِينانَ إلى شفَام. وينحدِر التخم مِن شفَام إلى رِبلَةَ شرقَي عين. ثُم ينحدِر التخم ويمس جانِب بحر كِنارة إلى الأردن وتكُونُ مخارجه عِند بحرِ المِلْحِ. هذِهِ تكُونُ لَكُم الأرض بتخومِها حوالَيها.**"[3]

---

[1]- يوسف الحوراني، **لبنان في قيم تاريخية "العهد الفينيقي" (**بيروت:دار المشرق للنشر،1972م)، ص38؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص150.

[2]- فلسطين هي تسمية أريد ا الإشارة إلى المنطقة الّتي سكنها الشعب الفلسطيني، منذ القرن الثّاني عشر قبل الميلاد. – أنظر، ظفر الإسلام خان، المرجع السابق،ص18؛ محمد السيد غلاّب، المرجع السابق، ص20.

[3]- العهد القديم، عد:34/1-12.

ويبدو أنّ البلاد المذكورة هي أرض الميعاد الّتي أمر الرب موسى وبني إسرائيل بدخولها.

كما يتضح أنّ الأرض الّتي ذكرها العهد القديم هي تقريباً أرض فلسطين الحالية الواقعة إلى الغرب من نهر الأردن وشرق البحر المتوسط[1] .

ويختلف الإقليم الفلسطيني عن الإقليم الفينيقي من حيث طبيعة التضاريس، إذ يتميز الأول بساحل رملي متسع قليل الرؤوس والخلجان، وتجذبه إلى الشرق عوامل البيئة الصحراوية[2]؛ مع وجود سلسلة جبلية تعرف بجبال الجليل المنقسمة إلى سلسلة عليا ، وسلسلة سفلى، ويمكن اعتبارهما امتداداً طبيعيا لجبال لبنان، على الرغم من المسافة الفاصلة بينهما[3].

3)أهم المدن الكنعانية:

توزعت المدن الكنعانية على طول الساحل السوري (الفينيقي شمالاً، والفلسطيني جنوباً)، بالإضافة إلى وجود مدنٍ داخلية. وقد تميزت تلك المدن بمواقعها في المرتفعات وبحصانتها المنيعة[4].

ولم تتشكّل في الإقليم الفينيقي أو في السهل الفلسطيني دولة موحدة، بسبب طبيعة التضاريس، بل كانت منتظمة في دويلات- مدن تداولت الزعامة فيما بينها[5].

---

[1]- ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص16 ؛ M.S.Munk,op .cit.p3

[2]- محمد السيد غلاّب، المرجع السابق ص21، 34.

[3]- محمد الصغيرغانم، **التوسع الفينيقي** في **غربي البحر الأبيض المتوسط** (الجزائر: المؤسسة الوطنية للكتاب،1992م)، ص15.

[4]- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص123؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ص 89؛ Adel Ismail,op .cit.p16

[5]- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص ؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص150.

ومن جملة تلك المدن، مدنٌ أسهمت في صنع أحداث المنطقة، ستكون ميدان دراستنا، وسنحاول ضبط تعاريف لكلّ واحدة منها.

أوغاريت(*Ugarit*):

أشارت النصوص الكنعانية القديمة إلى تسمية أوغاريت بالجذر"أ ج ر ت" الّذي يعني لدى البابليين الحقل[1].

وأوغاريت هي المدينة المكتشفة سنة 1929م في تل **رأس الشمرا**[2] الواقع على بعد 12كلم شمال اللاّذقية، والقريب من الميناء المعروف ب"المينا البيضا" مقدار800م.وقد عد هذا الميناء مرفئاً دوليا اجتمعت فيه شعوب المنطقة في القرن الرابع عشر قبل الميلاد[3].

وامتازت المدينة بتنوع آثارها مثل "قصر الملك نقماد"(أو نقمادا، ومعناه نقمة حدد)،والألواح الّتي تحوي نصوصاً سيأتي ذكرها في الفصول اللاحقة[4].

أرواد/أرادس: أطلق الإغريق على مدينة أرواد تسمية" أنتارادس"، وأسماها الصليبيون، من بعد، "طرطوسا" المعروفة حالياً ب"طرطوس" الواقعة جنوب مدينة أوغاريت[5].

قامت مدينة أرواد على موقعين منفصلين، أحدهما في البر والآخر فوق جزيرة صخرية قرب

---

1 - أنيس فريحة، المرجع السابق، ص16.

2 - تمّ العثور على المدينة صدفة عندما عَلِق محراث فلاّح سوري ببلاط قبر، فاعتقد أنه مخبأ ك . ولمّا علمت دائرة الآثار بسوريا ولبنان (*Service d'archéologie en Syrie et au Liban*) بالأمر، أعلنت عن مباشرتا بأعمال التنقيب تحت إشراف الباحث **شارل فيرولّو** *Veroullaud*، ومن بعده الأستاذ **كلود شيفر***C.Sheffer*. وقد أسفرت تلك الأعمال بين سنتي 1929و1939م عن حفريات عميقة ومتنوعة.- أنظر، أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص18-19.

3 -فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص123؛ أنيس فريحة، نفسه، ص19.

4-فيليب حتي، المرجع نفسه، ج1، ص123.

5-فيليب حتي، نفسه، ص90.

الشاطيء؛ أما الموقع البري فقد شكّل سوقاً تجارية في أيام السلم، بينما كان الموقع البحري ملجأ الأرواديين الفارين من الضغوط والغزوات الّتي كانت تلحق م في الموقع البري من طرف قُوى مجاورة.

وقد اختير الموقع البحري لغرض اللّجوء بسبب حصانته وضخامة أسواره الحجرية.

طرابلس: جاءت تسمية طرابلس من التسمية الإغريقية القديمة (*Tripolis*) الّتي معناها ثلاث مدن، أما اسم المدينة الفينيقية، فلا يزال مجهولاً، لأنها لم تكن ذات أهمية[1].

ويأتي موقع مدينة طرابلس في المرتبة الثّالثة بعد مدينتي **عمريت** (ماراتوس)، **وسيميرا**(سيميروس)، جنوب مدينة أرواد، وشمال مدينة بيروت، الّتي تبعد عنها مسافة 85كلم. وتأسست هده المدينة مند حوالي القرن السابع قبل الميلاد، ولا تزال تحتفظ بمعالم أثرية يرجع عهدها إلى الفترتين الإغريقية ، والرومانية[2].

البترون: أسس الفينيقيون جنوب مدينة طرابلس مدينة أسماها الإغريق (*Botrys*) وظلّت تحمل ذلك الاسم في الفترة الرومانية. ومنذ القرون الوسطى أصبحت المدينة تعرف بالبترون إلى يومنا هذا[3].

1- فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص89.

2- JeanPierreDummar, *Lebanon*, (Lebanon UniversalcompanyforEncyclopedia, 2004), p72; محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص22

3- محمد الصغير غانم، المرجع نفسه، ص22؛ J. P. Dummar, op.cit., p71

وقد تميزت مدينة البترون، بميناء الصيد الفينيقي الّذي لاتزال تحتفظ به، وبالمسرح الروماني، وبعض المعالم الأثرية(1).

جبيل/ بيبلوس(*Byblos*)**:** تقع مدينة جبيل على بعد حوالي 40كلم شمال بيروت، وهي من أقدم المدن الفينيقية(2).

وعرفت المدينة بعدة أسماء هي: **كِبن** أو **كِبين** لدى المصريين القدماء(3)، ووردت في الجذر الكنعاني بصيغة (**ج ب ل**)(4)، كما ذكرت في العهد القديم باسم **جبلا**، و **جِبلْ**، ومنه اشتقّت التسمية المتداولة بالعربية وهي **جبيلْ**(5).

أما الإغريق فقد أطلقوا على المدينة تسمية **بيبلوس**، الّتي تعني الورق، أو الورق المكتوب، أو الكتاب، وذلك لريادتنا في تجارة ورق البردي المصري منذ القرن الثالث عشر قبل الميلاد، وباعتبارها أم الكتابة والحرف(6).

1- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص16؛

Grand Larousse Encyclopédique, T 1 ; J.P.Dummar, op.cit, p71.

2- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص152.

3- حلمي محروس إسماعيل، المرجع نفسه، ص152.

4- جان مازيل، **تارخ الحضارة الفينيقية الكنعانية**، ترجمة، ربا الخش، ط1 (سوريا:دار الحوار للنشر والتوزيع،1998م) ص43.

5- J.P.Dummar,ibid,p53.

6- وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص18؛ جان مازيل، المرجع السابق، ص43؛

J.P.Dummar,ibid ;p53

.

وقد تكون الكلمة الإغريقية **بيبل***Bible* الّتي تعني الكتاب لغة، والكتاب المقدس اصطلاحاً (أي التوراة والإنجيل) مشتقّة من كلمة بيبلوس[1].

كانت جبيل من أهم المراكز الدينية الآهلة بالسكان منذ أقدم العصور، وقد امتازت بتوطيد علاقاتا مع دول الجوار خاصة مع مصر[2].

بيروت *Beyrouth*: تعني كلمة بيروت في اللغة العربية آبار، ولم تكن هذه المدينة الساحلية، الّتي تأسست على يد سكّان جبيل في حوالي القرن الرابع عشر قبل الميلاد، ذات أهمّية كبرى، لكنها ازدهرت في العهدين الإغريقي والروماني، خاصة على المستوى الثّقافي والتعليمي[3].

صيدا *Sidon*: يدلّ اسم صيدا في الجذر العربي (**ص ي د**) على أنها مصيدة، وقد أثبتت الأبحاث التاريخية أنها كانت مسمكة بسيطة، حيث مارس سكّا ا نشاطاً بحرياً تمثّل في صيد السمك، واستخراج القواقع البحرية لاستخلاص الأصباغ الأرجوانية. كما نسبت المدينة في التسمية إلى **صيدونا** إله الصيد البري والبحري[5].

ولم يختلف القدماء كثيراً في تسمية المدينة، فقد عرفها الآشوريون باسم **صيدونا،** والمصريون باسم **صيدونو،** واستخدم العهد القديم تسمية **صيدون** نسبة إلى الابن الأكبر لكنعان بن حام بن نوح ،

1- جان مازيل، المرجع السابق، ص43، فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص80

2- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص152؛

J.P.Dummar, op.cit, p53.

3- J.P.Dummar, Ibid,p6.

4- Fabrice Leomy, Ibid,p87.

5- فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص80.

وعممتها على سائر الفينيقيين[1]؛ وقد ورد في الإصحاح العاشر من **سفر التكوين** ما يدلّ على ذلك:**"...وكَنعانُ ولَد صيدونَ بِكْرِه..."**[2].

أما موقع المدينة فهو سهل ساحلي ضيق، منحصر بين السفوح الغربية لجبال لبنان الجنوبية شرقاً، والبحر المتوسط غرباً، ويمتد إلى البحر عبر أرصفة اصطناعية، ليصل إلى رأس جبلي مشكّلٍ من سلسلة جزر صغيرة متصل بعضها ببعض(3).

تميزت مدينة **صيدا** بخصوبة تربتها ووفرة مياهها؛ وكانت جهة البر محمية بسور، أما جهتها المطلّة على البحر فكانت محمية بمرفأين: أحدهما شماليّ، والآخر جنوبي، ويعرف بالمرفأ المصري(4).

برزت **صيدا** منذ القرن الرابع عشر قبل الميلاد، على الساحة الفينيقية، ووطّدت علاقات تجارية مع الدول المجاورة لها، مثل الفراعنة، والعبرانيين، والكنعانيين، والفلسطينيين(5).

صور(*Tyr***):** توجد مدينة صور-الّتي يعني اسمها في اللغة الفينيقية صخرة- جنوب مدينة صيدا، وهي مثل معظم المدن الفينيقية، تقع في قسمين: أما القسم البري فتم تأسيسه من طرف جماعة من الصيدونيين الفارين من هجمات شعوب البحر، منذ حوالي سنة1100ق م(6)، وهو يمتد إلى القسم

1- العهد القديم، تك:16/10.

2-لعلّ أكبر تلك الجزر هي الّتي شيد فوقها الصليبيون قلعة لا تزال آثارها قائمة، وهي قلعة صيدا.-أنظر، فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص91؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص145؛

J.P.Dummar, op.cit. p47.

3-فيليب حتي، المرجع نفسه، ج1، ص91.

4-فيليب حتي، نفسه، ج1، ص91؛

J.P.Dummar, ibid .p47

5-Fabrice Leomy,op.cit.p87 ; J.P.Dummar,ibid,p47.

6-Gerhard Herm,*Les phéniciens :*Antique royaume de la pourpre*****,tr :Denise Meunier(France :LibrairieArthme Fayet,2002),p80 ;Fabrice Leomy,**ibid**,p87.

البحري بواسطة جسر محاط ببقعة رملية[1]؛ويتميز بالمرفأالرئيسي الجنوبي، وبالرصيف المحاط حول الجزيرة، وبالأسوار الضخمة المحصنة لها، والجاعلة من **صور** أقوى الموانيء التجارية[2] .

وليس هناك دليل مادي يثبت عظمة مدينة صور، بسبب الدمار الّذي لحقها من جراء هجوم الملك البابلي نبوخذ نصر في سنة 574ق م، ثمّ غزو الإسكندر المقدوني لها في سنة 331ق م[3]، رغم ما أشارت إليه النصوص القديمة من تلك العظمةن مثل نصوص العهد القديم، الّتي ورد فيها ذكر لازدهار المدينة، وعلاقاتا التجارية، ونجد ذلك في الإصحاح السابع والعشرين من سفر حزقيال:**"...وقُلْ ِلصور أيتها السّاكِنةُ عِند مداخِل الْبحرِ، تاجِرةُ الشعوبِ ِإلى جزاِئر كِثيرة....ياصور أنتِ قُلْتِ أنا كَاِملةُ الْجمال. تخومكِ ِفي قَلْبِ الْبحورِ.** بناؤوكِ **تمموا جمالكِ..."**[4].

بعلبك (*Baàlbak***):** كانت بعلبك واحدة من المدن الفينيقية المزدهرة، وإن لم تكن ساحلية، فهي تحتلّ موقعاً داخلياً شمال سهل البقاع. وعرفت المدينة في العهد الإغريقي باسم **هليوبولس (***Héliopolis***)** الّذي معناه: مدينة الشمس. ومجيء الرومان أصبحت بعلبك من أكثر المدن أهمية لما زخرت به من مرافق حضارية لا تزال آثارها شاهدة عليها إلى اليوم[5].

1- بني الجسر في عهد الإسكندر المقدوني، أثناء حصاره المدينة. –أنظر، جان مازيل، المرجع السابق، ص47-48.

2- فيليب حتي، المرجع السابق،ج1، ص91؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص155.

3- جان مازيل، المرجع نفسه، ص48.

4- العهد القديم، حز:27/1-4.

5- J.P.Dummar, op.cit .p86.

6- Le Petit Robert 2,p8 ; فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص88.

هذا، ويستمر امتداد الساحل الفينيقي إلى الجنوب ماراً بمدنٍ لا تقلّ أهمّية عن الّتي ذكرناها، إذ ثمّة مدن ساحلية أخرى مثل:

عكا (*Acre*) **:** معنى كلمة عكا أو عككو الرمل الحار، وعكا هي المدينة الساحلية الّتي خضعت في كثير من الأحيان، إلى النفوذ الفينيقي، علماً بأنها كانت تابعة للإقليم الفلسطيني جغرافياً. وقد عرفت في الفترة الإغريقية باسم **بطوليموس**(*Ptolémée*) (1).

يافا (*Jaffa*) **:** وهي أيضاً مدينة ساحلية تأسست في زمن مبكر، وكانت، في زمن العبرانيين، المرفأ الرئيسي(2).

أريحا(*Jéricho*) **:** اشتقت كلمة أريحا من الأصل الكنعاني **يريحو** أي مدينة القمر، وقد أشارت الدلائل الأثرية إلى أنّ أريحا كانت أول مدينة دخلها العبرانيون، حسب ما ورد في سفر يشوع، الذي جاء فيه: **"...ولمّا ارتحلَ الشعب مِن خِيامِهم ِلكَي يعبروا نهر الأُردنْ...وعبر الشعب مقَابِلَ أريحا..."**(3)، وأعادوا بناءها في القرن التاسع قبل الميلاد، وأريحا من أقدم المدن في تاريخ العالم القديم(4).

1-Le petit Robert2**,** op.cit, p920

فيليب حتي**،** المرجع السابق، ج1، ص88.

2-Le Petit Robert2, ibid, p935.

3-العهد القديم، يش: 3/14-16.

4-جعفر الخليلي، **الملخص لكتاب العرب واليهود** في **التاريخ،** ط2 (بغداد:دار الرشيد للنشر،1979م)، ص33؛ فيليب حتي، المرجع نفسه، ج1، ص87.

أورشاليم (*Jérusalem*)**:** جاء ذكر مدينة أورشاليم في العهد القديم باسم **يبوس،** على أنها إحدى المدن الكنعانية الّتي أسسها اليبوسيون[1]، في حوالي الألف الثّانية قبل الميلاد[2]. ومنذ مجيء العبرانيين، أسس الملك داود بالمنطقة مدينة عرفت بمدينة داود، وأطلق عليها اسم أورشاليم والّذي يعني مدينة السلام. ولّما كان العهد الهلليني، عرفت المدينة باسم **يورو –ساليما،** وهي مدينة القدس حاليا[3].

ولا يسعنا ذكر كل المدن الكنعانية، التي كانت مسرحاً للأحداث، لأ ا جمة، علماً بأنها قد تعترضنا في كثير من المرات. ويمكننا الإشارة إلى أسماء منها، مثل:مجدو، وشكيم(نابلس حاليا)، ولكش، وبيت لحم، وعسقلان، وبيشان(أو بيت شان التي تعني بيت الإله شان،وهي حاليا بيسان)، وحبرون، وبئر السبع، وغزة...[4].

أما عن السكان الّذين استوطنوا هذه المدن وكانوا رواد أحداثها، فهم شعوب مختلفة، وفدت إليها في أزمنة مختلفة، وكان لكلّ منها دور حضاري لايقل أهمية عن الآخر. ونذكر في طليعة تلك الشعوب: الفينيقيين، والعبرانيين.

1- اليبوسيون هم بطن من بطون القبائل السامية الّتي هاجرت من شبه الجزيرة العربية في حوالي سنة3000ق م.-أنظر، ياسين سويد، المرجع السابق، ج1، ص118.

2-عارف باشا العارف، **تاريخ القدس**، (مصر: دار المعارف،1951م)، ص11؛
Bibliothèque de la Pléiades, *La Bible، L'Ancien testament*, (Belgique : Edition Gallimard, 1956), T1, p32.

3-Le Petit Robert2,p936 ; جعفر الخليلي، المرجع السابق، ص32.

4-فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص87-89؛خالد سالم إسماعيل،"الكنعانيون من الأقوام العربية القديمةفي بلاد الشام" **الوطن العربي النواة والامتدادات عبر التاريخ،**ط1(بيروت:مركز دراسات الوحدة العربية،2003)، ص48.

4)السكان:

ضمت بلاد كنعان عدة شعوب، توزعت على المدن المذكورة آنفاً؛ ويذكر العهد القديم- في سياق الحديث عن دخول العبرانيين إلى أرض كنعان- جملة من تلك الشعوب، ممثّلة في : الحثيين، والجرجاشيين، والأموريين، والكنعانيين، والفرزيين، والحويين، واليبوسيين. وذلك في سابع إصحاح من **سفر التثنية:"...متى أ تى بك الرب إلهك إلى الأرض التي أنت داخل إليها لتمتلكها وطرد شعوبا كثيرةً من أمامك الحثيين والجرجاشيين والأموريين والكنعانيين والفرزيين والحويين واليبوسيين سبع شعوبٍ أكثر وأعظم منك..."**[1].

و يذكر اللواء ياسين سويد، في الجزء الاول من كتابه **التاريخ العسكري لبني إسرائيل من خلال كتابهم**، مجموعة أخرى من الشعوب ،هي: الفلسطينيون، والعمونيون، والمؤابيون، والأدوميون، والعمالقة. وهو لايقف مثل العهد القديم عند ذكر سكان الإقليم الفلسطيني فحسب، بل يضم إليه سكّان الإقليم الفينيقي،أي الفينيقيين، باعتباره جزءًا من بلاد كنعان، كما يشير إلى أنّ معظم تلك الشعوب،كنعانية الأصل[2].

وبما أنّ بحثنا مقتصر على دراسة العلاقات الفينيقية العبرانية، فسنكتفي بذكرهذين الشعبين فيما يأتي:

أ/الفينيقيون:

اختلفت المصادر في تحديد معنى كلمة فينيقي؛ فهي حسب البعض كلمة عربية معناها: الفحل، أو المكرم، أوالنبيل، وقدلايختلف المعنى عن ذلك في اللغة الكنعانية، وبالتالي يصح الاعتقاد بأنها كلمة سامية مشتقة من لفظ **فينيقس** أو **فوينكس**[3]**؛**ويرى البعض الآخر أن أصل هذه الكلمة تحريف للفظ **فنحو**(*Phenehu*) المصري[4].

---

[1]- العهد القديم، تث01/:07.

[2]-ياسين سويد، المرجع السابق،ج1، ص116-121.

[3]-يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص111.

[4]-محمد السيد غلاّب، المرجع السابق، ص17.

كما ينسب المؤرخون القدماء أمثال فيلون الجبيلي[1] تسمية فوينكس، إلى **فينيقس** الجد الأول للفينيقيين، الذي ترأس إحدى القبائل الكنعانيةالمهاجرة[2].

هذا، وقد أجمع فريق آخر من المؤرخين وعلى رأسهم هيرودوت، على أنّ اسم فينيقس أصله إغريقي، ومعناه اللون الأحمر الأرجواني، فجاءت تسمية الفينيقيين للدلالة على السكان المنتظمين في سواحل الإقليم الذي أسميناه بالإقليم الفينيقي، لأنهم اختصوا باستخراج اللون الأحمرالأرجواني من القواقع البحرية[3].

ومهما اختلفت معاني كلمة فينيق، فهي تتفق في دلالتها على الكنعانيين المستقرين في سواحل المدن الكنعانية الواقعة إلى الشمال من الإقليم الفلسطيني[4].

1- عاش فيلون الجبيلي في مدينة جبيل في القرن الأول بعد الميلاد، وهو صاحب نظرية التكوين الفينيقية، المكتوبة على النمط الإغريقي. وقد زعم أنها منقولة عن شخصية دينية من القرن الرابع عشر قبل الميلاد، هي شخصية **سنخونياتن** التي لم يذكرها سواه.- أنظر، فراس السواح، **الأسطورة والمعنى "دراسات في الميثولوجيا والديانات المشرقية"**، ط2 (دمشق:دار علاء الدين للنشر والتوزيع،2001)، ص41؛

M.S.Munk, op.cit, p92.

2- يذكر بأنّ الاسم الحقيقي لفينيقس هو **كناع**، شقيق **قدموس** مؤسس طيبة بمصر، حيب الأساطير اليونانية، الّتي ترجع الفضل إلى هؤلاء في تأسيس المدن القديمة باعتبارهم أبطال سلالة نصف إلهية.- أنظر، محمد السيد غلاّب، المرجع السابق، ص17؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص111.

3- يرى الباحث ملّلر بأنّ الإغريق أطلقوا تسمية **ألوي** للدلالة على اللون الأحمرالأرجواني، وهي كلمة مشتقة من أُليوسْ التي تعني الدم الأحمر، وقبل ذلك كانوا يطلقون تلك التسمية على التجار والبحرة الكنعانيين ذوي الوجوه النحاسية اللون بسبب لفحات الشمس. وهذا الرأي قد يستبعد علاقة الكلمة فينيقي باللون الاحمر الأرجواني، رغم شيوع استعماله.- أنظر،محمد السيد غلاّب، المرجع نفسه، ص17؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص87؛

Histoire d'Hérodote, Livre1, Chapitre1 ; M.S.Munk, ibid, p77.

4- بيان نويهض الحوت، **فلسطين القضية_الشعب_الحضارة**، ط1 (بيروت:دار الاستقلال للدراسات والنشر،1991م)، ص22؛ ظفر الإسلام خان، المرجع السابق،ص31؛ وهيب ابي فاضل، المرجع السابق، ص17.

أما عن مصدر هجرة الفينيقيين، فإنّ الأخذ بالرأي القائل بأنهم سكان المنطقة الأصليين[1]؛ وكذلك الأخذ بالاعتقاد السائد في زمن هيرودوت أنّ مصدر الهجرة ذلك كان الخليج الفارسي[2]، هي أمور مستبعدة، وذلك لعدة اعتبارات أهمّها انتساب الفينيقيين إلى الكنعانيين، مما يجعل مصدر هجرتهم ضمن الهجرات السامية، هو شبه الجزيرة العربية[3]، وذلك في حوالي الألف الثالثة، أو الرابعة قبل الميلاد[4].

ب/العبرانيون*:

شاع استعمال مفردات:عبراني، ويهودي، وإسرائيلي، كمسميات مختلفة لشعب واحد دون التمييز بين دلالاتها التاريخية، أوالجغرافية، أوالعقائدية[5].

فإذا تناولنا تسمية عبراني، أوعبري، فنحن نجدها مشتقة من الجذر العبري الثلاثي الّذي يقابله بالعربية الجذر **عبر** ومعناه: انتقل، أو ارتحل، أو عبر من مكان إلى آخر. وهناك من يرى أنّ التسمية

منسوبة إلى عابر، وهو أحد أجداد النبي إبراهيم[6] .

1- وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص17.

2- حامد عبد القادر، **الأمم السامية"مصادر تاريخها وحضارتها"**، مراجعة:عوني عبد الرؤوف، (مصر: دار نهضة مصر للطباعة والنشر،1981)، ص101؛

Histoire d'Hérodote, Livre 07, Chapitre89 ; M.S.Munk, op.cit, p77.

3- وهيب أبي فاضل، المرجع نفسه، ص17.

4- محمد السيد غلاّب، المرجع السابق، ص21.

*رغم الاختلاف الّذي سنلحظه في التسميات المختلفة للعبرانيين، فسنستعمل خلال هذه الدراسة تسمية العبرانيين، لكي لا تختلط علينا الأمور.

5- محمد خليفة حسن أحمد، **تاريخ الديانة اليهودية**، ط1 (القاهرة: دار قباء للطباعة والنشر،1998م)، ص21.

6- أشارت مجموعة من الباحثين إلى وجود علاقة بين لفظ عبيرو ولفظي خبيرو وعبيرو المذكورين في المصادر المصرية، والآشورية، والبابلية القديمة،والمقصود بهما قبائل بدوية منها العربية، ومنها الآرامية الّتي ينتمي إليها النبي إبراهيم جد العبرانيين. –أنظر، أحمد يوسف داود، **الميراث العظيم**، ط1 (دمشق:دار المستقبل،1991)، ص371-375؛ محمد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص22.

وثمّة دلالات أخرى لكلمة عبري، فقد وردت في الإصحاح الحادي والعشرين من سفر الخروج بمعنى الغريب أو الأجنبي:**"..إذَا اشتريت عبدا عِبرانِياً فَسِت سِنِين..."**[1]. وجاءت في الإصحاح الخامس والعشرين من سفر التثنية بمعنى أخ:**"..إذَا بِيع لَك أخوك الْعِبرانِي أو أختك الْعِبرانِيةُ ..."**[2].

كما يرى إسرائيل ولفنسون في كتابه تاريخ اللغات السامية أنّ كلمة عبري معناها المتنقل أو المتجول في الصحراء، وهو المعنى نفسه الّذي يخص كلمة عربي؛ ولعلّ أوضاع العرب والعبرانيين، الّتي تطلّبت التنقل في الصحراء العربية، قبل استقرارهم، دليلٌ على ذلك[3].

أما تسمية إسرائيلي فمعناها حسب العهد القديم، "المصارع مع الرب" أو ا لـاهد مع الرب[4]، وهي التسمية الجديدة للنبي يعقوب؛ وقد ورد ذلك في الإصحاح الثّاني والثلاثين من سفر التكوين:**"...فَقَالَ ما اسمك. فَقَالَ يعقُوب. فَقَالَ لاَ يدعى اسمك ِفيما بعد يعقُوب بلْ ِإسرائِيلَ..."**[5]**،** وأصبح الاسم متداولاً للدلالة على نسل يعقوب؛ وكذلك ذكرهم القرآن الكريم

1- العهد القديم، خرو:2/21.

2- العهد القديم، تث:12/15.

3- إسرائيل ولفنسون، **تاريخ اللّغات السامية**، ط1 (ـ ـ : مطبعة الإعتماد، 1929)ص ؛ حامد عبد القادر، المرجع السابق، ص110.

4- لهذه التسمية قصة إسرائيلية مفادها أنّ النبي يعقوب صارع الله في إحدى الليالي، وأوشك أن يصرعه، لولا أن استخدم هذا الأخير(أي الله) حيلة، عندما رأى استحالة صرع يعقوب، فضربه على حق فخذه، وقطع له عرق النسا، مما أدى بالنبي يعقوب إلى تحريم أكل لحوم الإبل وألبا ا على نفسه، ولمّا أوشك الفجر أن يطلع ناشد الله يعقوب أن يطلق سراحه، لئلاّ يفتضح أمام الناس ويبطل كونه رباً؛ ولم يقبل يعقوب ذلك إلاّ بعد مباركة الله له، وتغيير اسم يعقوب إلى إسرائيل.- أنظر: العهد القديم، تك:32 /24-29؛ صلاح عبد الفتاح الخالدي، **الشخصية اليهودية من خلال القرآن،** ط1 (الجزائر: شركة الشهاب،1987م)، ص22-23.

5- العهد القديم، تك: 28/32.

على أنهم ينتمون بالنسب إلى إسرائيل، في محكم آياته **:"...أولئك الّذين أنعم الله عليهم من النبيين من ذُرية آدم، ومن ذُرية إبراهيم وإسرائيل."**[1]

وقد أطلقت تسمية إسرائيلي، أو بني إسرائيل، بديلاً عن لفظ عبراني، منذ القرن التاسع عشر، أو الثّامن عشر قبل الميلاد[2]. فقد ذكر **العهد القد**يم ذلك في بعض أسفاره مثل**:"...وضرب شاولُ بالبوق في جميع الأرض قائلاً ليسمع العبرانيونَ. فسمع جميع إسرائيلَ..."**[3].

وكلمة إسْرائيل حاليا تمثل الكيان السياسي القائم فوق أرض فلسطين المحتلّة، منذ سنة1948م.

هذا، ونجد كلمة يهودي في الترتيب الثالث بعد العبراني، والإسرائيلي؛ ويلخص ابن منظور في" **لسان العرب"** اشتقاق كلمة يهودي من الكلمة العربية **الْهود** أي التوبة، والمتهود هو المتقرب، والتائب، والصالح[4].

بينما يرى الكثير من الباحثين أنّ الكلمة منسوبة إلى **يهوذا** أحد أبناء النبي يعقوب (أي من بني إسرائيل)، وهو الّذي نسبت إليه مملكة يهوذا الجنوبية، بعد انقسام المملكة العبرانية في منتصف القرن العاشر قبل الميلاد. وعرف سكّا ا باليهوذيين[5].

وثمّة مفهوم آخر لكلمة يهوذي، الّتي قلبت ذالها دالاً، فأصبحت يهودي، وهي الإشارة إلى كلّ معتقد بالديانة اليهودية، ممارسٍ للطقوس والشعائر التوراتية والتلمودية[6].

1- سورة مريم: الآية 58.

2- محمد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص25-26.

3- العهد القديم، صمو1: 03/13.

4- إبن منظور، **لسان العرب** (بيروت: دار صادر للطباعة والنشر،1968م)، المد3، ص439**؛** صلاح عبد الفتاح الخالدي، المرجع السابق، ص27.

5- يهوذا هو من إخوة النبي يوسف، ويذكر العهد القديم بأنه قام بدور حماية يوسف من القتل الّذي دبره له باقي الإخوة**:"... فقالَ يهوذَا لإخوتِه ماالْفائدةُ أنْ نقْتلَ أخانا ونخفِي دمه. تعالَوا فنبيعه للإسماعِيليين ولا تكُن أيدِينا عليْه لأنه أخونا ولَحمنا..".** - أنظر العهد القديم، تك:26/37-27.

6- محمد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص29،36.

يتضح من خلال ما ذكرناه بأنّ تلك الأسماء، على اختلاف معانيها، تشير إلى الشعب السامي المنحدر من الفرع الآرامي، حيث تشير المصادر إلى هجرة النبي إبراهيم (وهو من الآراميين) من مدينة أور[1] بمعية عشيرته قاصدا بلاد كنعان، ويرجح أنّ ذلك حدث في حوالي سنة 1850ق م؛ وهي أول هجرة للعبرانيين.

والهجرة الثّانية كانت في عهد النبي يعقوب في القرن الرابع عشر قبل الميلاد نحو مصر، أما الهجرةالثّالثة فكانت من مصر إلى أرض كنعان في عهد النبي موسى[2]. ويرجح أنّ ذلك حدث خلال النصف الثّاني من الألف الثّانية قبل الميلاد، أي حوالي 1450إلى1200ق م[3].

لم يجتمع الفينيقيون والعبرانيون في أرض كنعان، على أنها نطاق جغرافيّ ضمهم مع شعوب أخرى فحسب، بل اشتركا في مصدر هجرتما، وهو شبه الجزيرة العربية، على الرغم من اختلاف المؤرخين في تحديده، وعلى الرغم من وقوع تلك الهجرات في فترات متباينة،واشترك الشعبان أيضا في الأصل السامي(*).

ويمكننا القول أنّ جغرافية المكان والسكّان كانت عاملاً كثير الأهمّية في ربط هذين الشعبين بعضهما ببعض، مما يجعل التقارب في الأحداث التاريخية الّتي مر ا كلاهما، أمراً غير مستبعد؛ من أجل ذلك سنقف عند أهم تلك الأحداث ، ولتكن خطوة نحاول من خلالها التعرف على الجوامع التاريخية بينهما.

1- **أور**، أو **أورالكلدانيين** حسب ما ورد في العهد القديم، هي من أشهر، وأقدم المدن البابلية الّتي تقع قرب ر الفرات.- أنظر،

La Bible, L'Ancien Testament, T1, ch11 /28, p37

2- قبل أن يدخل العبرانيون إلى أرض كنعان، مكثوا في صحراء سيناء فترة عرفت بفترة التيه، وهي مقدرة بأربعين سنة، إذ جاء في القرآن الكريم :**"...قالَ فإنها محرمةٌ عليهم أربعين سنةً، يتيهونَ في الأرض..."**.-أنظر، المائدة:الآية26.

3- صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص60؛ محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص65.

*-تجدر بنا الإشارة هنا إلى أنّ المصادر الإسرائيلية تنفي الانتساب السامي للكنعانيين، وتقول بأنهم من نسل كنعان بن حام بن نوح، وذلك لأنها ترى أنّ نسل سام مبارك من الله، ونسل كنعان ملعون، بسبب واقعة حصلت بين والده حام، وأبيه نوح:**"...فقالَ ملعونٌ كنعانُ،...فقالَ مبارك الرب إله سامٍ..."**.-أنظر، العهد القديم، تك: 25/9-26.؛ محمد السيد غلاّب، المرجع السابق، ص207.

ثانياً: المحطّات التاريخية الكبرى

مر الفينيقيون والعبرانيون على حد سواء، بمراحل تاريخية كانت لها انعكاسات على مختلف المجالات الفكرية، والحضارية لبلاد كنعان؛ وسنحاول التطرق إلى أبرز تلك المراحل.

1- الفينيقيون:

ليس هناك تاريخ محدد لظهور الفينيقيين على أرض كنعان، لكن الدلائل التاريخية تشير إلى بروزهم بقوة على الساحة الكنعانية، منذ الألف الثّانية قبل الميلاد[1]. فقد استقر الفينيقيون في المدن الساحلية المحصنة والمعزولة عن الداخل بسبب طبيعة المكان، وانتظموا في دويلات-مدن، لكلّ منها كيان مستقلّ وحاكم خاص[2]. وانتهج سكّان المدن الفينيقية سبلاً سلمية من أجل الحفاظ على الاستقرار السياسي الداخلي، كأن يدفعوا الضرائب لجيوش القوى المجاورة، ضماناً لعدم التدخل في شؤونهم، ودرءًا للخطر الّذي قد ينجم عنهم، وطلباً لحمايتهم؛ ذلك أنهم افتقروا إلى قوة عسكرية تحمي مصالحهم الاقتصادية الّتي تميزوا بها. ونشير بهذا إلى فضلهم في رواج التجارة العالمية وقتئذٍ، إذ كانوا روادها الأولين الذين انصرفوا بتجارتهم عن أعمال الحرب، ومالوا إلى السلم[3] .

1- *Histoire d'Hérodote,* Ch1.Livre1.

2- Adel Ismail, op.cit, p18 ; *Le Petit Robert,* p1406.

3- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص141؛ فيليب حتي، المرجع السابق،ج1،ص92؛
Gerhard Herm,op.cit,p91.

ولمّا اقتضت المصالح المشتركة بين المدن الفينيقية، وكذا تعرضها للأخطار الخارجية نفسها، ضرورة الاتحاد والتحالف، فقد كان الفينيقيون يعقدون مؤتمرات يحضرها ممثّلون عن المدن الكبرى، لتشكيل الأحلاف، ولعلّ أهم تلك الأحلاف هو حلف **مجدو** المنعقد في سنة 1473ق م[1]. حيث كانت إحدى المدن الفينيقية تتزعم تلك الأحلاف في كلّ مرة، ففي أواخر القرن السادس عشر قبل الميلاد، كانت الزعامة لمدينة أوغاريت، وتولّتها مدينة جبيل في القرن الرابع عشر قبل الميلاد. وبعدها مدينة صيدا الّتي كانت زعيمة المدن الفينيقية خلال الفترة الممتدة من القرن الثّاني عشر قبل الميلاد إلى القرن الحادي عشر قبل الميلاد. أما في القرن العاشر قبل الميلاد فقد آلت الريادة إلى مدينة صور، واستمرت إلى القرن السادس قبل الميلاد؛ ومن بعد صور مدينة طرابلس رائدة المدن الفينيقية خلال القرن الخامس قبل الميلاد[2].

هذا، وقد تمكّن الفينيقيون من توسيع تجارتم البرية، والبحرية، في ظلّ الاستقرار الذي نعمت به المنطقة لفترات من الزمن، فأقاموا علاقات وطيدة مع مصر منذ مطلع الألف الثّانية قبل الميلاد[3]؛ لكن سرعان ما تغيرت الأوضاع عندما احتدم الصراع بين الدولة المصرية والدولة الحيثّية، في منتصف القرن الرابع عشر قبل الميلاد[4]. وأصبحت المدن الفينيقية، مهددة بعدم الاستقرار، مما أعاق ممارسة نشاطها الاقتصادي، والسبب في ذلك أنها كانت عرضة للضغط من طرف الدولتين المتناحرتين على مد نفوذهما على حسا ا[5].

---

[1]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص159؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص92.

[2]- حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص151؛ فيليب حتي، المرجع نفسه، ج1، ص92.

[3]- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص21؛ وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص19.

[4]- سبب الصراع بين الدولتين المصرية والحيثّية، هو توسع هذه الأخيرة على حساب المدن الفينيقية الشمالية، الّتي اعتبرتا مصر منطقة نفوذها، مغتنمة فرصة انصراف مصر إلى شؤو ا الداخلية الممثّلة في ثورة إخناتون الدينية(1371-1358ق م)، مما أضعف نفوذها في بلاد كنعان؛ ولمّا قضت مصر على مشاكلها، عملت على استرجاع نفوذها، فواجهها المد الحيثّي، وبذلك كانت الحرب سبيلاً لاستعادة المدن الفينيقية.- أنظر، محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص42.

[5]- وهيب أبي فاضل، المرجع نفسه، ص21؛

Encyclopédie Larousse Méthodique, T1, p222 ; Adel Ismail, op.cit, p23.

وظلّ الخطر الحيثّي-المصري محدقا بالفينيقيين إلى مطلع القرن الثّاني عشر قبل الميلاد، حين تقلّص نفوذ هتين الدولتين، وتوقّفت الحروب بينهما، فعاد الاستقرار إلى المدن الفينيقية الّتي بادرت نشاطاتا الاقتصادية من جديد[1]. ومع ذلك بقيت تلك المدن عرضة لأخطار القُوى الـاورة، بحكم موقعها الجغرافي بينها؛ فقد شهدت في أوائل القرن الحادي عشر قبل الميلاد غزواً آشورياً بقيادة بقيادة ملكهم **تغلات بلاصر الأول**، وخاضت الدولة الآشورية حرباً ضد الدولة المصرية، تلاشت قُواها في مطلع القرن العاشر قبل الميلاد.

وفي هذه الفترة استعادت المدن الفينيقية استقرارها، بل وبلغت أوج الازدهار، خاصة في عهد الملك الصوري **حيرام الأول**، الّذي تكثّفت اتصالاته الحضارية والسياسية بالعبرانيين[2].

ولم يدم ذلك الاستقرار طويلاً، إذ ما لبث الاحتلال البابلي أن عاد في القرن التاسع قبل الميلاد، وتحديداً منذ تاريخ875ق م، ليوطّد أركانه في بلادكنعان وما جاورها؛ ودام وجوده ا إلى مجيء الفرس في النصف الثّاني من القرن السادس قبل الميلاد[3].

وانتهج الفرس سياسة توسعية على حساب الأراضي الكنعانية، فتمكّنوا من إخضاع المدن الفينيقية تحت نفوذهم، بعد أن فقد البابليون سيطرتم عليها، وذلك حوالي سنة529ق م[4].

شهدت المنطقة في عهد الملك الفارسي **داريوس الاول** (522-485ق م) حروباً عرفت في التاريخ بالحروب الميدية، وهي حروب فارسية– إغريقية اندلعت في سنة 490ق م، واستمرت إلى سنة 449ق م.

1- من أسباب توقّف الحروب بين الحيثّيين والمصريين، اجتياح شعوب البحر المملكة الحيثّية، وتديدهم مصر بالغزو، وكذا الاتفاق الحاصل بين الطّرفين والقاضي بوقف الحرب.- أنظر، يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص144؛ وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص21.

2- يوسف الحوراني، المرجع نفسه، ص146،148.

3- وهيب أبي فاضل، المرجع نفسه، ص23؛ Adel Ismail,op.cit,pp27-28.

4- Adel Ismail,ibid,p29.

وقدكان للفينيقيين دور إلى جانب الفرس في تلك الحروب، الّتي ضعفت على إثرها الإمبراطورية الفارسية، وتقلّصت، من جرائها، الامتيازات الفينيقية.

وظلّ الوضع كذلك إلى سنة 333ق م[1]، عندما أ ـت معركة **إيسوس** وجود الدولة الفارسية بأرض كنعان، ودخلت المدن الفينيقية في عهد آخر هو العهد **الهيللّيني**، أو **الهيللّينستي،** الّذي بدأ بدخول **الإسكندر المقدوني** (الأعظم)، إليها في تلك السنة.

وتشير الدلائل التّاريخية إلى أنّ الإسكندر لقي الترحيب في كلّ المدن الّتي دخلها ، إلاّ واحدة، كانت مدينة صور، الّتي حاصرها سبعة، أوثمانية أشهر، ودخلها عنوة في سنة332ق م[2].

وقد انشطرت إمبراطورية الإسكندر المقدوني بعد وفاته إلى شطرين، كان أحدهما من نصيب "**نكاتور سلوقوس**"، وقد ضم إليه كلّ آسيا الصغرى، وبلاد الرافدين، وشمال سوريا، والمدن الفينيقية، وعرف هذا القسم بـ **دولة السلوقيين**.

أما القسم الثّاني، فكان من نصيب **بطليموس** من أسرة **البطالمة**، الّذين حكموا مصر، وجنوب أرض كنعان. وقد دخل البطالمة والسلوقيون في حربٍ دامت أكثر من أربعين سنة[3].

انصهرت المدن الفينيقية في الحضارة الهيلّينية تحت نفوذ الحكم السلوقي، وفي مستهلّ القرن الأول قبل الميلاد حدثت اضطرابات في الدولة السلوقية، اغتنمت فرصتها روما لفرض هيمنتها على المنطقة. وقد كلّفت في سبيل ذلك القائد **بومبيوس** الّذي دخل إلى بلاد كنعان في سنة64ق م.

وقد خضعت جلّ المدن الكنعانية بسهولة للنفوذ الروماني، مثل: أرواد، وطرابلس، وجبيل، وبيروت، وصيدا، وصورالّتي قاوم أهلها فكرة الخضوع، في بداية الأمر، وبعلبك (هليوبولس).

1- وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص24؛ Fabrice Leomy,op.cit,p88 ;Adel Ismail,op.cit,p29

2- تعود أسباب استخدام العنف مع الصوريين، إلى رفضهم طريقة الإسكندر في الدخول، إذ أراد تقديم ذبيحة في معبد ملقرط، ورفض الصوريون ذلك، لاعتبار الإسكندر غريباً عنهم، وعن معتقداتم. وقد رأى الإسكندر في ذلك إهانة له، فعمل على رد الاعتبار لنفسه بحصار المدينة؛ وعدت تلك أطول معركة خاضها الإسكندر، وانتصر في ايتها.- أنظر، وهيب أبي فاضل، المرجع نفسه، ص26؛ Fabrice Leomy,ibid,p88 ;Adel Ismail,ibid, p33.

3- Fabrice leomy,ibid,p89;Adel Ismail,ibid,p33.

وقد استمر الحكم الروماني في بلاد كنعان (وكلّ المشرق)، إلى سنة395 ميلادية[1].

2 العبرانيون:

تزامن ضعف الضغط المصري والحثّي على بلاد كنعان-بسبب غزوة شعوب- وخروج العبرانيين من مصر في القرن الثّالث عشر قبل الميلاد، تجاه صحراء سيناء الّتي قضوا فيها فترة التيه مدة أربعين سنة بقيادة النبي موسى. ذلك أنّ العبرانيين واجهوا مقاومة اليبوسيين القاطنين ا. ولمّا استصعبوا دخولها من ناحية الجنوب، اتجهوا نحو جبال مؤاب شرقاً وعبروا ر الأردن تجاه مدينة أريحا الّتي دخلوها في حوالي سنة 1189ق م[2]، في زمن يوشع بن نون الّذي تولّى قيادة العبرانيين بعد النبي موسى؛ إذ جاء في العهد القديم **:"...وكَانَ بعد موتِ موسى عبدِ الرب أن الرب كَلم يشوع بن نونٍ خادِم موسى..."**[3].

وقد حاول يوشع دخول يبوس، فلم يتمكّن بسبب حصانتها ومقاومة سكّا ا. ولم يكن العبرانيون آنذاك متحدين، بل شكّلوا جماعات قبلية، ينتمي كلّ منها على سبط من أسباط بني إسرائيل، وكان عددها اثني عشر سبطاً، أقاموا في مناطق ريفية؛ ووجدوا في أرض كنعان جماعات عبرانية استقرت ا منذ زمن النبي إبراهيم في الألف الثّاني قبل الميلاد، فامتزجوا م، وانتهجوا سياسة النظام السائد في بلاد كنعان، والممثّل في استقلال كلّ قبيلة عن الأخرى؛ وقد تولّى أمر تلك القبائل زعماء عرفوا ب**القضاة**، وسميت الفترة الّتي حكموا فيها بـ **عهد القضاة**، وهو العهد الّذي يعتز به العبرانيون، ويصفونه بـ **عصر الرضا الربا**ني[4].

1- Adel Ismail,op.cit,pp37-38.

2- يرجح أنّ العبرانيين خرجوا من مصر في سنة1250ق م، أي في عهد الفرعون رعمسيس الثّاني.- أنظر:عارف باشا العارف، المرجع السابق، ص14.

3- العهد القديم، يش:1/1.

4- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص124،140-141؛ ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص35،40.

وقد آلت قيادة العبرانيين إلى النبي داود، الّذي دخل يبوس في سنة 1049ق م، وتمكّن صهره الملك شاؤول من توحيد القبائل العبرانية في حوالي سنة1020ق م[1]. ومن بعده مسح النبي داود ملكاً على العبرانيين في سنة1000ق م، وحكم فترة استطاع من خلالها إخضاع اليبوسيين لنفوذه، وإقامة علاقات حضارية مع حكّام المدن الفينيقية[2].

اجتمع شمل العبرانيين في **عهد المملكة** الّتي نسبت إلى عصر النبي داود، ومن بعده النبي سليمان ابنه، الّذي أعاد تنظيمها، واهتم بشؤون العلم، والفن، والعمران، وواصل سياسة أبيه في توطيد العلاقات الحضارية مع حكّام المدن المجاورة،خاصة مع الملك الصوري حيرام الأول.وقد امتد حكم النبي سليمان من سنة961ق م، إلى سنة922ق م[3]، وهي السنة الّتي توفّي فيها، وانشطرت مملكته إلى قسمين هما: مملكة إسرائيل (أو إفرائيم، أو سماريا) في الشمال، وعاصمتها شكيم، ومملكة يهوذا في الجنوب، وعاصمتها أورشليم[4].

دخل العبرانيون بعد الانقسام في صراع مثّلته المملكتان، واستمر إلى مجيء الآشوريين الّذين حاصروا المملكة الشمالية في سنة 724ق م، وقضوا عليها نهائياً في الأشهر الأولى من سنة721ق م؛ ولم تبق سوى مملكة يهوذا الّتي خضعت في سنة 599ق م، للملك البابلي **نبوخذنصر،** ثمّ استسلمت عاصمتها له في سنة 587ق م بعد أن حاصرها مدة ثمانية عشر شهراً، وأنهى كيانها، ونفى الكثير من أهلها إلى بابل[5]، وقد تحدثت أسفار العهد القديم كثيراً عن هذا النفي،

1- ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص41؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص142.

2- موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه، ص124.

3- ظفرالإسلام خان، المرجع نفسه، ص45؛ موسكاتي سباتينو، نفسه، ص141-143.

4- تشكّلت مملكة إسرائيل من عشرة أسباط من بني إسرائل، وكان أول حكّامها **يربعام بن ناباط**؛ أما مملكة يهوذا فحوت سبطي يهوذا وبنيامين، وانضم إليها معظم اللاويين (سيأتي ذكرهم فيما بعد)، وكان أول حكّامها **رحبعام بن سليمان**. – أنظر، ياسين سويد، المرجع السابق،ج1،ص،248، 249، 271؛ ظفر الإسلام خان، نفسه،ص22.

5- فضلنا استخدام عبارة النفي بدلاً من السبي أو الأسر، لأنّ العبرانيين في بابل مارسوا نشاطاتهم الحضارية والعقائدية بكلّ حرية.-أنظر: موسكاتي سباتينو، نفسه، ص146؛ عارف باشا العارف، المرجع السابق، ص21-22؛ ظفر الإسلام خان، نفسه، ص58.

نذكر مثلاً ما ورد في الإصحاح التاسع والثّلاثين من سفر إرميا: **" ولَما أخِذَت أورشلِيم ِفي السنةِ التاسِعةِ ِلصِدقِيا ملِكِ يهوذَا ِفي الشهرِ الْعاشِرِ أتى نبوخذْراصر**(كذا) **ملِك بابِلَ وكُلُ جيشِهِ ِإلَى أورشلِيم وحاصروها. وفِي السنةِ الْحادِيةِ عشرةَ ِلصِدقِيا ِفيالشهرِ الرابِعِ ِفي تاسِعِ الشهرِ فُتِحتِ الْمدِينةُ... فَلَما رآهم صِدقِيا ملِك يهوذَا وكُلُ رِجالِ الْحربِ هربوا...أما بيت الْملِكِ وبيوت الشعبِ فَأحرقَها الْكَلْدانِيونَ ِبالنارِ ونقَضوا أسوار أورشلِيم. وبقِيةُ الشعبِ الذين بقُوافِي الْمدِينةِ والْهارِبونَ الذين سقَطُوا لَه وبقِيةُ الشعبِ الّذِين بقُوا**(كذا) **سباهم نبوزرادانُ رئِيس الشرطِ إلَى بابِلَ. ولَكِن بعض الشعبِ الْفُقَراءِ...تركَهم نبوزرادانُ رئِيس الشرطِ ِفي أرضِ يهوذَا..."**[1].

مكث العبرانيون في المنفى حتى مجيء الالإمبراطور الفارسي **قورش الثّاني،**الّذي أقر ارجاع العبرانيين المنفيين إلى يهوذا -مع إبقائها خاضعة له- في سنة 539ق م[2].

ولَمّا غزا الإسكندر المقدوني المنطقة في سنة 332ق م، خضع العبرانيون له دون معارضة، وكانوا بعد موته وانقسام إمبراطوريته، تابعين للبطالمة، في البداية، ثمّ للسلوقيين منذ سنة200ق م[3]. وقد عاش العبرانيون في ظل السلوقيين كطائفة دينية يحكمها كاهن، إلى أن ظهر **الميكابيون،** واستولوا على أورشليم في سنة 167ق م[4].

---

[1] العهد القديم، إرم:1/39-10.

[2] يرجع العهد القديم الفضل في عودة العبرانيين من المنفى إلى زوجة قورش الثّاني، وهي **إستير اليهودية** الّتي ينسب إليها **سفر إستير،** لأنها قامت بدور إقناع زوجها بالسماح للمنفيين بالعودة.- أنظر، ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص64؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص147؛ عارف باشا العارف، المرجع السابق، ص18،23.

[3] عارف باشا العارف، المرجع نفسه، ص25-26؛ ظفر الإسلام خان، المرجع نفسه، ص68،74.

[4] -حكمت الأسرة الميكابية عرش أورشليم من167ق م إلى37ق م،حيث ظهر الميكابيون في شكل ثورة ضد الحكم السلوقي، قادها **جوداس مكّابيوس**.- أنظر، محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص 301؛ ظفر الإسلام خان، نفسه، ص75-77.

وساد الشغب في الفترة الميكابية، إذ امتدت الحروب الإقليمية والمحلّية إلى مطلع القرن الأول للميلاد، وهذا ما فتح المجال أمام التدخل الروماني، الّذي كان قد استفحل في المنطقة. وبدأ العبرانيون عهداً جديداً بدخول القائد الروماني **بومبيوس** إلى أورشليم في سنة 63ق م، وتعيين **هيرودس(**من طرف روما) حاكماً عليها في سنة 37ق م، وعرفت المنطقة آنذاك ب**اليهودية** الّتي أصبحت إقليماً رومانياً[1].

كانت العلاقة بين العبرانيين والرومان سيئة،مما جعل الأوضاع متوترة طيلة القرن الأول قبل الميلاد، وقد أسفر ذلك عن سقوط أورشليم، في شهر سبتمبر من سنة70ميلادية.

وتقرر على إثر ذلك السقوط القضاء على حملة السلاح من العبرانيين، وإعدام العصاة والمتمردين، واحضار أجمل وأكبر الشباب لعرضهم في روما يوم الاحتفال بالنصر،وتقييد من تجاوزت أعمارهم سبعة عشر سنة، وإرسالهم إلى العمل في مصر؛ كما أُهدي الكثير من الأسرى لمختلف الولايات الرومانية، حتى يعرضوا على الحيوانات المفترسة، كما هي عادة الرومان آنذاك، وبيع صغار العبرانيين في سوق النخاسة[2].

وبذلك انتهى أمر العبرانيين في المنطقة الكنعانية، وتشتتوا في كامل أرجاء الإمبراطورية الرومانية، وهو ما عرف في التاريخ بالسبي أو النفي الروماني، بعد البابلي.

إنّ الدارس لتاريخ الشعبين الفينيقي والعبرانيّ، خلال الفترة الممتدة من القرن العاشر قبل الميلاد إلى القرن الأول للميلاد، ليجد الكثير من العوامل المشتركة بينهما، سواءً من حيث الوحدة الجغرافية، أو من حيث المحطّات التاريخية الّتي مرا بها،والمصائر الّتي آل إليها كلاهما.

1-Flavius Josèphe, *Guerre des Juifs*, trad. : André Pelletier (Paris : Les Belles Lettres, 1975).Ch1, § 6/5-6؛
ياسين سويد، المرجع السابق، ج2، ص31،38؛ عارف باشاالعارف، المرجع السابق، ص31.

2-Flavius Josèphe, op.cit, § 7, 10,1-2 ; ياسين سويد، المرجع نفسه، ج2، ص116

ومما لاشك فيه، وجود علاقات سياسية واقتصادية بينهما، مثل ما أشرنا إليه في ذكر علاقات الملك العبراني النبي داود،ومن بعده النبي سليمان مع الملك الصوري الفينيقي حيرام الأول. ولا نستبعد هنا الجوامع الحضارية بين الشعبين،بحكم تلك العلاقات، لاسيما المتعلّقة منها بالجوانب العقائدية، والأدبية، والفنية، الأمر الذي يتطلّب إدراك تلك الجوانب، من خلال التعرض إلى الدورالفكري الذي مثّله الشعبان، ومدى تأثير أحدهما في الآخر.

مثلت المعتقدات الدينية لدى الشعبين الفينيقي والعبراني، كغيرهما من الشعوب القديمة، عاملاً مهماً في إثراء حضارة بلاد كنعان. وقد سمحت الصلات الجغرافية، والتاريخية بينهما، بالتقارب في الأفكار العقائدية لكليهما؛ ونقف أمام هذا القول موقف الملاحظ الذي لايستبعد بلوغ العلاقات بين معتقدات الشعبين حد تأثّر أحدهما بالآخر. من أجل ذلك سنورد، فيما يأتي، عرضاً موجزاً للحياة العقائدية الفينيقية، ثمّ لمميزات الديانة العبرانية، وما بينهما من أمور متماثلة، وهو ما نصبو إليه.

أولاً: الآلهة والمعتقدات

ارتبطت الديانة الفينيقية ارتباطاً وثيقاً بطبيعة أرض كنعان، وعوامل بيئتها الجغرافية، حيث عكست العبادات في جوهرها، وفي ظاهرها، مدى التأثّر بالمناخ والتضاريس، وبالزراعة ومحاصيلها، وبالخصب والتناسل(1).

ولو أردنا لذلك تفسيراً، لوجدنا أنّ المنطقة تشهد خلال السنة فصلي الشتاء والصيف، مما يؤثّر في المحاصيل الزراعية من حيث وفرتا، أو ندرتا عند قلّة الأمطار، وفي هذه الحالة، كان الفينيقيون يلجأون
إلى طلب الإمدادات، الممثلة غالبا في الماء، والخبز، والزيت، والخمر، والصوف، والكتان، وذلك عن طريق العبادة، المتغير شكلها بتغير الموسم الزراعي، كالبذر، وجني المحاصيل، وبيعها(2).

ضف إلى ذلك الطبيعة الجبلية للمنطقة، والغطاء النباتي الممثل في الأشجار التي توفر الأخشاب لصناعة السفن، ومن ثمّة سهولة الإبحار للاسترزاق؛ إلى جانب كثرة الأودية، والأ ار النابعة مياهها من جوف الأرض، أو من الهواطل؛ وهي كلّها عوامل استغلّها الفينيقيون في تسيير شؤو م الاقتصادية، والاجتماعية، وأضفوا عليها طابع القداسة التي أسهمت في نمو فكرهم العقائدي(3).

1- جان مازيل، المرجع السابق، ص35؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص92،125.

2- جان مازيل، المرجع نفسه، ص35.

-3 René Dussaud ,*Les Religions des Hittites et des Hourrites,des Phéniciens et des Syriens*,edit2(Paris : Presse universitaires de France,1949), pp355-356.

هذا، وقد اتسمت الديانة الفينيقية بالتمييز بين الخير والشر؛ إذ اعتقد الفينيقيون بوجود أرواح خبيثة، وقدروا فكرة الموت التي تقابلها فكرة الحياة، فلم ينفروا منها، باعتبارها مرحلة طبيعية، يؤول إليها الأحياء، فينتقلوا إلى الى العالم السفلي، بعد أن كانوا في العالم العلوي. ولهذه الفكرة علاقة بموسم الصيف الجاف، المنعدمة فيه الحياة، الذي يقابله موسم الشتاء المطير والمثلج، الرامز إلى الحياة. وقد مثّلت تلك الأضداد آلهة نافعة محبة للخير، وأخرى ضارة متصفة بالشر، كان من شأ ا التدخل في تصريف الحياة اليومية لدى الفينيقيين، فاحتموا ا، واحتكموا إليها[1].

1) الآلهة الفينيقية:

اقتضت طبيعة الفينيقيين، وحاجاتم إلى النشاطات الاقتصادية، تقديس المظاهر التي توفر لهم سبل ممارسة تلك النشاطات؛ فكانت فكرة الألوهة شكلاً من أشكال ذلك التقديس، إذ لجأ الفينيقيون إلى عبادة آلهة اعتبروها مسؤولة عن سير الأوضاع الطبيعية. ولمّا كانت هذه الأخيرة مختلفة ومتنوعة، تعددت الآلهة الفينيقية بدورها، وجعِل كل منها على رأس ظاهرة من الظّواهر التي امتازت ا أرض كنعان، وقد رمز معظمها إلى الشمس، والزراعة، والخصب، والماء[2]. ولم تكن الآلهة الفينيقية ذات طابع ثابت، إذ تبادلت الصفات-التي هي صفات إنسانية أساساً- مثلما تبادلت الوظائف فيما بينها، وهذا ما يعتبره موسكاتي سباتينو في كتابه الحضارات السامية القديمة، أمرا معيقاً لفهم حقيقة العلاقات بين الآلهة الفينيقية وطبيعتها؛ فقد كان لكلّ مدينة إله خاص يعتني بشؤو ا، وله مكانته بين أترابه في المدن الأخرى، دون اختلاف في الوظائف أو الرتب الموكلة إليهم، ويمكن القول إنّ الاختلاف كان يكمن في الأسماء[3].

1- فاروق الدملوجي، المرجع السابق،ص263؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق،ص207.

2- يوسف الحوراني، المرجع نفسه،ص207؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق،ص127؛

Adel Ismail, op.cit, p26.

موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه، ص127.

ولا شك في أن انفراد كلّ مدينة بإله خاص، راجع إلى في انعدام الوحدة السياسية بين تلك المدن، مما انعكس على الوحدة الدينية.

برزت في المدن الفينيقية آلهة، كثر ذكرها في المصادر القديمة، لاسيما في النصوص التي عثر عليها في رأس الشمراومن تلك الآلهة، نذكر مجموعة، كانت لها مكانة وأهمية خاصة بين آلهة الشعوب القديمة.

الإله إيل:

يقول **ابن منظور** في المجّلد الحادي عشر من **لسان العرب:"...وإيل من أسماء الله عزوجلّ، عبراني أو سرياني...وقولهم جبرائيل، وميكائيل، وشراحيل، وإسرافيل، وأشباهها إنما تنسب إلى الربوبية، لأنّ إيلاً لغة في إلّ، وهو الله عز وجلّ..."**[1].ووردت كلمة **إيل** في نصوص رأس الشمرا بصيغة**"إل"** بمعنى الأول، حيث استخدمها الفينيقيون، وسائر الشعوب القديمة، إشارة إلى الإله الأكبر[2]. **وإيل** هو أبو الآلهة جميعاً، وإله الطوالع والخيرات، ورئيس المجمع المقدس الذي يضم الآلهة بالجبل الأقرع[3]. عرف **إيل** بعدة ألقاب وصفات، أهمها لقب"خالق الخلق" الذي ورد في النصوص الأوغاريتية بعبارة "ب ن ي.ب ن و ت"، وهي من الجذر بنى الذي معناه خلق[4].

1- إبن منظور،المرجع السابق، المجلد 11،ص40.

2- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص51؛ أنيس فريحة، المرجع السابق، ص39؛

René Dussaud, op.cit, p360.

3- الجبل الأقرع هو جبل صافون، ويعرف كذلك بجبل كاسيوس، المطلّ على تل رأس الشمرا بالقرب من أوغاريت.- أنظر، فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص265؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص204، موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص127؛

Gerhard Herm, op. .cit.,p

-4أنيس فريحة، المرجع نفسه، 5ص41؛

René Dussaud, ibid, p360.

كما وردت عبارة "إل د ف ـإد" لتصف إيل بإله الرحمة، والشفقة، لأن المعنى العربي للجذر "ف ـإ د" هو الفؤاد، أي القلب الرامز إلى الرحمة والعطف[1].

أما عبارة "م ل ك. أب.ش ن م" فهي تعني الملك أبو السنين، أو الملك الأبدي[2].

ونجد في الصيغة "ل ط ف ن" الجذر العربي لطف الذي يمنح إيل لقبا آخر وهو إله اللطف؛ وكذلك وجد لإيل لقب في عبارة "ث ر ـإل" أي **ثور إيل**، والثور كان يرمز به إلى القوة والنسل لدى الذكور عند شعوب الشرق الأدنى القديم[3].

وامتاز إيل بكونه الآمر المترفع، والحاكم العادل الذي وزع الوظائف على أبنائه، عندما تقدمت به السن،وظلّ يراقب الصراع بينهم، -معتبرا إياه وظيفة طبيعية- دون الانحياز إلى أحدهم[4].

ويذكر بعض الباحثين، ومن بينهم، موسكاتي سباتنو، في المؤلف السابق ذكره، انّ إيل كان يسكن بعيداً عن أرض كنعان،عند منبع ـر يحيط بأطراف الدنيا، وهو نبع لا وجود له في الواقع[5]؛ بينما يحدد الباحث أنيس فريحة، في مؤلفه "ملاحم وأساطير من أوغاريت" مسكن إيل اعتمادا على عبارة وردت في نصوص رأس الشمرا، وهي "ع مـإل. م ب ك. ن ه ر م. ق ر ب.أ ف ق. ت ه م ت م"، والتي معناها " إلى عند إيل عند نبع النهرين قرب(أووسط) أفقا (أو مجرى) الغمرين"، فيكون مسكن إيل قرب **نبع إفقا**[6].

-1أنيس فريحة، المرجع السابق، ص41.

-2ثمة اعتراض على عبارة "الملك أبو السنين" من طرف الباحث غ بيرغ الذي يقول بأن عبارة "ش ن م" معناها "شونم" أو "شانم"،ويقصد ا العلا أو المرتفعات، وليس السنين، لأن جمع سنين في الأوغاريتية هو "ش ن ت" وليس "ش ن م".- أنظر، أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص41.

-3 يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص207؛ أنيس فريحة، نفسه، ص41.

-4يوسف الحوراني، المرجع نفسه، ص204؛

René Dussaud, op.cit, p360.

الواقعة إلى الشمال من لبنان.-انظر، انيس فريحة، المرجع السابق، ص42؛ - انظر، الملحق رقم6، ص159.

الإله بعل:

تعني كلمة بعل في اللغة العربية، السيد والمالك، والزوج، والرب[1]. واصطلاحاً، هي اسم المعبود الفينيقي الشهير بعل بن داجون الذي كان يرمز إلى الخير في ظهوره على الشر.

كان البعل مسؤولاً عن العواصف، والهواطل، والبرق، والإعصار، وهي كما يبدو ظواهر طبيعية شتوية، من شأ ا توفير الماء الذي ينبت الزرع، ويزيد في المحاصيل؛ وقد ظهر البعل في المكتشفات الأثرية، في هيئة إنسان حامل بإحدى يديه عصاً، ترمز إلى الخضرة، وبيد أخرى صاعقة، ترمز إلى الظواهر الشتوية التي ذكرناها، والتي كانت تختفي باختفاء البعل، فتجف السواقي، وتذبل النباتات، وينقطع النسل، فينقضي فصل الشتاء ليحلّ فصل الصيف[2].

اتصف الإله بعل في أذهان الفينيقيين، بالفتوة والوسامة والإقدام، يحب الحياة ويمثل مبادئها، ويكره الموت ويصارعه؛ فحمل لقب عليان بعل الوارد في النصوص الأوغاريتية بصيغة "أ ل ي ن" التي لايعرف لها معنى أكيداً، لكنها قد تدلّ على الظافر بعل أو المنتصر بعل، لأنه إله الحياة المنتصر على مصارعيه، ولايقين إن كان عليان بعل هو ابن الإله بعل، أو لقباً من ألقابه على الحقيقة[3].

وقد حمل الإله بعل ألقابا أخرى، مثل عبارة "ر ك ب. ع ر ف ت" التي تعني راكب السحب والغيوم.

ويذكر **دوسو** *Dussaud* لقب "زبول بعل" على أن معناه "سيد الأرض"، في حين يرى **أنيس فريحة** أنّ عبارة "ز ب و ل" من الجذر "زبل" الذي يعني معظم اللغات السامية،الرفعة، والسمو، والشرف، فيكون معنى عبارة "ز ب ل. ب ع ل" هو **سمو البعل**، أو **الأمير بعل**[4].

1- إبن منظور، المرجع السابق، الدال11، ص59؛ René Dussaud,op.cit, p362

2- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص127؛ فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص263؛ أنيس فريحة، المرجع السابق، ص45-46؛.René Dussaud, ibid,p362 3- جان مازيل، المرجع السابق، ص33؛ أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص45-46؛ René Dussaud, ibid,p363

4- جاءت تسمية **زبول بعل** في الإصحاح الأول من سفر الملوك الثاني، بصيغة **بعل زبوب**:"**...وقَالَ لَهم اذْهبوا اسأَلُوابعلَ زبوب إِلَه عقْرونَ...**"، وفي ذلك تحريف للفظ **بعل زبول**، و **زبوب** في اللغة العبريةهو الذباب، وقد أراد العبرانيون الحطّ من قيمة إله عقرون (إحدى المدن الكنعانية)؛ وكذلك ذكر الإنجيل بأن **بعل زبول**هو رئيس الشياطين"**..إنه لا يطْرد الشياطِين إِلا بِبعلِزبولَ رئيس الشياطِين...**".-أنظر، العهد القديم، 2 ملو: 1/3-4؛ إنجيل متى 12:24؛ René Dussaud, ibid,p362

ظلّ بعل معبود الفينيقيين لفترة طويلة، على الرغم من الاختلاف في تسميته من مدينة إلى أخرى. فقد عرف في جبيل باسم **أدوني** (أو **أدونيس** لدى الإغريق)، وهو اسم سامي معناه سيدي ومولاي، وربي[1]؛ كما عرف في صيدا باسم أشمون الذي كان مسؤولاً عن الصيد، وعن الشفاء[2]؛ أما في صور فكان يعرف بـ **ملقرط** أو **ملقرت**،والكلمة من "ملك قرت" أي ملك المدينة"[3]، إذ كان مسؤولاً عن الإبحار، والصناعة، والثّراء[4].

اتخذ البعل من بلاد كنعان موطناً له، فسكن في أعالي جبل صافون[5] .

الإلهة عشتارت:

كانت عشتارت هي الإلهة الرئيسية التي ترمز إلى الأنوثة، فهي أم الآلهة، وملكة السموات الجامعة بين صفتي البكارة والأمومة[6].وقد وردت في السطر السادس والعشرين من العمود الثاني للّوحة الثانية من أسطورة كارت ملك الصيدونيين باسم **أشيرة** أو **عاشرة**، أو **عشيرة** زوجة إيل[7]. أما في العهد القديم فذكرت باسم **عشتوريت**، وجمعها **عشتاروت**،؛ وكان اسمها في صيدا **أستارتي**؛ وفي أوغاريت **أتيرات**؛ وفي جبيل **عناة**، وترجمتها **ديوني**، أو **بعليتس**، التي تعني سيدة جبيل، وهي أخت **بعل** وحبيبته التي

1- جان مازيل، المرجع السابق، ص34؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص128؛ فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص265؛ René Dussaud ,ibid,p366

2- حسان سلامة سركيس، **أشمون موقع فينيقي فريد** في **لبنان**، (بيروت: وزارة السياحة، 2000م) ؛ جان مازيل، المرجع نفسه، ص34؛ Gerhard Herm,op.cit ,p135

[3]-فاروق الدملوجي، المرجع نفسه، ص265؛ جان مازيل، نفسه،ص34؛ موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه،ص128؛. René Dussaud, ibid,p366

[4] -Fabrice Léomy, op.cit, p85.

[5]-أنيس فريحة، المرجع السابق، ص48.

[6]-يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص215،226؛ موسكاتي سباتينو،نفسه، ص128.

[7]-أسطورة **كارت ملك الصيدونيين** :لوحة2 /عمود 2: سطر26، - نقلاًعن، أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص271.

أدمجها الإغريق في إلهتهم **أفروديت**[1]. وقد ورد اسم **عشتارت** في النصوص الأوغاريتية بصيغة"أ ث رت" أي **أشيرة**؛ ومن ألقا ا "ق ن ي ت.إ ل م.أ ث ر ت. ي م"، ومعناه أشيرة البحر،أي سيدة البحر. كما لقبت بـ"ر ب ت" أي الربة والسيدة العظيمة.

هذا، وينفي أنيس فريحة وجود العلاقة بين **أشيرة** و**عشتارت،**فيقول بأ ما إلهتان مختلفتان عن بعضهما، معتمداً في رأيه على ما روته ملحمة **البعل وعناة** من سعي هذه الأخيرة وراء **أشيرة** طالبة منها بناء بيت للبعل[2]. ومع ذلك يبقى الدور الذي جسدتاه، هو الأنوثة، وأهميتها في الوسط الألوهي.

الإله موت:

ورد ذكر **موت** في النصوص الأوغاريتية بصيغة " م ت"،وهي كما يبدو تدلّ على أنه إله الموت، الذي يهلك الحياة، عندما يأمر الشمس أن تحرق العشب، وتجفّف الزرع، فيتعجل الحصاد؛ واعتقد الفينيقيون بأن موت مسؤولاً عن الجماد في العالم السفلي المظلم البارد، ويسود القفار، والمناطق الجافة واليابسة في الصحراء، وفي فصل الصيف، عندما يختفي البعل[3].

وقد عرف موت باسم **مولوخ**، أو**مولوك،** ولهذا اللفظ علاقة بالملك[4]. كما لقّب في نصوص رأس الشمرا بـ "م د د.ِإل"، أو "ي د د.ِإل"، وهي من الجذر الثلاثي مدد أو يدد، الذي يفيد معناه الحبيب، لأنه مشتق من كلمة "ود" [5]؛ واللقب معناه حبيب إيل، أو الذي يحبه إيل، ومثالنا في ذلك العبارة التالية:

[1]-فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص263؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص215-216؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ص128؛ René Dussaud ,op.cit, p365 ; Fabrice Léomy, op.cit, p85
[2]-أنيس فريحة، المرجع السابق، ص57-58.
[3]-أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص52؛ René Dussaud, ibid, p364
[4]-فاروق الدملوجي، المرجع نفسه، ص26؛ أنيس فريحة، نفسه، ص55؛ Gerhard Herm, op.cit, p48

فريحة، نفسه، ص55.

"12 –**إنّ رسالة ابن الآلهة**

13- **موت. إنّ كلمة الفتى البطل حبيب إيل هي...**"[1].

الإله يم:

يقول الله عز وجلّ"...**فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ وَلاَ تَخَافِي...**"[2]، وحسب ابن منظور"...**اليم هو البحر الذي لا يدرك قعره ولا شطّاه...ويقع اسم اليم ...على النهر الكبير العذب بالماء...**"[3].

ذين التعريفين يتضح لنا المعنى اللغوي لكلمة يم على أنه البحر؛ ولا يختلف المعنى الاصطلاحي في المعتقد الفينيقي عن التعريف اللغوي، إذ جعل يم إلهاً للبحر، وللمياه المتمردة الطّاغية كالطّوفان، وسيداً على العالم السفلي يحاسب الناس ويقاضيهم، عند انتقالهم إليه، ونجد في عبارة"ث ف ط. ن ه ر" ما يثبت مسؤوليته عن القضاء[4].

وقد ظهر يم، في النقود الفينيقية القديمة، على هيئة رجل، شكل نصفه الأعلى إنسان، والنصف الأسفل ذيل سمكة[5].

الإله رشف:

جاء ذكر رشف في أسطورة **كارت** ملك الصيدونيين مرتين، أولاهما في السطر الثامن عشر من العمود الأول للّوحة الأولى، وثانيهما، في سادس سطر من العمود الثاني للّوحة الثّانية؛ ولا تعرف للفظ **رشف** ترجمة عربية، حيث وردت في النصوص العبرية القديمة بصيغة رشف**(** *Rechef*) ، وترجمت في النصوص العربية والفرنسية بمعان ترمز إلى: اللّهب، والصاعقة، والبرق، والرهب، والوباء[6].وهذا ينم عن كون

[1]- ملحمة البعل وعناة، النص الخامس/ العمود الأول، سطر12-13، - نقلاً عن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص157.

[2]- سورة القصص: الآية 7.

[3]- إبن منظور، المرجع السابق، المّد12، ص 647.

[4]- يقابل عبارة "ث ف ط" بالعبرية الجذر شفط، ومعناه حكم وقضى، ومعنى ثافط عند الفينيقيين هو القاضي، الذي عرفه الإغريق باسم "سوفات" *Sofat* .- أنظر، أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص48.

[5]René Dussaud, op.cit, p368.

[6]- جان مازيل، المرجع نفسه، ص33؛ أنيس فريحة، نفسه، ص54؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص129؛ René Dussaud, ibid.,p363.

رشف إلهاً على الظواهر السالف ذكرها، وفي الوقت نفسه، كان إلهاً للحب، والصبا، والفروسية، والجيش[1].

وتذكر نصوص رأس الشمرا أسماءً كثيرة للآلهة الفينيقية، كان كلّ منها مسؤولاً عن ظاهرة من الظواهر الطبيعية التي ميزت بلاد كنعان، وتكيف معها الفينيقيون.

2) الديانة العبرانية وفكرة الإله:

اتصفت ديانة العبرانيين منذ عهد النبي إبراهيم بالتوحيد، الذي اعتقد العبرانيون من خلاله بوجود إله أوحد يشمل جميع الشعوب، ويبسط سلطانه على الجميع، وهي صفة نادى ا الأنبياء الرافضين الاعتراف بغيره إلها، فقد جاء في سفر المزمور**"...ويسجد له كُل المُلوكِ. كُل الأُممِ تتعبد له...كُل أممِ الأرض يطُوبونه..."**[2].

وبما أنّ تاريخ العبرانيين كان حافلاً بالهجرات، فقد تسنت لهم فرص التعرف على معتقدات كثيرة، وآراءٍ مختلفة، بل والانجذاب وراءها، ونضرب بذلك مثلاً، عبادتم العجل في فترة التيه[3]، إذ جاء في الآية الخمسين من سورة البقرة **"...وإذْ واعدنا موسى أربعِين لَيلةً ثُم اتخذْتم العِجلَ مِن بعدِهِ و أنتم ظَالِمونَ..."**[4].

كما ورد في الإصحاح الثاني والثلاثين من سفر الخروج "**...فَقَالَ الرب لِموسى اِذْهبِ اِنزِلْ لِأنه قَد فَسد شعبك الذِي أصعدته مِن أرض مِصر. صنعوا لَهم عِجلاً مسبوكًا، وسجدوا لَه وذَبحوا لَه وقَالُوا هذِهِ آلِهتكِ يا إِسرائِيلُ الِتي أصعدتكِ مِن أرض مِصر...**"[5].

---

[1]- جان مازيل، المرجع السابق، ص33؛ أنيس فريحة، المرجع السابق، ص54.

[2]-العهد القديم، مز: 72/5-12؛ فراس السواح، المرجع السابق، ص256؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص48.

[5]-العهد القديم، خرو: 7/23-8.

ولمّا استقر م المقام في أرض كنعان، تعلّقوا بالحياة الزراعية، والتجارية التي مارسها الفينيقيون، وكان من ذلك أن اعترفوا بقوة المظاهر المحلّية المتعلّقة بالخصب، والمحاصيل، ومن ثمّة كان الاعتراف بالآلهة المسؤولة عن تلك المظاهر، فانتشرت بذلك -في أوساطهم- بعض الطقوس والعبادات التي جعلت من الديانة العبرانية، شكلاً من أشكال المعتقدات الكنعانية بوجه عام، والفينيقية بوجه خاص[1].

نظرة العبرانيين إلى الإله:

انفرد العبرانيون بإلههم، الذي أصبح خاصا م بعد أن كان شاملاً، وخالقاً للجميع[2]؛ وقد اختلفت صورة هذا الإله واسمه في العهد القديم بسبب اختلاف مصادر التوراة وفصولها[3].

التسمية: عرف إله العبرانيين في العهد القديم بعدة أسماء منها:

اسم إيل ترجع هذه التسمية إلى زمن النبي إبراهيم، وهو من بنى بيتاً أسماه بيت إيل، أي بيت الرب، وذلك على اعتبار معنى كلمة إيل هو الرب؛ ولم تكن لإيل صفة واضحة المعالم، بسبب عدم استيعاب النبي إبراهيم صفات إلهه، الذي لم يعرف عنه سوى الظّهور للشخصيات الرئيسية للعبرانيين، وهي الأنبياء، وذلك من أجل عقد المواثيق معها، أو تجديدها، أو تبشير تلك الشخصيات، أو إعلامها بأنباء متعلّقة بالعبرانيين، وبأقوام أخرى، دون تنصيص، أو تقنين لوصايا العبادة. ولا غرابة في أن يكون إيل العبرانيين هو ذاته إيل الفينيقيين، بحكم الاشتراك في

الإسم، وفي بعض الصفات والوظائف، وخاصة صفة الخلق واعتباره الإله الكوني الذي خلق السموات والأرض، وكل مظاهر الطبيعة[4].

كما عرف باسم **يهوه** و**أهيه** ، ونستدل على ذلك بما جاء في الإصحاح الثالث من سفر الخروج **:"...فَإِذَا قَالُوا ِلي مااسمه فَماذَا أَقُولُ لَهم. فَقَالَ اللهُ ِلموسى أهيه الذِي أهيه...وقَالَ اللهُ أيضاً ِلموسى هكَذَا تقُولُ ِلبِني ِإسراِئيلَ يهوه ِإله آباِئكُم..."** [5]. ويذكر فاروق الدملوجي في مؤلفه **تاريخ**

1- أنيس فريحة، المرجع السابق،ص 49؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص48.

2- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع نفسه، ص48؛ رالف لنتون، شجرة الحضارة، ص249.

5- العهد القديم، خرو: 3/14-15.

الأديان بأنّ لفظ **يهوه** مركّب من كلمتين، هما: **أيا** و**أهو**، وكلّ منهما تعني **الله**، وقد يكون معنى الكلمة هو الأبدي، أو الأزلي، أو الدائم الوجود[1]. وفي سفر الخروج ما يدلّ على أنّ **يهوه** هو إله العبرانيين الأبدي، وذلك في عبارة **:"...هذَا اسمِي ِإلَى وهذَا ِذكْرِي ِإلَى دوٍر فَدوٍر..."**[2].

وكذلك ورد اسم **يهوه** في الطبعة اللاتينية للعهد القديم بصيغ: *Jéhovah*، و*Iahvé*، و*Elohim*[3]، أي **يهوه**، و **إِلُوهِيم** (**ِإلهيم** بالعبرية)، وهي التسمية التي أطلقت على الذات الإلهية، وكلّها تفيد معنى **الله**، مع وجود فرق طفيف بين معنيي **إلوهيم**، ويهوه، وهو أنّ هذا الأخير يتصرف مثل البشر تماماً، والأول أكثر تعالياً، وقد احتوى العهد القديم نصوصاً متداخلة ورد فيها اللفظان معاً[4].

أما الباحث الألماني **جرهارد هارم** *Gerhard Herm* فيفسر في كتابه *Les Phéniciens* معنى كلمة **يهوه** بعبارة "الذي هو موجود" "*Celui qui est*"، ويضيف إليها **ِإلُوه** أو **ِإلُوهِيم** مفسراً إياها بالعبارة "الذي كان، والكائن، والذي سيكون" ، " *Celui qui était, celui qui est, et celui qui sera*"[5].

الصفات والوظائف

اعتقد العبرانيون بأنّ إلههم مثّل في صورة إنسان محاط بمجد يجعله غير مرئي، لكنه يظهر جزئياً في مناسبات خاصة، ولم يكن ظهوره سوى للشخصيات الرئيسية الممثلة في الأنبياء(6).

وهذا ما أثبتته نصوص العهد القديم في أسفارها، ففي سفر التكوين نجد:"**...يوم خلَق اللهُ الإنسانَ على شبهِ اللهِ عمِلَه، ذَكَراً وأُنثَى...**"(7)؛ وقد ظهر يهوه للنبي إبراهيم، وكذلك للنبي موسى، وهنا نذكر ما جاء في الإصحاح الثالث

---

[1]-فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص393، 394، 396.

[2]-العهد القديم، خرو: 15/3.

[3]La Bible, L'ANCIEN Testament, *Genèse* 1/3,3/14.

[4]-كمال الصليبي، المرجع السابق، ص221.

[5]- كمال ... المرجع السابق ... Gerhard Herm op.cit 133،148

[7]-العهد القديم، تك: 1/5.

والثلاثين من سفر الخروج: "**...فَقَالَ أَرِني مجدك... وقَالَ لاَ تقْدِر أنْ ترى وجهي. لِأن الْإنسانَ لاَ يراِني ويعِيش...ويكُونُ متى اجتاز مجدِي أني أضعك فِي نقْرةٍ مِن الصخرِةِ وأسترك بِيدِي حتى أجتاز. ثُم أرفَع يدِي فَتنظُر ورائِي. وأما وجهي فَلاَ يرى.**"(1).

كان يهوه بالنسبة للعبرانيين، مدبر شؤو م، وحكومتهم، وهو الذي كان يحارب عنهم، في حالة ضعفهم، ويتقدمهم في حالة قوتم(2)، وهذا ما توضحه العبارات الواردة في الإصحاح الخامس عشر من سفر صموئيل الأول :"**...وقَالَ صموئيلُ لِشاُولَ...هكَذَا يقُولُ رب الْجنود...**"(3).

وقد جعل العبرانيون يهوه أباً لهم(4)، وما العبارة الواردة في سادس إصحاح من سفر التكوين، سوى دليلٍ على ذلك:"**...أن أبناءَ اللهِ رأوا بناتِ الناس...إذْ دخلَ بنو اللهِ على بناتِ الناس**"، وكذلك جاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر التثنية:"**...أنتم أولاد لِلرب إِلَهِكُم...**"(5).

ويذكر العهد القديم أنّ **يهوه** نال نصيباً من الأرض التي قسمها **العلي** ووزعها بين الأمم، وكانت ممثّلة في أرض كنعان؛ يفهم من ذلك أنّ إله العبرانيين ورث من إله آخر هو العلي، إذ نجد العبارة :"**...حِين قَسم الْعلِي لِلْأممِ حِين فَرق بين بنِي آدم نصب تخوماً لِلشعوبِ حسب**

عددِ بني إسرائيلَ. إن قِسم الرب هو شعبه. يعقُوب حبلُ نصِيبِهِ..."[6]. وتذكر الترجمة الفرنسيةالصادرة بسلسلة الثّريا(*Pléiade*) عن دار غاليمار(*GALLIMARD*) للنشر بأنّ حصة **يهوه** ممثلة في شعب إسرائيل، على أنها ميراثٌ من العلي[7].، ولايوجد اختلاف في النسختين، باستثناء اسم الإله العبراني، إذ ذكرته النسخة العربية باسم الرب، والنسخة الفرنسية باسم **يهوه.** ويذكر الشيخ نسيب وهيبة الخازن بأنّ نص العهد القديم الذي اعتمده في طبعة بيروت استخدم

1- العهد القديم، خرو: 33/18-23.

2- أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص210-211.

3- العهد القديم، 1صمو: 15/1-2.

4- رالف لنتون،المرجع السابق، ص247.

العهد القديم، تث: 32/8-9.

7La Bible, L'ANCIEN Testament, *Deutéronome* : 32/9.

فيها اسم يهوه؛ مما جعله يقول بأنّ إيل –وهو نفسه عليون أي العلي والعالي- هو إله مشترك بين الفينيقيين والعبرانيين، وبأنّ **يهوه** هو أحد أبناء إيل[1]. ويذكر دوسو (*Dussaud*) بأنّ لائحة من رأس الشمرا، ورد فيها اسم **ياو(** *Yaw*) القريب من يهوه، على أنه أحد أبناء إيل، وهذا ما حمله على الاعتقاد بأنّ يهوه هو ابن إيل من زوجته إيلات[2]. كما نلاحظ في سفر المزمور أنّ في عبارة:**"...قالَ الرب لِربي..."**[3]،ما يثبت أنّ إله العبرانيين ليس الإله الأوحد، بل أحد أبناء القدس الذي يعلو أترابه شأناً، على حد تفسير فراس السواح، في كتاب الأسطورة والمعنى[4]. ونحن إذ نميل إلى هذه الفكرة، فذلك لأنّ العلي وإيل يشتركان في جملة من الوظائف، والصفات، أهمّها الخلق، وتوزيع المهام على الآلهة.

ووردت في سفر المزمور صفة التسلّط، والتفوق على كبرياء البحر، **ورهب** الذي يمثّل الصواعق واللهب، وهذا تقابله لدى الفينيقيين فكرة انتصار بعل على أعدائه يم **ورشف،** ففي المزمور نجد ما يثبت ذلك:**"... أنت متسلطٌ على كِبرياءِ الْبحرِ...أنت سحقْت رهب مِثْلَ الْقَتِيلِ.بِذِراعِ قُوتِك بددت أعداءَك..."**[5].

هذا، وإذا بحثنا في أسفار العهد القديم عن صفات يهوه ووظائفه، وحاولنا مقارنتها بصفات ووظائف الآلهة الفينيقية الوارد ذكرها في نصوص رأس الشمرا، لوجدناها كثيرة التطابق، ولتكن من تلك الصفات المتطابقة ما يلي:

- **"...فَحزِنَ الرب أنه عمِلَ الإنسانَ ـفِي الأرض. وتأسف ـفِي قَلْبِهِ. فَقَالَ الرب..لأني حزِنت أني عمِلْتهم..."**[6]**.** جاءت هذه العبارة بصفتي الحزن والأسف، اللتين نراهما في **إيل** عندما

---

[1]-الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص52.

[2]-صدر في مجلّة **سيريا** *Syria* ، لسنة1948م مقال لدوسو بعنوان:"*Yahvé fils de El*" أي يهوه ابن إيل، ولم نتمكن من الحصول عليه لأنّ عدد سنة1948م مفقود، فاكتفينا بالفقرة التي تتحدث عن هذا الموضوع، في كتاب *Les Religions des Hittites et des Hourrites,* -أنظر، René Dussaud, op.cit, p 360.

[3]-العهد القديم، مز: 1/110.

[4]-فراس السواح، المرجع السابق، ص257.

يراقب صراع أبنائه، فيحزن لموت البعل ويرثيه متأسفاً على موته، في العبارات التالية:

"11 **- عندئذ لطفان، إله**

12 **- الرحمة، نزل على العرش وجلس على**

13 **- كرسي.على موطئ قدم جلس على**

14 **- الأرض. ذر رماد**

15 **- الحزن على رأسه وتراب التعفير**(أي التمرغ على التراب)"[1]**.**

- وجاء في موضعٍ آخر:"**...وأرسلَ اللهُ ملاكاً على أورشلِيم لإهلاكِها، وفيما هو يهلك، رأى الرب الندم فَندِم على الشر...**"[2]**.** وهنا يرد ذكر لصفة الندم على فعل الشر، وهذا الأخير-أي الشر- هو أيضا من صفات يهوه، وقد ذكرنا فيما سبق، أنّ الفينيقيين اعتقدوا بوجود آلهة الخير والشر، كما أنّ الإهلاك، والقضاء على الحياة لدى الفينيقيين، هو من صفات **موت**.

- ولـ **يهوه** وظيفة القضاء وإصدار الأوامر عند الوقوف في مجمع الآلهة، حسب ما ورد في المزمور الثاني والثمانين:**"...اللهُ قَائِم ـِفِي مجمع اللهِ. ـِفي وسطِ الْآلِهةِ يقْضِي..."**[3]؛ والقضاء لدى الفينيقيين هو وظيفة يم، كما أنّ فكرة مجلس الآلهة كانت موجودة عند الفينيقيين.

- ثمّة عبارات من العهد القديم تصف **يهوه** براكب السحب، نجد لها ما يطابقها في النصوص الأوغاريتية، التي اتصف **البعل** فيها بالصفة ذاتها، وهذه أمثلة منها:

"...لَيس مِثْلَ اللهِ...يركَب السماءَ...والْغمام ـِفي عظَمتِهِ..."[4].

"...بارِكِي يا نفْسِي الرب... الْمسقف علالِيه ـِبالْمِياهِ الْجاعِلِ السحاب مركَبته..."[5].

---

[1]-ملحمة البعل وعناة، النص الخامس، العمود السادس/السطر 11-15.-نقلاعن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص167.

[2]-العهد القديم، 1أخبار : 15/21.

[3]-العهد القديم، مز: 1/82-2.

العهد القديم، مز: 1/104-3.

وفي نصوص رأس الشمرا تكررت عبارة راكب السحب، ونذكر منها:**"...كرر راكب السحب القول..."**[1].

- وقد جاء في الإصحاح الرابع عشر من سفر العدد، ما مفاده أنّ النبي موسى تمكّن من إقناع يهوه بالعدول عن القرار المتخذ في شأن قومه، والقاضي بإهلاكهم، ومما قال:**"...اصفَح عن ذَنبِ هذَا الشعبِ...فَقَالَ الرب قَد صفَحت حسب قَولك..."**[2]، وفي ملحمة البعل وعناة، ما يشبه ذلك، عندما راحت أشيرة تعمل على إقناع إيل ليبني بيتاً لبعل، ونجحت في ذلك[3].

- ولم يكن **يهوه** مستقراً في مسكن معين في البداية، بل كان له عرش في السماء، تركه من أجل العيش في خيمة أقامها له عبدته، في فترة ترحالهم؛ ومنذ استقرارهم في أرض كنعان، شيدوا له معبداً، بعد أن اشتكى من عدم وجود مأوى له، وبأن الخيمة لاتليق به[4]. فقد جاء في سفر **صموئيل الثاني**:**"...اذْهب و قُلْ ـِلعبدِي داود...هكَذَا قَالَ الرب.أَأَنت تبنِي ـِلي بيتاً ـِلسكْناي. ـِلأَني لَم أَسكُن ـِفي بيتٍ منذُ يوم أَصعدت بنِي ـِإسرائِيلَ...بلْ كُنت أَسِير ـِفي خيمةٍ**

وفي مسكن...هلْ تكلمت إلى أحدِ قُضاةِ إسرائيلَ...قائلاً، لماذا لم تبنوا لي بيتاً...والآنَ هكذا تقُولُ لعبدِي داود..."[5]. ولنطابق هذه العبارة مع ما جاء في ملحمة البعل وعناة:

"48- **ألا يصرخ إيل الملك الذي ثبت بعل ملكاً.**

49- **كما تصرخ أشيرة وبنوها، الإلاهة وجماعة.**

50- **عشيرا: ليس للبعل بيت.**

51- **كما لسائر الآلهة، ومسكن كما لبني أشيرة.**"[6].

---

[1]- ملحمة البعل وعناة،النص الرابع، العمود الثالث، السطر10.- نقلاًعن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص131.

[2]- العهد القديم، عد: 14/11-22.

3- ملحمة البعل وعناة: النص الرابع، العمود الرابع، الأسطر:47-62.- نقلاً عن، أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص136-137.

[4]- [illegible]

[6]- ملحمة البعل وعناة: النص الرابع، العمود الرابع، الاسطر48-51.- نقلا عن، انيس فريحة، نفسه، ص 136.

يمكن القول إن نتيجة التطابق هي اشتراك **يهوه وبعل** في الرغبة ببناء بيت ليسكنا فيه، باعتباره أحقية إلهية.

- وثمّة صفات أخرى لـ **يهوه** مثل عدم القدرة على التمييز بين الأماكن، فعندما أراد ضرب المصريين، أمر بوضع علامات من الدم على مداخل بيوت العبرانيين، لكي لا يمسسها هلاكه الموجه إلى غيرهم، وهذا ما ذكره سفر الخروج:"**...فإن الرب يجتاز ليضرب المصريين فحين يرى الدم علىَ العتبةِ العُليا والقائمتين يعبر الرب عن البابِ ولاَ يدع المهلك يدخلُ بيوتكُم ليضرب...**"[1].

- اتصف **يهوه** بتذكره للأشياء من بعد نسيانها، ومثالنا في ذلك ما جاء في الإصحاح الثاني من سفر**الخروج**:"**...فتذكر اللهُ ميثاقه مع إبراهيم وإسحق...**"[2].

- ويزور يهوه عباده، ويتصرف مثلهم، فيأكل ويشرب من طبيخهم بعد أن يستريح تحت شجرة، بالقرب من الخباء، ويغسل رجليه من شدة حر النهار؛ حدث ذلك عندما زار **يهوه النبي إبراهيم** بمعية رجلين، على ما ذكر في الإصحاح الثامن عشر من سفر التكوين:"**وظهر له**

الرب ... وهو جالِس في بابِ الْخيمةِ وقْت حر النهار... فَلَما نظَر ركَض لاستِقْبالِهم مِن بابِ الْخيمةِ وسجد إِلى الْأرض. وقَالَ يا سيد إِنْ كُنت قَد وجدت نعمةً في عينيك فَلاَ تتجاوز عبدك. لِيؤخذْ قَلِيلُ ماءٍ واغْسِلُوا أرجلَكُم واتكِئُوا تحت الشجرةِ...ثُم أخذَ زبدا ولَبناً والْعِجلَ الَّذِي عمِلَه ووضعها قُدامهم وإِذْ كَانَ هو واقِف لَديهم تحت الشجرةِ أكَلُوا."[3].

يتضح مما تقدم ذكره أنّ الإله العبراني **يهوه** قد اكتسب الكثير من صفات وطباع **إيل** الفينيقي وأبنائه، خاصة الإله **بعل**، وكلّها طبائع وصفات إنسانية، نجدها في الموت والحياة، وفي الغضب والرضا، وفي المحبة والكراهية، وفي الحرب والسلم، وفي الحزن والفرح، وفي التذكر والنسيان، وفي الانتقام والندم[4]، إلاّ واحدة، وهي صفة الخلق الخارجة عن نطاق البشر، التي يشترك فيها **يهوه وإيل**، أو بالأحرى **إيل**

[1]- العهد القديم، خرو: 12/22-24.

[2]- ... 23/2-25.

[4]- احمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص80-82؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص48.

العبرانيين مع **إيل** الفينيقيين، إن لم يكن واحداً. وهذا ما يجعلنا نستخلص أنّ فكرة الألوهية التي اعتمدها الفينيقييون، قد أثرت في نظرة العبرانيين إلى إلههم. ومن ثمّة ابتعادهم عن ميزة التوحيد، التي هي أصل ديانتهم.

ثانياً: الأساطير الفينيقية ووقعها على الفكر العبراني

لم يتوقف الفكر الفينيقي عند حد الاعتقاد بوجود آلهة مسيرة لشؤو م فحسب، إنما بلغ الأمر التفكير في وظائف تلك الآلهة، بل وفي الأحداث التي صنعتها؛ وقد صيغ ذلك في أساطير وملاحم، محفوظ بعضها في المكتشفات الأثرية لرأس الشمرا، وربما منها ما لم يتم اكتشافه بعد.

ولعلّ أهم الأساطير التي سنتعرض إليها، هي تلك المتضمنة أفكاراً، وأحداثاً مطابقة لما جاء في الفكر العبراني، وذلك اعتمادا على النصوص التوراتية.

1) أسطورة الخلق الفينيقية

اعتمد الفكرالفينيقي في دراسة نشأة الخلق، على عملية المزاوجة أساساً فقد اعتقد الفينيقيون أنّ الإله **إيل** أنجب **عولوموس(***Oulomos*) ، وهو اسم إغريقي تقابله في العبرية الكلمة **عولام(** Olam) ،ومعناها العالم؛ وكان **عولوموس** البيضة الرئيسية التي انقسمت محدثة انفصال الماء عن السماء، فنتج بعد ذلك مولد الآلهة، وصانعو الحضارات الإنسانية، بعدما انطلقت الحياة النباتية والحيوانية[1].

ويذكر الحوراني في كتابه **لبنان** في **قيم تاريخية،** نقلاً عن **داماشيوس(***Damasius*)،بأنّ الزمن الذي عرف بـ **كرونوس(***Chronos*) هو أول الموجودات، ويرى دوسو (*Dussaud*)، اعتماداً على فيلون الجبيلي، أنّ **كرونوس** هو نفسه إيل[2]**،** وكان بمعيته **بوثوس** وهي الرغبة، **وأميكلية** أي ام الكل، وحدث بين هذين الأخيرين زواج نتج عنه ميلاد البراءة واللاوعي ممثّلة في الهواء، **وأورا** الذي هو أول شكل للوعي؛ ومن زواج هذين الأخيرين نتج **أتوس**، وربما هو العقل الواعي[3].

[1] Gerhard Herm, op.cit p139

يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص: 22.

وربما تكون الشذرات المتبقية من مؤلّف فيلون الجبيلي عن تاريخ الفينيقيين وحضارتم، والمتعلّقة بأسطورة التكوين الفينيقية، كفيلة بتزويدنا ببعض المعلومات عن أسطورة الخلق لدى الفينيقيين.

يذكر فيلون بأنّ البدء لم يكن فيه شيئٌ، سوى زوجين اثنين هما الهواء العاصف، الذي لم يكن واعياً، والخواء المظلم، أي الفراغ؛ جمعت الرغبة بين هذين العنصرين، فأنجبا موتة في شكل كتلة طينية، عدتى بذرة خلق الأشياء، وبعد ذلك التهبت اليابسة والبحر، واستمد الهواء من ذلك الالتهاب ضوءاً، فظهرت الرياح، والأمطار، والأيام، وانفصلت الأشياء بعضها عن بعض، بسبب تأثير حرارة الشمس، فطارت جواً متصادمة فيما بينها، ومحدثة البرق ، والرعد، ومن صوت هذا الأخير، استيقظت الكائنات الحية، وانتشرت في البر والبحر، ذكراناً وإناثاً [1].

وثمّة نظرية أخرى للباحث كونتينو أوردها الحوراني في كتابه، مفادها أنّ البدء انطلق من وجود مبدأين هما الأثير والهواء؛ تزوج المبدءان فأنجبا عولوموس الإله العاقل، وكوزوروس القوة العاقلة، وبعد زواج هذين الأخيرين، ولدت لهما بيضة انقسمت إلى **أورانوس** وهو السماء،

وغاية وهي الأرض، وبعد ذلك ظهرت الشمس، والقمر، وباقي المظاهر الكونية، ثمّ الحيوانات، والحيوانات العاقلة أي البشر في الأخير(2).

أوضح الإصحاح الأول من سفر التكوين فكرة بداية الخلق، وهي فكرة لها من الأهمية ما لايقلّ عن النظريات الفينيقية، والسبب في ذلك هو التعرض إلى ذكر الكثير من العناصر التي وجدت في البدء تفصيلاً؛ حيث يتعرض إلى ذكر خلق السموات والأرض في باديء الأمر، والفصل بين الظلام والنور، وبين اليابس والماء، وبين الليل والنهار، كما ذكر في الإصحاح خلق النباتات والحيوانات، ثمّ الإنسان، وكلّ أحدثه يهوه بوجود الزمن(3).

ولمّا أجرينا مقارنة لما ورد في هذا الإصحاح مع مضامين أسطورة الخلق لدى الفينيقيين، توصلنا إلى جملة

1- فراس السواح، المرجع السابق، ص41.

2- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص225.

3- العهد القديم، تك:1/1-20.

من النقاط ملخصها ما يلي:

- يشترك العبرانيون والفينيقيون في الاعتقاد بأنّ الذي خلق كلّ شيء هو **إيل** أو **اللّه** (**يهوه**)، أي الإله الأكبر.
- لم يحدث الخلق دفعة واحدة، بل كان في مراحل تدريجية، ومرتبة ترتيباً غير مختلف فيه كثيراً، وإن تباينت الأسماء.
- وجود عناصر أساسية في البداية، هي: الظلمة والنور، واليابس والماء، والهواء والسماء، والزمن، والمظاهر الكونية، والكائنات الحية، ثمّ الإنسان.

2) أسطورة البعل وعناة

اختلفت المرويات حول أسطورة **البعل وعناة**، في ظاهر أحداثها، ومكان حدوثها، وحتى في أسماء أبطالها، لكنها اتفقت في الجوهر على أنّ البعل صارع موت، إلى أن قتل، وكانت ردة فعل عناة أن بحثت عنه في الغابات عارية الصدر، حافية القدمين، حتى أدمت رجلاها، ولمّا وجدته ميتاً،احتضنته باكية، فلطمت وجهها، وقرعت صدرها حزناً عليه[1]؛ وفي الأسطر الموالية مشهد لحزن عناة أوردته النصوص الأوغاريتية:

1. **عن البعل**
2. **خدشت بحجر، مزقت جسدها بموسى.**
3. **جرحت صفحتي خديها وذقنها. ثلاث مرات.**
4. **أدمت ذراعيها كما يحرث الحارث الحقل هكذا.**
5. **حرثت صدرها ومتنها كما يحرث الوادي.**
6. **صرخت البعل مات، فمن لعشيرة ابن داجون..."**[2].

1- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص212، فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص264، Gerhard Herm,op.cit,pp137,140 ;Adel Ismail, op.cit, p25.

2- البعل وعناة، النص السادس، العمود الأول، الأسطر1-6. نقلاً عن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص170.

غادر البعل الحياة لأشهر، ولم تفقد عناة أمل اللقاء به ثانية، على ما يذكر في العمود الثاني من النص السادس لملحمة **البعل وعناة**:"...

26.يوم ينقض ثمّ يومان والأيام تصبح

27. أشهراً، وعناة المحبة تفتش عنه

28.كقلب بقرة تحن إلى عجلتها، كقلب

29.شاة إلى حملها، هكذا قلب

30.عناة نحو البعل..."[1].

وجاء في العمود الثالث أنها حلمت بعودة **البعل** إلى الحياة، وأخبرت **إيل** بذلك، وهو الأمر الذي حدث؛ فقد ذكر في العمود الثالث من النص ذاته ما يلي:"

5.في **رؤيا، يا خالق الخلائق رأيت**

6.وكأنّ السماء تمطر زيتاً

7.والأودية تسيل عسلاً.

8. عندها أدركت أنّ الظّافر البعل حي..."[2].

ونجد لأسطورة البعل وعناة ما يجسدها في الطبيعة، فاختفاء البعل صيفاً يحدث الجفاف، ولمّا تسيل رجلا عناة بالدم، تصطبغ شقائق النعمان باللون الأحمر، وفي عبارة **:"..أدمت ذراعيها كما يحرث الحارث الحقل.."** التي ذكرناها، إشارة إلى انتظار موسم الأمطار، ولمّا يعود البعل إلى الحياة، تصبح السماء وكأنها تسيل عسلاً، وفي ذلك كناية عن فصل الشتاء. لقد رمزت أسطورة **البعل وعناة** إلى المحيا والممات، وإلى الصيف والشتاء، وإلى انتصار قوى الخير والخصب على قوى الشر والهلاك[3].

---

[1]-البعل وعناة،، النص السادس، العمود الثاني، سطر26-30، نقلاً عن أنيس فريحة، ص177.

[2]-البعل وعناة، العمود الثالث، النص السادس، الأسطر5-8، نقلاً عن أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص178.

تحتفظ أسفار العهد القديم بنصوص لا تختلف أفكارها عن الأفكار الواردة في ملحمة البعل وعناة، من حيث المضمون، ففي سفر **أيوب** حديث عن انتصار الخير على الشر، وأمل حدوثه على أنه أمر واقع،

وتشخيص لمظاهر الطبيعة، تماماً كما في ملحمة البعل وعناة، إذ نقرأ في الإصحاح العشرين منه ما يأتي:**"...أما عِلِمت هذَا مِن الْقَدِيم منذُ وضِع الْإِنسانُ على الْأَرض أن هتاف الْأشرارِ مِن قَرِيبٍ وفَرح الْفَاجِرِ إِلَى لَحظَةٍ...قَدبلَغَ ثَروةً فَيتقَيأُها(**كذا**) . اللهُ يطْردها مِن بطْنِهِ...لاَ يرى الجَداولَ أَنهار سواقِي عسلٍ ولَبنٍ..."**[1].

كما ترد في سفر **عاموس** صورة لذلك الانتصار، في العبارات التالية:**"...هاأيام تأْتِي يقُولُ الرب يدرِك الْحارِثُ الْحاصِد، ودائِس الْعِنبِ باذِر الزرع وتقْطُر الْجِبالُ عصِيراً وتسِيلُ جمِيع التلاَل..."**[2].

ومن ذلك يمكننا القول بأنّ الفكر العبراني استمد من **أسطورة البعل** وعناة أفكاراً جعلته قريباً، بل مرتبطاً بالفكر الفينيقي، خاصة فيما يتعلّق بتشخيص قوى الطبيعة، وتوظيفها في الفكر العقائدي.

3)صراع البعل ضد يم

كثر أعداء البعل ومصارعوه، بسبب تعدد قوى الشر المقابلة لقوى الخير من الطبيعة؛ وكان الإله يم أحد أعداء البعل، حيث ذكر النص الثالث من ملحمة **البعل وعناة** وقائع الصراع، وانتصار البعل، واصفاً إياه بالمُهلك أعدائه، والقاضي عليهم، ومما جاء فيه:

9. عدوك أيها البعل ها إنك ستقضي على خصومك. ها إنك ستهلك مبغضيك.

23...ارتقص الصولجان بيد البعل.

24.كنسر، وفي قبضته، فسحق عامة الأمير

25. يم وجيهة القاضي ر، فهوى يم وسقط

26.إلى الأرض، ارتجفت مفاصله، تقبضت ملامحه.

[1]- العهد القديم، أي: 19-4/20.

[2]- العهد القديم، عا: 14-13/9.

27. جر البعل يم وشتته قضى على القاضي ر"[1]**.**

كما ذكر النص الخامس من الملحمة نفسها أنّ لِوِيَاثَان أو الحية الملتوية ذات الرؤوس السبعة من أعداء البعل الذين سحقهم:"

1. والآن تريد أن تسحق لوياثان، الحية الملتوية.

2. الآن تريد أن تجهز على الحية المعوجة،

3. الملعونة ذات الرؤوس السبعة"[2]**.**

كانت قوة البعل في صراعه ضد يم، وضد الحية الملتوية، أشبه بقوة يهوه لمّا صارع رهَب، حيث سحقه بذراع قوته، و ا شق البحر، وكسر رؤوس لوياثان، والتنانين، وهؤلاء هم

أنفسهم أعداء البعل المذكورة أسماءهم في النصوص الأوغاريتية. فقد ذكر في الإصحاح التاسع والثمانين من سفر المزمور: **"...أنت سحقْت رهب ،مِثْلَ الْقَتِيل ،بِذِراع قُوتك..."**[3].

وجاء في المزمور الرابع والسبعين: **"... أنت شقَقْت الْبحر ،بِقُوتك. كَسرت رؤوس التنانين علَى الْمِياهِ. أنت رضضت ،لوياثَان ْ"**[4].

4)أسطورة كارت ملك الصيدونيين

أصيب **كارت** ملك الصيدونيين بفاجعة ألمّت به، وذلك عندما أخبر بموت زوجته الأولى بسبب انهيار حصنه، ثمّ الثانية، فالثالثة، تلتها الرابعة، والخامسة، والسادسة ماتت غرقاً، والسابعة ماتت قتلاً بالسلاح، كما أبيدت ذريته، وأهلك مراثه؛ وكانت ردة فعله أن بكي وحزن بشدة، ورغم زيارة إيل له كي يخف عنه مأساته، ويعرض عليه ثروة من الذهب والفضة، إلاّ أنه أبى قبولها لأنها من حطام الدنيا، ورغب في زوجة تلد له ابنا[5].

1- ملحمة البعل وعناة، النص الثالث، الأسطر9، 23-27.

2- ملحمة البعل وعناة ،النص الخامس.العمود الأول،

3- العهد القديم، مز: 10/89.

ولا فرق بين فاجعة كارت والفاجعة التي تذكر نصوص العهد القديم أنها حصلت للنبي أيوب، وذلك من حيث وقع المصائب بالتتالي، وفقدان الأهل، والميراث، ففي الإصحاح الأول من سفر أيوب، نجد ما ملخصه أنه أخبر بفقدان إرثه، ثمّ أصيب في الأهل، وهو ما أحزنه بشدة[1].

5)أسطورة أقهات بن دانيال/ قصة الوالد دانيال

تعرض أسطورة **أقهات بن دانيال** في جزئين، أولهما قصة الوالد **دانيال**، والثانية قصة الابن **أقهات.** أما دانيال فكان رجلاً صالحاً، يحكم بين الناس بالعدل، نذر للآلهة اعتكافاً في الهيكل مدته سبعة أيام، من أجل أن يرزق بولد، وفي سابع يوم من اعتكافه يظهر له البعل، فيشفق عليه، ثمّ يتوسل إلى إيل الذي يستجيب لشفاعته، فيعده بأن يرزقه ابناً، وهذا ما يحدث، إذ يولد له ابن اسمه أقهات[2].

وثمّة قصة أخرى لدانيال، حدثت بعد ميلاد أقهات، حيث زاره الإله كاشر-وخاسس(3)، عندما كان جالسا في البيدر(قرب بوابة المدينة) للقضاء بين الناس، ولمّا رفع بصره، لمح كاشر-وخاسس عن بعد، فنادى زوجته دانتية، وأعلمها بضرورة إكرام ضيفه، وفي أثناء استقباله له، ، قامت دانتية بتجهيز خروف لإطعام الضيف الإلهي،؛ وبعد فراغ هذا الأخير من الطّعام، يسلّم لدانيال هدية مثّلة في قوس لابنه أقهات، ويقطع عهداً لكاشر-وخاسس، بتقديم بواكير صيده للمعبد(4).

تشبه قصة كثيراً قصة النبي إبراهيم لمّا زاره يهوه، حسب نصوص العهد القديم، رغم بعض الاختلافات، فقد كان جالسا عند باب خيمته قرب مدينة حبرون، ولمّا رفع بصره رأى يهوه بمعية اثنين من حاشيته، فركض لاستقبالهم، وطلب من زوجته سارة إعداد الخبز، واختار عجلاً طرياً، لاطعامهم. وبعد فراغ يهوه ومن معه من الطّعام، وعد النبي إبراهيم بولادة ابن له من سارة، وقد بلغا من الكبر عتيا(5).

1- العهد القديم، أي:1/ 1-14.

2- ملحمة أقهات بن دانيال، اللوحة الأولى، العمود الأول.

3- كاشر –وخاسس، أو كوثر حاسيس، هو إله الفنون والبناء، الذي كان يشرف على بناء هياكل الآلهة، ويصنع آلات [illegible] 68

5- فراس السواح، المرجع السابق،ص251؛ العهد القديم، تك: 18/ 1-14.

نتوقّف عند هذه الأمثلة، لنستنتج أنّ أفكار القصص التي أوردتا نصوص العهد القديم،مستوحاة من
الأساطير الفينيقية في ظاهر أحداثها، وفي جوهرها أيضا، ففي صراع يهوه ضد قوى الشر، ما يقابله في أسطورة البعل وعناة، من صراع ضد يم، وموت؛ وفي مصيبة النبي أيوب، ما يشبهها في فاجعة كارت ملك الصيدونيين؛ وكذلك الأمر بالنسبة إلى قصة دانيال الوارد ذكرها في أسطورة أقهات بن دانيال.

ثانياً: تأثير الطقوس العقائدية الفينيقية في الشعائر العبرانية.

ليس من شك في أنّ الفينيقيين الذين اعتقدوا بوجود آلهة تحميهم وتسير أمورهم، قد جعلوا في عبادتم لها طرائق وأساليب، اعتادوا ممارستها في المناسبات فيما يعرف بالطّقوس التعبدية، وذلك من أجل إرضاء تلك الآلهة عند غضبها ومواساتا في أحزا ا وآلامها، ودعائها عند الحاجة، ومن تلك الطّقوس، نذكر ما يمكن أن نجد له شبيهاً في الطقوس العبرانية. وذلك من خلال ما ذكرته نصوص العهد القديم.

1) إحياء الأعياد والمناسبات الدينية.

مثلت مأساة موت البعل متنفّسا لأسى نفس الإنسان الفينيقي، ومثلت عودته إلى الحياة رمزاً للابتهاج والمسرات،فكانت من ذلك طقوس الاحتفال بقيامة البعل من بعد مراسيم الحزن على موته عيداً سنويا احتفل به الفينيقيون لفترات طويلة من الزمن استمرت إلى فترتي الإغريق والرومان، وإن اختلفت الأسماء. وقد تمثلت طقوس الحداد في خروج النساء، والفتيات، والرجال والرهبان، في بداية فصل الربيع من كلّ سنة، فيقوم الرهبان بتمزيق ثيا م، ونتف لحاهم، وجز شعور رؤوسهم؛ بينما تستعد النساء للمناحة، تقليداً لعشتارت، فتجهزن دمية، على أنها البعل، وتتجهن نحو البحر حافيات الأقدام، وترمينها فيه، ثمّ تقمن بالنياح وقرع الصدور، ويستمرهذا الأمر مدة سبعة أيام، ترجعن بعده إلى المدينةلإحياء مراسيم الاحتفال بعيد قيامة البعل، الذي تدوم مدته سبعة أيام أيضاً[1]. وقد امتازت تلك المراسيم ، بإقامة الحفلات الغنائية، وإعداد الولائم، وتقديم الأضاحي للآلهة، من طرف

1- ... Pierre Grimal, La ... Rome,(France :BORDAS,1971),p162.

الرجال والنساء، وقد عد البغي المقدس، مصدراً ماليا للنساء اللائي يشترين به أضحية لـ**عشتارت**، إذ كان على المرأة أن تب نفسها، أثناء إقامة الاحتفال، للغرباء مقابل أجر تتقاضاه، وعند امتناعها عن فعل ذلك ، كان عليها حلق شعر رأسها، وفي ذلك مشاركة لعشتارت في أحزا ا[1].

أما الرجال، فكانوا يضحون لآلهة الخصب بتقدمة جزء من أعضائهم التناسلية، وهو ما يعرف بالختان، ويخدمون في المعبد كخصيان[2].

ويذكر الكثير من الباحثين، ممارسة العبرانيات لعملية البغي المقدس، على أنها ظاهرة طبيعية، هدفها الحفاظ على النسل، مستشهدين في ذلك بما أوردته نصوص العهد القديم، ففي الإصحاح الثامن والثلاثين من سفر التكوين، ما ملخصه أنّ امرأة عبرانية اسمها ثامار، زنت مع والد زوجها، وهو يهوذا بن النبي يعقوب، لترزق منه بطفل، ذلك أنها لم تحصل عليه من زوجها أونان، وكانت تدف من وراء البغي إلى الحفاظ على الخصب، وتحقيق ظاهرة الأمومة(3).

كما يذكر سفر إرميا أنه بعد نفي نبوخذنصر ، هاجرت جماعة من العبرانيين المقعدين بمعيته، إلى مصر؛ وفي الطريق إليها قامت النسوة بالتبخير، وتقديم النذر إلى الإلهة عشتارت، ملكة السموات، فنهاهم إرميا عن فعل ذلك، لكنهن أبين الانتهاء، وبرهن له بأنّ السلام كان يعم العبرانيين عندما كن ينذرن ويبخرن لملكة السموات، وبأنّ عبادة يهوه لم تجد نفعاً، إنما زادتم محناً ومصائباً(4). وقد ورد ذكر لذلك الإصحاح الرابع والأربعين من السفر:**"..إننا لا نسمع لكَ الكَلِمةَ التِي كلمتنا بِها بِاسمِ الرب، بلْ سنعملُ كُل أمرٍ خرج مِن فَمِنا فَنبخر لِمِلكَةِ السمواتِ ونسكُب لَها سكَائِب كما فَعلْنا نحن وآباؤنا وملُوكُنا ورؤساؤنا فِي أرض يهوذَا وفِي شوارِعِ أورشِليم فَشبِعنا خبزاً وكُنا بِخيرٍ ولَم نر شراً. ولَكِن حِين كفَفْنا عن التبخِيرِلمِلكَةِ السمواتِ وسكْبِ سكَائِب لَها احتجنا إِلى كُل وفَنِينا بِالسيفِ و الجُوعِ..."**(5).

-1 يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص214؛ Gerhard Herm,op.cit,p141

-2 فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص126.

-3 [illegible]

-5 العهد القديم، إر: 44/15-19.

ومن أعياد العبرانيين الدينية، والمنتمية إلى البيئة الزراعية، نجد :

عيد الفصح الذي كان أقرب في طقوسه، ومراسيم الاحتفال به، إلى طقوس واحتفالات القيامة لدى الفينيقيين، فقد جسد هذا العيد فكرة انتصارالحياة على الموت الذي كان مفروضاً على أبكار العبرانيين، لأنّ يهوه أمرهم في سفر الخروج بتخصيص كلّ ذكر بكر، من البشر أو من البهائم(1)، كما سنذكر لاحقاً، وبعدها استعاضوا ذبح حمل يختار، حسب تعليمات يهوه، بذبح أبنائهم ،في عاشر يوم من شهر أبيب (نيسان/أبريل)، ويذبح في اليوم الرابع عشر من الشهر

نفسه، وكما يبدو، فالموسم هو موسم الربيع. ولم يكن يسمح لغير المختونين المشاركة في عيد الفصح(2).

ويأتي عيد الحصاد بعد عيد الفصح بسبعة أسابيع، وهو المعروف باسم **شابوعوت**، وأطلق عليه اليونان تسمية(*Pentecoste*) ومعناها الخمسين، لحدوثها في اليوم الخمسين بعد عيد الفصح.

كما عرف العبرانيون عيداً سنويا آخر هو سكوت المظال، الذي يشار به إلى اية موسم الحصاد، وبداية موسم الخريف، ويعرف أيضاً بعيد العنب، وقد اعتبر هذا العيد مناسبة لإحياء ذكرى استقرار العبرانيين في أرض كنعان بعد أن جابوا البرية، وسكنوا الخيام، فيحتفلون به، في مدة قدرها سبعة أيام(3).

لقد احتفل العبرانيون بأعياد ومناسبات دينية، وفق طقوس مورست على النمط العقائدي الفينيقي، واعتبروها ضرورية للحفاظ على الخصب، وضمان المحاصيل الجيدة(4).

ولنا أن نلخص فيما يلي العوامل التي اشترك فيها العبرانيون والفينيقيون، في الطّقوس التي أتينا على ذكر أهمّها:

- إحياء فكرة التجدد في الطبيعة، وانتصار الحياة على الموت.
- ارتباط الطقوس العقائدية بالمواسم الزراعية، مثل حدوث قيامة البعل، وعيد الفصح في فصل الربيع.

-1 أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص177.

-2 صموئيل شولتز، المرجع السابق،ص92؛ Edmond Fleg, *Anthologie Juive :Des origines à*

-4 أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص169.

اعتبار ظاهرة الختان التي عرفها الفينيقيون،كتقدمة لآلهة الخصب، واجباً دينياً أقرته الطّقوس العبرانية للمشاركة في أهم الأعياد.

- تطبيع ظاهرة البغي المقدس عند العبرانيات، وتسويقها دف فينيقي الفكرة، هو الحفاظ على النسل والخصب.
- تقديس العدد سبعة، من طرف كلا الشعبين.

ولم تتوقّف التأثيرات العقائدية الفينيقية، في الديانة العبرانية عند حد اقتباس العبرانيين، لبعض أشكال الطّقوس التي مارسها الفينيقيون،بل تعدى الأمر ذلك إلى الانصهار الكلّي للديانة العبرانية في المعتقدات الفينيقية، مثلما رأينا في انسياق العبرانيات وراء عبادة الإلهة عشتارت، بممارستهن طقوس الاحتفال، وتقديم النذر التي تعودت النساء الفينيقيات القيام ا.

2) الأضاحي والنذر

علمنا فيما ذكر، كيف أنّ الفينيقيين والعبرانيين، مارسوا طقوساً عقائدية، وأقاموا أعياداً واحتفالات ، قدموا في خلالها عطايا وهبات من أجل التقرب إلى آلهتهم.

القرابين البشرية: انتشرت في أوساط الفينيقيين، ظاهرة تقديم القرابين البشرية، من أجل إسكات غضب الإله موت(مولوخ)، ذلك أنه عندما يغضب يرسل عليهم الأوبئة والكوارث الطبيعية، مما تطلّب التضحية بأنفس الموجودات، والممتلكات، التي تجسدت في التضحية بالأبناء الأبكار، فكانت إراقة دمائهم، وتلطيخها فوق جدار مذبح الإله موت كفيلة بإسكات غضبه[1].

أما العبرانيون، فتذكر نصوص العهد القديم، أنّ يهوه أمرهم بتقديم قرابين بشرية ممثلة في الأبناء الأبكار، من أجل تقديسه، وقد اعتبر الأمر كذلك تكفيراً عن الذنوب والمعاصي،إذ جاء في الإصحاح الثالث عشر من سفر الخروج:**"...وكلّم الرب موسى قَائِلاً.قَدس لِي كُل بِكْرٍ فَاتِح رحِمٍ مِن بِني إِسرائِيلَ مِن الناس ومِن الْبهائِمِ..."**[2]. كما تذكر المصادر التوراتية، بأنّ النبي إبراهيم كان قد تلقّى من يهوه أمراً بذبح ابنه

2-العهد القديم، خرو: 1/13؛ احمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص177.

إسحاق[1] إذ جاء في الإصحاح الثاني والعشرين من سفر التكوين:**" وحدثَ بعد هذِهِ الأمورِ أن اللهَ امتحن إِبراهِيم. فَقَالَ لَه...خذِ ابنك وحِيدك الذِي تحِبه إِسحق واذْهب إِلى أَرض الْمرِيّا وأصعِده هناك محرقَةً على أحدِ الْجِبال الذي أقُولُ لَك..."**[2].

تقدمات أخرى:لم يكن الفينيقيون يضحون فقط بالأبناء، بل كانوا يضحون بالحيوانات أيضاً، وقد تمثّلت تلك الحيوانات في الغنم والطيور، وكان على المضحي أن يقدم مع أضحيته هبة من

حبوب أو زيت أو قمح، أو خمر؛ كما كان عليه اتباع خطوات من أجل تقديم قربانه، مثل ما قام به كرت ملك الصيدونيين، عندما أتى ليقدم ذبيحة لإيل، فقد اغتسل، وتخضب بالحناء. ثمّ غسل ذراعيه من أصابعه حتىكميه، ثمّ أمسك ذبيحته بيده ليصعدها إلى المحرقة[3].

أما العبرانيون فكانت ممارسة التقدمات غير البشرية أمرا مألوفا لديهم خاصة فيما يتعلّق بالتقدمات الحيوانية المتضمنة إراقة الدماء، والمتمثّلة في الثيران، والماعز، والخرفان؛ وكانت الحمام يستبدل ا في حالات فقر المضحي[4].لم تختلف خطوات التضحية التي اتبعها، إذ كان على من يقدم الأضحية أن يتطهر،ويكون نظيفاً، فقد ذكر الإصحاح الثامن من سفر اللاويين أنّ النبي موسى عندما قام بتقديم ذبيحة، أمر أخاه هارون وبنيه، بالاغتسال بالماء وتطهير الثياب والمكان[5] . وكان على المضحي إرفاق قربانه بتقدمة من دقيق، أو زيت، أو خمر، على ما ذكر في الإصحاح الخامس عشر من سفر العدد:**"...يقَرب الذِي قَرب قُربانه ِللرب تقْدِمةً ِمن دِقيق عشرا ملْتوتاً ِبربعِ الْهِينِ ِمن الزيتِ وخمراً ِللسكِيبِ..."**[6].

[1]-في المصادر الإسلامية امتحن الله النبي إبراهيم كي يذبح ابنه إسماعيل وليس إسحق، إذ يقول عزّ وجلّ في سورة الصافات :**"فَبشرناه بغلام حليم، فلما بلغَ معه السعي قَالَ يا بني إني أرى** في **المَنام أني أذبحك فانظُر ماذا ترى قَالَ ياأبتي افعل ما تومرستجد**ني **ان شآء اللهُ ِمن الصاِبرِين،...وفَديناه ِبِذبحٍ عِظيمٍ"**(الآيات 101-107 من سورة الصافات) ونحن هنا لن ندخل في مقارنة بين الفكرتين ،لأن هذا لا يخدم موضوعنا.

[2]-العهد القديم،تك: 22/1-3.

[3]-جان مازيل، المرجع السابق، ص208؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص36؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص122-123.

[4]-كانت التقدمات العبرانية متنوعة، وهي: ذبيحة المحرقة، وذبيحة السلامة، وذبيحة الخطيئة، وذبيحة المعصية، وكان لكلّ منها مناسبة خاصة، ومناسبة معينة، لكنها تتفق في نوع الأضحية، وكثيرا من طقوس الآداء.-أنظر، صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص84-87.

[5]-العهد القديم، لاوي: 6/8-13.

[6]-العهد القديم، عد: 4/15-5؛ صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص84.

وقد كان للذبح شروط، منها وضع يد صاحب التقدمة على القربان، وذبحه إياه، ثمّ رش لدم على المذبح، فحرق الذبيحة. ومن ذلك يمكننا استخلاص وجود العلاقة بين التقدمات التي كان

يمارسها الفينيقيون، والعبرانيون، سواءً من حيث المبدأ القائمة عليه فكرة التضحية، وهو التقرب إلى الآلهة، أو من حيث نوع الأضحية، أو من حيث طريقة تقديمها.

3) نماذج عن بعض التشريعات العبرانية المقارنة بالطّقوس الفينيقية.

-اتبع الفينيقيون عند حدوث الجفاف مراسيم لاستمطار السماء، تمثّلت في سكب الزيت أو الدهن للإله بعل[1]؛ وهذه الفكرة نجدها لدى العبرانيين أيضاً. إذ جاء عن النبي يعقوب، أنه أقام عموداً من حجر كان يضعه تحت رأسه، ثمّ صب على رأسه زيتاً[2].

-وثمّة تطابق بين مطالبة الآلهة الفينيقية لكرت ملك الصيدونيين،بتنفيذ نذره، وبين مطالبة يهوه العبرانيين، بضرورة الوفاء بالنذر، إذ ذكر الإصحاح الثالث والعشرين من سفر التثنية:**"إِذَا نذَرت نذْراً لِلرب إِلٰهك فَلاَ تؤخر وفَاءَه "**[3].

-كما أنّ كرت كان قد نذر لإيل صنع محرقة، تماماً كا نذر العبرانيون صنعها ليهوه، إذا هم دخلوا أرض كنعان، وهذا ما أوردته نصوص العهد القديم التي منها:**"...وكَلم الرب موسى قَائِلاً كَلم بنِي إِسرائِيلَ وقُلْ لَهم متى جِئْتم إِلَى أَرض مسكَنِكُم الَّتِي أَنا أُعطِيكُم وعمِلْتم وقُوداً لِلرب محرقَةً أَو ذَبِيحةَ وفَاءً لِنذْرٍ أَو نافِلَةٍ أَو فِي أَعيادِكُم..."**[4].

-ويمكن أن نلاحظ أثناء المقارنة وجود اختلافات بين التشريعات التوراتية، وبين المعتقدات الفينيقية، ومن ذلك نضرب مثلاً ذكرته النصوص الأوغاريتية كثيراً، وهو الحث على طهي جدي بالحليب، في حين أنّ التشريعات العبرانية تحرم ذلك، فقد تكررت عبارة:**" لاتطْبخ جدياً بِحلِيبِ أُمِهِ..."** في أسفار العهد القديم، مثل سفري التثنية، والخروج[5].

1- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص149.

2- العهد القديم، تك: 18/28.

3- العهد القديم، تث: 21/23-22؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع نفسه، ص136.

العهد القديم، تث: 21/14؛ خرو: 26/34.

هذا، وتجدر بنا الإشارة إلى أنّ المصادر التشريعية العبرانية كانت قد حرمت ممارسة الطقوس الفينيقية، أو حتى الاقتباس من بعض مظاهر الديانة الكنعانية، وذلك عن طريق الأنبياء. بيد أنّ الانسياق وراء مظاهر العبادة الكنعانية، والفينيقة كان أطغى[1]. من أجل ذلك، نعلّق على ما ذكرناه بخصوص المقارنة بين المعتقدين الفينيقي، والعبراني، بأنّ التشابه أو الاختلاف بين

الديانتين، لم يكن أمراً دقيقاً، والسبب في ذلك هو استمرار الكثير من العبرانيين في الاندماج في مظاهر الديانة الفينيقية، وفشل الأنبياء في كبح جماح ذلك الاندماج.

4) النظام الكهنوتي.

مثّل الكهنوت لدى الفينيقيين، صفة من صفات الملوك الذين كانوا يشرفون على تطبيق الشعائر والطّقوس التي ذكرنا أمثلة منها؛ فيؤدون وظيفة تقديم القرابين، ويستلمون الهدايا. وكان الكهنة ينذرون حياتم لخدمة الآلهة، ويرأسهم الكاهن الأكبر. وقد عرف الكهنة باسم **قديشيم**، أي القديسون. وتميز هؤلاء عن غيرهم بارتدائهم سترات بيضاء، وطويلة (كالجبة)، وبدون حزام[2].

ويذكر الباحث **موسكاتي سباتينو** كتابه **الحضارات السامية القديمة** أنّ النصوص الأوغاريتية أشارت إلى بعض طقوس التنبؤ، وإلى طائفة الأنبياء الذين لم تعرف لهم وظيفة في الديانة الفينيقية،وإن شكّلوا مظهراً من مظاهرها[3].

وليس الأمر مختلفاً لدى العبرانيين، إذ تولّى اللاويون أعمال الكهنوت، وتكفّلوا بمهام استلام القرابين والعطايا، وتقديم الذبائح المشار إليها آنفاً، كما كان لهم الإشراف على تطبيق الفرائض، وتنوير الشعب العبراني في أموره الدينية، وذلك تحت إمرة كبيرهم، أي رئيس الكهنة[4].

1- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص150.

2- جان مازيل، المرجع السابق، ص36؛ موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه، ص129؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص98.

3- موسكاتي سباتينو، نفسه، ص129.

وقد ارتدى الكهنة العبرانيون زياً، اشترطت فيه النظافة، وتمثّل في القميص الأبيض الطّويل ذي الأكمام حتى القدمين، تماماً مثل زي كهنة الفينيقيين، لكن مع حزام يشد في أسفل الصدر. وقد يكون الاختلاف بين الكهنة العبرانيين والكهنة الفينيقيين كامناً في انفراد رئيس الكهنة العبراني برداء أكثر أناقة من رداءات الكهنة العاديين، ويختلف عنهم في لونه الأزرق،

والدلايات الملونة بـ: الأزرق، والأرجواني، والقرمزي، والذهبي، والمثبتة في أسفله، وربما يكون ذلك من أجل التعريف به، وتمييزه عن غيره من الكهنة أثناء أداء المراسيم(1).

أما النبوة فقد مثّلها، عند العبرانيين كهنة امتازوا بالحكمة، والربط بين الدين والأخلاق؛ والنبي هو الذي يوحي إليه يهوه ويحمله رسالة إلى العبرانيين. والنبوة ظاهرة جبرية تأتي من دون الرغبة فيها، فيصبح النبي رجل الله الطّامح إلى الحياة البسيطة، والداعي إلى التمسك بالعقيدة العبرانية، الناهية عن التساهل مع العبادات الأجنبية، والتهاون في الدين، والمهددة بالعقاب، في حلات المخالفة والخطأ(2).

ويبدو أنّ النظام الكهنوتي العبراني، قد اعتمد في كثير من النقاط على النظام الكهنوتي الفينيقي، رغم أنّ الحديث عن هذا الأخير كان محتشماً، بسبب سكوت المصادر عن ذكر معلومات وافية بخصوص الحياة الدينية الفينيقية(3).

ثالثاً: تطور المعتقدات الدينية الفينيقية- العبرانية

استمر الفكر العقائدي الفينيقي على النمط الذي عرضناه، إلى أن انتشرت الحضارة الهللينية، واحتلّت المكانة الأولى في المنطقة الكنعانية. فالديانة الإغريقية لم تفرض عنوة على الفينيقيين، بل تركت لهم حرية العبادة، وفتحت أمامهم مجال المعرفة والاحتكاك بأديان أجنبية.

وقد انصهرت العقيدة الفينيقية في الفكر الإغريقي، وكأنها جزء منه، فقد تأثّر الفينيقيون بالأساطير

1- صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص80-83.

2- فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص379؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص150-151؛ محمد أبو المحاسن [illegible] 171

اليونانية، ولاسيما المتعلّقة منها بشؤون الحب والحياة، فمارسوا طقوسهم التي عهدوها، لكن على النمط الإغريقي(1).

وفي العهد الروماني، ارتقى الفكر العقائدي الفينيقي، وأصبح يعتمد على تقديس الحكمة، وتأليه الأبطال بمنحهم رتب الأولياء والقديسين، إلى أن ظهرت الديانة المسيحية، وقبلها

الفينيقيون بالأسلوب الذي ألفوه في الجوهر، وما بدلوا منه سوى الظاهر، مما جعل انتقالهم إلى المسيحية انتصاراً فكريا لعقيدتم، لا ا ،زاماً أمام عقيدة جديدة، وشعب غريب(2).

أما العبرانيون، فقد ظلّ أمرهم طيلة مكوثهم بأرض كنعان، متراوحاً بين تمسك بالديانة العبرانية، وارتداد عنها في حال وقوع المصائب، دون الانتهاء من التأثّر بالمعتقدات الفينيقية والانجذاب نحوها، وقد زادتم سنين النفي تعلّقاً بالفكر الوثني. ولم تمنعهم الحضارة الهللينية، ومن بعدها الوجود الروماني بالمنطقة من ممارسة طقوسهم، وتطبيق شرائعهم؛ والسبب في ذلك أنها لم تكترث لأمرهم(3).

وقد سادت في أوساط العبرانيين، في هذه الفترات، فكرة ظهور المسيح المخلّص، على ما يذكر الإصحاح الحادي عشر من سفر إشعياء: **" و يخرج قَضِيب مِن جِذْع يسى وينبت غُصن مِن أصولِه ويحل عليْهِ روح الرب...يقْضِي بِالعدل لِلْمساكِين ويحكُم بِالْإِنصافِ لِبائِسِي الْأرض ويضرِب الْأرض بِقَضِيبِ فَمِهِ ويمِيت الْمنافِق بِنفْخةِ شفَتيهِ. و يكُونُ الْبِر مِنطَقَةَ متنيهِ والْأمانةُ مِنطَقَةُ حقْويهِ."**(4).

لم تكن ديانة العبرانيين سوى تطبيق للتشريعات التي وجدت في أرض كنعان، والمرتبطة بالطبيعة ومظاهرها. ذلك لأنّ الممارسات الدينية العبرانية على النمط الفينيقي ، كانت نتيجة حتمية لاندماجهم في الحياة الفينيقية وتأثّرهم ا(5).

-1 يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص234؛ Adel Ismail, op.cit, p35 ; pierre Grimal, op.cit, p158

-2 يوسف الحوراني، المرجع نفسه، ص240-243.

-3 إسرائيل شاحاك، **الديانة اليهودية وتاريخ اليهود –وطأة 3000عام،** ترجمة،رضا سليمان، ط7(بيروت: شركة المطبوعات، 2003م)، ص97.

-4 العهد القديم، إش: 1/11-5.

-5 أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص36.

وقد حافظ العبرانيون على الطّقوس العقائدية الفينيقي، وحفظوها في كتبهم المقدسة، مما جعلها تراثاً دينياً، لما يتضمنه من تشريعات وأحكام عقائدية، وتراثاً تاريخياً لأنه يتعرض لذكر

الأحداث والوقائع الّتي شهدها العالم القديم، وتراثاً أدبياً في الأسلوب والشكل واللغة التي ظهرت عليها تلك الكتابات المقدسة.

ومما لا ريب فيه وجود اعلاقة بين الأدب الفينيقي، والأدب العبراني بحكم ما أوردناه سالفاً؛ وهذا ما يستدعي تفحصاً لتلك العلاقة، وأطوارها.

الفصل الثالث: مظاهر الفكر الأدبي الفينيقي-العبراني.

جمعت الظروف الجغرافية، والتاريخية بين الشعبين الفينيقي والعبراني، فكان في ذلك أثر في تفعيل الروابط الدينية بينهما، وما تضمنته من أحكام وتشريعات محفوظ أغلبها في النصوص القديمة؛ وقد عدت هذه الأخيرة إرثاً أدبياً أسهم في تغذية حضارة المنطقة، وتاريخها. فقد كشفت

نصوص رأس الشمرا عن جانب كبير الأهمية بالنسبة للحياة الأدبية الفينيقية، وليس الأمر مختلفاً عن الأدب العبراني الذي صيغت نصوصه في كتب العهد القديم، وسنحاول في هذا الفصل الكشف عن العلاقة بين الأدبين، من خلال العناصر الموالية.

أولاً: المقومات اللغوية.

1) العلاقة اللغوية بين العبرانية والفينيقية:

أشرنا في بداية البحث إلى انحدار الفينيقيين والعبرانيين من أصل واحد هو الأصل السامي؛ ولا تطلق كلمة السامية على الشعوب المشكّلة لها فحسب، وإنما على اللغات، واللهجات التي تتحدث ا أيضاً. وبذلك يمكن اعتبار اللغتين الفينيقية والعبرانية ذواتا أصل سامي[1].

وقد قسم الباحثون اللغات السامية إلى مجموعتين هما: اللغات السامية الشرقية التي تضم الفرعين البابلي، والآشوري، واللغات السامية الغربية التي تضم الفرعين الشمالي والجنوبي؛ أما القسم الشمالي فهوينقسم بدوره إلى قسم كنعاني، جاءت منه اللغات: الفينيقية، والقرطاجية، والأوغاريتية، والمؤابية، والأدومية؛ وقسم آرامي نتجت عنه اللغات: النبطية، والتدمرية، والسامرية، والسريانية، والعبرية...إلخ. بينما ينقسم الفرع الجنوبي إلى لهجات عرب الشمال، وعرب الجنوب، وإثيوبيا[2].

ويذهب محمد السيد غلاّب في كتاب **الساحل الفينيقي وظهيره**، إلى اعبار اللهجتين الفينيقية، والعبرية من أقسام اللغة الكنعانية[3]. ويوافق الباحث جورج كونتينو محمد السيد غلاّب، في مؤلّفه **تاريخ**

1- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص23؛ حلمي محروس إسماعيل، المرجع السابق، ص167؛ Fabrice Léomy,

3- محمد السيد غلاّب، المرجع السابق، ص206-207.

الحضارة الفينيقية القول بأنّ الفينيقية والعبرانية فرعان من اللغة الكنعانية، ويضيف بأنّ التشابه بين اللغتين بلغ حداً كبيراً[1]. هذا، ويذكر الإصحاح التاسع عشر من سفر إشعياء، في سياق الحديث عن عظمة العبرانيين، وانتصارهم على الأعداء، بأنّ لغتهم ستظفر وتسود على المدن

المنهزمة، وهي اللغة الكنعانية[2]، حيث جاء في الإصحاح:**"ِفي ذَلك الْيومِ يكُونُ ِفي أرض ِمصر خمس مدنٍ تتكَلم ِبلُغةِ كَنعانَ وتحِلف ِلرب الْجنودِ..."**[3].

ويعتقد العبرانيون أنّ اللغة العبرية هي أصل اللّغات، لأنّ يهوه خاطب ا آدم، وجعلوها لغة مقدسة[4]، وليس من دليل في صحف العهد القديم على أنّ اللغة التي استخدمها العبرانيون هي اللغة العبرية، التي عرفت باللغة اليهودية، بعد النفي البابلي، فالعبرانيون لمّا دخلوا أرض كنعان، اقتبسوا من سكا ا لغتهم، وأسموها **شفة كنعان،** أي لغة كنعان، ثمّ حلّت العبرية المشتقة من الآرامية محلّها[5]. لكن الباحث إسرائيل ولفنسون، ينفي في كتابه **تاريخ اللغات السامية،** اعتماد العبرانيين الكلّي على اللغة الفينيقية، معلّلاً أنّ التشابه بين اللغتين الفينيقية، والعبرانية سببه الاشتراك في اللغة السامية لا غير[6].

2) الأبجدية الفينيقية:

لايختلف مؤرخان في كون الأبجدية التي ظهرت في المنطقة الكنعانية، هي أعظم إسهام حضاري للبشرية[7]، ذلك أنّ الرموز المكتشفة في مختلف المدن الفينيقية، قد عبرت لأول مرة عن حروف مرفوقة بأصوات. واختزلت الخط المسماري، والخط الهيروغليفي، لتصبح أساس جميع الخطوط في العالم[8].

1- George Contineau, *La Civilisation Péniennes*, (Paris : Payot, 1949), 263.
2- M.S. Munk, ibid, p87.

3- العهد القديم، إش: 18/19.

4- إبراهيم السامرائي، **فقه اللغة المقارن**، (بيروت: دار العلم للملايين، 1968م)، ص07.

5- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص24؛ الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص74؛ M.S. Munk,op.cit, p87,435

6- إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص55،79.

7- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص120، محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص163؛ George Contenau op.cit, pp246-247.

8- جعفرالخليلي، المرجع السابق، ص39؛ إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص52.

تمّ اكتشاف الأبجدية الفينيقية، في مراحل متباينة، كانت أولاها في سنة 1904م، حين عثر الباحث الأثري الإنجليزي **فليندرز بيتري(** *Flinders Petrie*) على ألواح حجرية منقوشة، ا كتابات غير معروفة، وذلك في مكان غير بعيد عن سيناء، فأخذها إلى إنجلترا؛ وقد تمكن **السيرآلان غاردينار(***Sir Alan Gardiner* **)**، بعد عشر سنوات، أي في سنة 1914م، من فك رموز الأحرف المنقوشة في اللّوائح. وكان أهم ما توصل إليه الباحث هو أنّ تلك الحروف لم تكن مجرد مصورة، بل كان لكلّ منها صوت؛ وقد كانت أولى الأحرف التي تمكّن من حلّ رموزها هي (B-‘-L-t) التي معناها بعلة، أي إلهة جبيل[1].

كما عثر الباحث الفرنسي **مونتيه** *Montet* في سنة 1923م، على نقوش متميزة للأبجدية الفينيقية، منحوتة على تابوت **أحيرام** ملك مدينة جبيل في حوالي سنة1000ق.م. وعرفت تلك الأحرف المتشكّلة من اثنين وعشرين حرفاً بـ **أبجدية أحيرام**[2].

وحين تمّ اكتشاف النصوص الأوغاريتية، التي يرجع معظمها إلى أوائل القرن الرابع عشر قبل الميلاد، في سنة 1929م [3]، عكف كلّ من شارل فيرولّلو، وإدوارد دروم، وهانس بور، على فك شفرات النصوص المكتشفة، والبالغ عدد أحرفها ستة وعشرون أو سبعة وعشرون حرفاً من أصل ثلاثين حرفاً هجائياً[4]؛ وكان لكلّ حرف ما يقابله في العربية، باستثناء الحرف السادس عشر، حيث رتبت على النحو التالي: أ- ب- ج(المعطّشة/ المصرية)- خ- د- ه- و- ز –ح- ط- ي- ك- ش- ل- م- س (الأولى وهي غير معروفة)- ن- ظ- س(ثانية)- ع- ف- ص- ق- ر- ث- غ- ت-إ- أُ [5].

1- Gerhard Herm, op.cit, p223 ؛ أنظر الملحق رقم7، ص159.

2- فيليب حتي، المرجع السابق، ص120؛ جان مازيل، المرجع السابق، ص45.

5- أنيس فريحة، نفسه، ص27.

واتخذت الأبجدية الفينيقية أشكالاً مختلفةً، من أجل التمكن من قراءتا، وهذه الأشكال هي:

ألف= رأس بقرة - بيت= بيت - جيمل= جمل - دالت= باب - ها= شبكة حديد للشباك

واو= وتد - زاين= سلاح - حيت= حائط - طيت= حنش - يود= يد - كاف= كف اليد

لمد= عصا لضرب البقر - ميم= ماء - نون= حوت - سامخ= أداة يعتمد عليها كالعصا

عين= عين - فا= فم - صادى=شبكة للصيد - قوف= سم الخياط - ريش= رأس

شين= سن - تاو= علامة[1]. اتصف النظام الأبجدي الأوغاريتي بشكله الأسفيني (المسماري)، لاستخدامه ألواح الطين، وكان ذا طابع هجائي؛ وقد تشكلت الكلمات الأوغاريتية في أغلب الأحيان من ثلاثة أحرف أو أربعة، وكانت تكتفي بإدراج الحروف(consonnes)، دون الاهتمام بالحركات(voyelles)، باستثناء الهمزة التي وضعت لها حركات، وهذا ما حمل الباحثين على الاعتقاد بأنها لغة سامية[2]. وكانت الكتابة الأوغاريتية تدون من اليمين إلى اليسار، في حالات النقش والنحت، وتأخذ مساراً من اليسار إلى اليمين، في حالات التدوين بالقلم والحبر[3].

وقد ألقى شارل فيروللو، محاضرة بباريس، في 20 سبتمبر 1929م، عنوا ا،:النقوش المسمارية لرأس الشمرا (*Les inscriptions Cunéiformes de Ras Shamra*) ذكر فيها مميزات اللوائح المكتشفة، حيث شملت نصوصاً ا نوعين من الكتابات: أولهما معروف، وهو الخطّ الأكّادي (الأشوري/البابلي)، يضم قواعد وقوائم متعلّقة بالجانب العقائدي، ورسالتين شبيهتين من حيث الكتابة والأسلوب برسائل تل العمارنة. أما النوع الثاني، فقد بدت عليه رموز أكّادية، ذات خطّ مسماري، مدونة في لوائح تراوح طولها بين 04 و21سم، لكنها اختصرت إلى 26 أو27 رمزاً ذو طابع أبجدي[4].

-1 إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص100، - أنظر الملحق رقم 8، ص161.

-2 أنيس فريحة، نفسه، ص28،32؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص118؛ إسرائيل ولفنسون، المرجع نفسه، ص13.

-3 فيليب حتي، المرجع نفسه، ج1، ص120؛ أنيس فريحة، نفسه، ص27؛ G. Contenau, *Les Civilisations du proche Orient*, (Paris : Presse universitaires de France, 1963), p29

1641929.

هذا، ويصنف الأستاذ خالد سالم إسماعيل، وهو أستاذ مساعد بقسم الآثار:جامعة الموصل، الأبجدية الفينيقية المكتشفة إلى ثلاثة أنواعٍ، معتمداً على فيروّللو، وهي الأبجدية الكلاسيكية،

والأبجدية الهيروغليفية الجبيلية، والأبجدية المسمارية المسمارية الأوغاريتية. وقد استخدمت الأنواع الثلاثة في زمن واحد، على أنّ أبجدية أوغاريت كانت الأهم، والأكثر استخداماً في أغراض التدوين الأدبي[1].

3) الكتابة العبرانية:

لم يقتبس العبرانيون من الفينيقيين لغتهم فحسب، إنما استعملوا في تدوين كتاباتم، الخطّ الفينيقي المتداول في بلاد كنعان، فقد عثر في منطقة الخليل على مخطوطات عبرانية بلغة وأحرف فينيقية (كنعانية)، يرجع تاريخها إلى حوالي سنة 700ق.م [2].كما كشفت الأبحاث الأثرية التي أجريت في سنة 1880م، قرب مدينة القدس عن الخط العبري القديم الذي شاع استخدامه في القرن الثامن قبل الميلاد، وهي الفترة نفسها التي ترجع إليها مخطوطات الخليل، وتبين أنه أقرب ومن خصائص هذا الخطّ، عدم الاعتماد في هجائه إلى الأبجدية الفينيقية[3].

على الحركات، تماماً مثل الخطّ الأوغاريتي [4].

ولمّا كانت سنوات النفي البابلي، تطور القلم العبري، ودونت نصوص العهد القديم باللغة العبرية المعروفة بـ آرامية التوراة، وذلك لأنّ الخطّ المستخدم فيها كان مأخوذاً من الخطّ الآرامي القديم المشكّل من اثنين وعشرين حرفاً، وهو الخطّ الآشوري المربع الذي أصبح يعرف بالقلم العبري المربع، وهو المتداول إلى اليوم في الكتابة العبرية [5].

1- خالد سالم إسماعيل، "الكنعانيون من الأقوام العربية القديمة في بلاد الشام"، **الوطن العربي النواة والإمدادات** (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003م)، ص54.

2- جعفر الخليلي، المرجع السابق، ص82.

3- Encyclopédie Larousse Méthodique, (Paris : librairie Larousse, 1955) T1, p756.

4- إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص100؛ جعفر الخليلي، المرجع نفسه، ص82.

5- يعتمد في كتابة الخطّ العبري المربع على طريقتين، هما الطريقة اليدوية، والطريقة المطبعية، وبالتالي، فالحروف العبرية

نفسه،ص84.- انظر الملحق رقم12، ص165، وكذلك الملحق رقم 13، ص166.

وقد تميزت الكتابة العبرية الحديثة بكلماتا التي أخذت أشكالاً وحركات مساعدة في ضبط النطق، من خلال إضفاء حروف ناطقة لها، وهي: **الألف**، والهاء، **والواو**، **والياء**[1].

وكانت الأحرف العبرية مرتبة ترتيباً شبيهاً بالأبجدية الفينيقية، على النحو الموالي: **-آلف – بيت –كيمل – داليت – هي – فاف – زاين – حيت – طيت - يود – كاف – لامد – ميم – نون – سامخ – عاين – فيه – تصادك – كوف – ريش – شين – تاف** [2].

يتضح مما ذكرنا ، أنّ العبرانيين استعملوا في بادئ أمرهم الكتابة الفينيقية، ثمّ طوروها، وفق المعطيات التاريخية، إلى أن أصبحت في شكلها الأخير، مما يفسر علاقة الترابط بين الكتابتين الفينيقية، والعبرانية.

ضف إلى ذلك أنّ الخصائص المميزة لكليهما متشا ة؛ فكلتا الكتابتين تعتمد على الحروف الصامتة، دون استعمال الحركات، خاصة في الأطوار التاريخية الأولى، كما أنّ أغلب الكلمات العبرانية، والفينيقية، ذات مصدر ثلاثي أو ثنائي، وأحياناً تكون الكلمة أحادية، أي تتشكّل من حرف واحد فقط. والكلمات الفينيقية، والعبرانية، في معظم الأحيان، هي أفعال، وشأ ا في ذلك شأن مجمل اللغات، والكتابات المتفرعة عن اللغة السامية[3].

ثانياً: المخلّفات الأدبية

1) التراث الأدبي الفينيقي- العبراني:

لم يكن الفينيقيون كثيري الاهتمام با ال الأدبي، والسبب في ذلك هو انصرافهم إلى أعمال التجارة، والنشاطات الاقتصادية، على حد تفسير إسرائيل ولفنسون؛ كما أنّ تعرض المدن الفينيقية، بين فترة

-1 إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص100،103.

-2 كميليا أبو جبل، المرجع السابق، ص6.

-3 إسرائيل ولفنسون، المرجع نفسه، ص13؛ -أنظر الملحق رقم 14، ص167.

وأخرى إلى الغزو والنهب، حال دون تمكيننا من الاطّلاع على أعمالهم الأدبية، ولا سيما تلك المدونة على أوراق البردي، السريعة التلف، والتي لم تكن متوفّرة بكثرة[1]. لذلك قلّت المخلّفات

الأدبية الفينيقية، التي لم يذكر منها سوى ما وصل في زمن متأخرٍ، كنظرية التكوين الفينيقية، لفيلون الجبيلي، المروية عن سنخونياتن البيروتي، وتكفّل الإغريق ومن بعدهم الرومان بتدوين شروح لها[2].

ولمّا عثر على بقايا مكتبة أوغاريت، أصبح بالإمكان التعرف على نماذج من مخلّفات الفكر الأدبي الفينيقي، المتمثّل في الملاحم الشعرية، والأناشيد، والتراتيل[3]، على الرغم من صعوبة فك رموز نصوصها، والنقائص التي اعترتا[4].

أما التراث الأدبي العبراني، فمحفوظ أغلبه في أسفار العهد القديم، المنقسمة إلى كتب التاريخ ذات الأسلوب الإخباري القصصي، وكتب التراتيل ذات الأساليب الإنشائية، والمتضمنة أشعاراً وأناشيد[5]، دونت في فترات زمنية متباينة، وبلغات مختلفة، وهي الكنعانية، والآرامية[6]، مما جعل نصوصها تتعدل من فترة إلى أخرى؛ وبذلك كانت الأساليب الأدبية ا تتغير بسبب تغير التعابير المستحدثة[7].

فالادب العبراني كان، قبل الاستقرار في أرض كنعان، شبيهاً بأدب العرب في زمن الجاهلية، مرتبطاً بالأحداث التي عاشها العبرانيون، دون الاهتمام بالبحث والتعمق في الأساليب الإنشائية الصعبة، ومعتمداً على الخيال البدوي، والتشبيهات الصحراوية، التي ميزت قصائد الحماسة والعواطف الممزوجة

1- إسرائيل ولفنسون، نفسه، ص52؛ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص160؛ وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص38، يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص245؛ Gerhard Herm, op.cit, p103

2- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص130؛ M.S.Munk, op.cit p86

3- وهيب أبي فاضل، المرجع نفسه، ص38؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ج1، ص124؛ يوسف الحوراني، المرجع نفسه، ص247.

4- Encyclopédie Larousse, op.cit, p533.

5- محمد خليفة حسن أحمد، المرجع السابق، ص23؛ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع نفسه، ص170-171؛ M.S. Munk, ibid., p439.

6- [illegible] 83-84

السابق، ص79؛ موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه، ص88.

بالسذاجة، والغلظة، ولكن الأمر تغير بعد الدخول إلى أرض كنعان، إذ بات التأثّر بالحياة الزراعية المستقرة من ميزات العبرانيين وأشعارهم التي أضحت مرتبطة بالنمط المعيشي الجديد[1].

انفردت نصوص العهد القديم بتمثيلها للآداب السامية القديمة، فكانت المصدر الأول لدراستها؛ بيد أنّ اكتشاف نصوص رأس الشمرا ألغى تلك الأولوية، وأوضح أنّ الأدب الأوغاريتي، أولى بذلك التمثيل، بحكم الأسبقية التاريخية، ولما يتضمنه من مخلّفات أدبية للكنعانيين[2].

2) مقارنة نماذج عن الأساليب الأدبية الفينيقية والعبرانية:

وقد أجمع المؤرخون، والباحثون على أنّ التراث الأدبي العبراني هو مجموعة من الروايات الأدبية التي تناقلها الكنعانيون في القديم، وأصبحت مصدراً لآداب حضارات أخرى، ولآداب العبرانيين خاصة[3]. والواقع أنّ الادب الفينيقي المكتشف، قد أسهم بكثير في تفسير الأدب العبراني، الذي كان غامضاً، فالأب **روبير دو لانج** (*P. R. de Langhe*) ، نشر في هذا المضمار دراسة عنوا ا: نصوص رأس الشمرا، وعلاقتها بالوسط التوراتي (*Les textes de Ras Shamra et leurs Rapports avec le milieu biblique*) ، وقد جاء فيها ما معناه **" العبريون اغترفوا من حضارة كنعان، إذ كانوا قبل الفتح** في **نصف بداوة** ثمّ **احتكّوا بسكّان بلاد متقدمة** في **الثقافة. إنّ نصوص رأس الشمرا، قبل نصوص تل العمارنة التي اكتشفت** في **مصر قبل ذلك، توضح لنا وتفسر نصوصاً توراتية:**

-أولاً من حيث اللغة التوراتية، والاصطلاحات العبرية.

-ثانياً من حيث أساليب التوراة وآدابا..." [4].كما قام كلود شيفر بتفسير نصوص من العهد القديم

اعتماداً على نصوص أوغاريتية، وأوردها في مؤلّف صدر في لندن سنة 1939م، عنوانه نصوص رأس الشمرا المسمارية،(*The Cunéiforme Texts of Ras Shamra*)، وكذلك قام دوسو بإجراء العشرات من المقارنات بين الأدبين الفينيقي والعبراني في دراسة عنوا ا مكتشفات رأس الشمرا والعهد القديم (*Les découvertes de Ras Shmra et l’ancien Testament*).

-1 إسرائيل ولفنسون، المرجع السابق، ص79،86؛ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص169.

-2 الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص43-44.

-3 [illegible]

[illegible] الشيخ نسيب وهيبة الخازن، نفسه، ص86.

أما نحن، فسنحاول ذكر مجموعة من الأساليب الأدبية المشتركة بين الفينيقيين والعبرانيين، معتمدين على مقارنة نماذج من نصوص العهد القديم، وأخرى من نصوص أوغاريت المتوفّرة لدينا.

- استند العبرانيون في تدوين نظمهم الاجتماعية والدينية، إلى أساليب أدبية وردت فيها صيغ الأمر، والوصية، والنهي، والرواية، والقصص...، وهو الاسلوب الذي نجده لدى الفينيقيين الذين احتكموا في حياتهم إلى جملة من القصص، والروايات الأدبية، المحفوظة في الملاحم الأوغاريتية [1].
- افتتحت معظم مزامير العهد القديم أسفارها بحرف "لِـ"، كي ينسب المزمور إلى إحدى الشخصيات العبرانية، فنقرأ مثلاً: مزمور لِآساف، مزمور لِإمام المغنين، مزمور لِداود، مزمور لِبني قورح، لِأيثان الازراحي، ...، ولاتخلو الملاحم الأوغاريتية من هذا الشكل الأدبي، مثل ملحمة كارت ملك الصيدونيين، التي تفتتح بـ:"لِـ كارت ...ملك"، أي لكارت الملك[2].
- اتصف الأدب العبراني في أسفار المزامير بـأسلوب الزجل الغنائي، الذي نراه في التراتيل القائمة على الموازنة في الأشعار، والحكم، والأمثال، والأغاني التي صيغت في قالب شعري شرقي مألوف، ومعتمد على التوازي بين الاجزاء المتتالية، والتكرار في العبارات الغنائية؛ وفي ذلك تشابه من حيث المفردات، والأفكار، والأوزان الشعرية، والتركيب الأدبي،مع النصوص الأوغاريتية، التي منها ملحمة أقهات بن دانيال، المصاغة بالأسلوب ذاته، وهو الزجل الغنائي[3]، ونضرب بذلك مثلاً، صيغة التكرار الواردة في عبارة من سفر نشيد الإنشاد، وهي:**"أحلفُكُن يا بناتِ أورشِليم بِالظباءِ وبِأيائِل الحقُول ألا تيقظْن ولاَ تنبهن الْحِيبب حيثُ يشاءُ..."**[4]، ونجد

1- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص99.

2- الشيخ [illegible] 100.

4- العهد القديم، نش:7/1، 5/3.

أسلوب التكرار في النصوص الاوغاريتية وارداً في عدة نصوص، مثل العبارة الواردة في السطرين الحادي والعشرين، والثاني والعشرين من ملحمة مولد الآلهة الجميلةوالوسيمة:

21- إنني غيور على أسماء

22- أبناء الملوك[1]**.**

- اعتمد الأدب العبراني على أساليب مصدرها العاطفة الإنسانية المتأثّرة بطبيعة أرض كنعان وجمالها، فكان التغني بجبال لبنان وأرزه نموذجاً رائعاً للشعر العبراني ، استخدمت فيه أساليب التشبيه بالجمال[2]؛ ونذكر من تلك الأشعار، ما جاء في بعض إصحاحات سفر نشيد الإنشاد:

*"**هاأنت جمِيلٌ يا حِبِيبي و حلْو وسريرنا أخضر. جوائِز بيتِنا أرز وروافِدنا سرو".**

***" هلُمي معِي مِن لُبنانَ يا عروس معِي مِن لُبنانَ ...شفَتاكِ يا عروس تقْطُران شهدا. تحت لِسانِكِ عسلٌ ولَبن ورائحةُ ثِيابِكِ كَرائِحةِ لُبنانَ.".**

***" ساقَاه عمودا رخامٍ مؤسستان على قَاعِدتين مِن إبريزٍ. طَلْعته كَلُبنانَ. فَتى كَالأرز...".**

***" أنفُكِ كَبرجِ لُبنانَ الناظِر تجاه دِمشق"**[3]**؛** نرى هذا الأسلوب في ملاحم أوغاريت التي تغنت هي الأخرى بغلّة لبنان الزراعية، وبشهرتا، ففي العمود الثاني من اللائحة الثالثة، لملحمة الرفائيم (الأخيلة والأشباح)، نقرأ الأسطر الموالية:

14-...وجِداء تبدو كفضة.

15- للمشاهدين، زيت ذهبي للمشاهدين، كحقل.

16- مضمخ بالعطر كانت المائدة بالفعال(هو زهر العنب ذو الرائحة الزكية المستحبة.)

---

[1]- ملحمة مولد الآلهة الجميلة والوسيمة، الأسطر21 -22، -نقلاً عن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص353.

[2]- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص63؛ M.S.Munk, op.cit, p439

17- الملوكية. ها هو اليوم الذي يسكب فيه خمر...

18- خمرة حلوة، خمر الأمراء، خمر من بلدِ

19- غلل، خمر ممتازة من أعالي قمم.

20- لبنان، الطّل نداه وإيل حرثه.

....

24- ويشربون في بيت الضيافة من أجمل وأثمن ما

25- يتدفّق من قلب لبنان."(1).

كما تغنت الملاحم الأوغاريتية بأرز لبنان وغاباته، في النص الرابع من ملحمة البعل وعناة:

18- أرسلت الرسل إلى لبنان وأشجاره.

19- إلى سيريون(جبل حرمون) **وأرزه الجميل.**

20- ذهبوا إلى لبنان وغاباته.

21- إلى سيريون وأرزه الجميل.(2).

- ونجد في سفر إشعياء شعوراً بالتفاؤل، مصوراً في سياق شعري، وهو ما يعرف بالتراتيل، حيث تتطلّع نفس الشاعر إلى مستقبل ظافر على الشر، يسوده الخير والوئام؛ ويستعمل في هذه التراتيل، أسلوب تشبيه تتآلف من خلاله مظاهر التضاد في الطّبيعة، فتلتقي الحيوانات المفترسة بالحيوانات الأليفة من غير عدوان، أو أذًى، وهذا ما ذكره الإصحاح الحادي عشر من السفر:"**...فَيسكُن الذئْب مع الْخروفِ ويربض النمر مع الْجدي والْعِجلُ والشبلُ والْمسمن معا وصِبي صغِير يسوقُها. والْبقَرةُ والدبةُ ترعيان. تربض أولاَدهما معا والْأسد كَالْبقَرِ يأكُلُ ِتبناً."**(3).

-1 ملحمة الرفائيم (الأخيلة والأشباح)، العمود الثاني، اللائحة الثالثة، الأسطر14-25.- نقلاً عن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص345-346.

[illegible]

ولعلّ العبارات المتبقّية من أغنية الظفر الواردة في العمود الثالث من النص الحادي عشر لملحمة البعل وعناة، كفيلة بإعطاء صورة أدبية شبيهة لما ذكرناه هن تراتيل إشعياء،

وأغانيه، ولا سيما فيما يتعلّق بالتفاؤل بالتقاء الأضداد وتآلفها، ذلك أنّ عناة تستبشر خيراً بميلاد عجل للبعل، وتتفاءل بانتشار المحبة والفرح، من جرء ذلك، وتستعمل في غنائها تشابيه مثل التي ذكرها إشعياء، منها:

15- للثّور صوت الظّبي...(أي عندما يصبح للثّور صوت مثل صوت الظّبي)

16- وللباز صوت الدوري.(عندما يصبح صوت طائر الباز عذباً مثل صوت طائر الدوري)[1].

- **"...أتركِْني شهرين فَأَذْهب وأنزِلَ على الْجِبال وأبكِي عذْراوِيتي أنا وصاحِباتي، فَقَالَ اذْهِبي وأرسلَها إلى شهرين فَذَهبت هِي وصاحِباتها**(كذا) **وبكَت عذْراوِيتها على الْجِبال..."**[2]. تصف هذه العبارة حالة حزن ترتبت على استعداد إحدى العبرانيات للموت وفاءً لنذر والدها **يفتاح الجلعادي**؛ وما يهمنا هو الوصف الذي جاء في أسلوب شعري رقيق، تمثّل في البكاء وسكب الدموع على الجبال والحقول، وعبارة سكب الدموع في قمم الجبال، استعملها الفينيقيون للدلالة على شدة الحزن؛ ولا غرابة في أن يكون هذا الوصف مماثلاً لما ذُكر في ملحمة كارت ملك الصيدونيين، إذ جاءه الموت، فأرسل طالباً إحدى بناته لتبكيه، ولعلمه بأحاسيسها المرهفة، أمر ألاّ تخبَرَ بمَرَضِهِ، لئلا يكون الخبر عليها فاجعة، فتذرف دموعاً في الحقول والذرى (الجبال)، وقد أريد بذلك مثلاً للدلالة على شدة الحزن والأسى؛ وسيق هذا المثل في لغة شعرية رقيقة منها العبارات التالية:

31- ... لا تقل لأختك أني مريض.

32- لا تقل لها فتحزن. وأختك

---

[1]- ملحمة البعل وعناة، النص 11، العمود الثالث، الأسطر15-16.- نقلاً عن، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص233.

[2]- العهد القديم، قض:11/37-38.

33- شفوق وأنا أعرف هذا.
34- لا تدعها تذرف ماء عينيها في الحقول
35- ونفثات روحها في الذرى.[1].

- نجد في المزمور السادس حالة نفسية من الحزن والأسى، بلغت حد البكاء الذي ذرفت من خلاله دموع بلّلت الفراش، حيث قيل فيه:"**...تعِبت ِفي تنهدِي. أعوم ِفي كُل لَيلَةٍ سريري ِبدموعِي أذَوب ِفراشِي"**[2]**.**، وفي هذا التعبير مجاز أدبي مطلق، له مثيل في ملحمة كارت ملك الصيدونيين الذي غمرت الدموع فراشه، لما أصابه من حزن[3].

26- فدخل غرفته باكيا.
27- مردداً الكلام الذي سمعه وعينه تدمع،
28- تتساقط أدمعه
29- كمثاقيل فضية إلى الأرض،
30- كمثاقيل من المخمسات الفضية على فراشه،
31- باكياً نام.
32- بدمعه، وتنهداته
33- غلب عليه النوم (أو غلبته سنة)...[4].

---

[1]- ملحمة كارت ملك الصيدونيين، العمود الأول، اللوحة الثالثة، الأسطر 31-35، نقلا عن،-أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص280.
[2]- العهد القديم، مز: 6/6.
[3]- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص103.
[4]- ملحمة كارت ملك الصيدونيين اللوحة 01، العمود01، الأسطر26-33.-نقلاً عن أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص248.

- يصف الإصحاح الأول من سفر ناحوم قوة يهوه وسخطه، وقد استعملت في سبيل ذلك تعابير شعرية قوية، هدفها تبجيل قوة يهوه، وترهيب أعدائه الذين يريدون الوقوف أمام سخطه، إذ ورد في مطلعه: **"...الرب ِفي الزوبعةِ وِفي الْعاصِفِ طَرِيقُه والسحاب غُبار ِرجلَيهِ ينتهر الْبحر فَينشفُه ويجفف جمِيع الْأَنهارِ. يذْبلُ باشانُ والْكَرملُ وزهر ِلبنانَ** (كذا) **يذْبلُ. الْجِبالُ ترجف ِمنه والتلاَلُ تذُوب والْأَرض ترفَع ِمن وجهِهِ والْعالَم وكُلُّ الساكِنِين ِفيهِ. من يقِف أَمام سخطِهِ ومن يقُوم ِفي حمو غَضبِهِ. غَيظُه ينسكِب كَالنارِ والصخور تنهدِم ِمنه."**[1]؛ ولا يختلف الأمر في الآداب الفينيقية من حيث استخدام التراتيل والتعابير الرامية إلى تعظيم الرب، فقد حظي البعل بترنيمة تمجيد، كانت صورتا الشعرية قريبة جداً مما ذكر في سفر ناحوم، وهذه مقاطع منها:

29- فيعطي البعل صوته القدوس (الرعد).

30- عندما يردد البعل كلامه،

31- صوت القدوس، ترتج الأرض.

32- ...(مفقود) **والجبال تروع.**

33- من بعيد...(مفقود)...

35- ترجف الأعداء، أعداء البعل، فيهربون.

36- إلى الوعور..." [2]**.**

- يصف سفر إشعياء الجحيم بحفرة هاوية، وذلك في الإصحاح الخامس، حيث نقرأ**:**

"..ِلذَلِك وسعتِ الْهاوِيةُ نفْسها، وفَغرت فَاها..."[3]؛ ونجد هذا المجاز الأدبي في سفر حقوق

1- العهد القديم، نحو: 3/1 -6.

2- ملحمة البعل وعناة، العمود السابع، النص الرابع، الأسطر/ 29-36 ،- نقلا عن أنيس فريحة، ص148-149.

3- العهد القديم، إش: 14/5.

"...الذِي وسع نفْسه كالهَاوِيةِ " [1]. ونقرأ في النصوص الأوغاريتية ا لـاز ذاته، حيث وصف العمود الثامن من النص الرابع لملحمة البعل وعناة، الجحيم بالهاوية:

6- لحماً ميتاً قد أصبحت. إني أموت ، هلاّ نزلْت

7- إلى قبر بلعوم ابن الآلهة موت إلى

8- حنجرة (حفرة) **الفنى...**[2].

- ورد في المزمور المائة وأربعة تشبيه شعري لتمجيد يهوه، حيث جعلت السماء رداءً له في التعبير الموالي:**" اللّابِس النور كثَوبٍ الْباسِطُ السمواتِ كَشقةٍ..."**[3]؛ ويقابل هذا التشبيه

عبارة في النصوص الأوغاريتية، جاءت في سياق الحديث عن صراع البعل ضد موت، حيث قام

هذا الأخير بإغواء البعل ، عن طريق رسالة أراد من خلالها خداعه، واستدراجه إلى العالم السفلي،

فيقول فيها:

4- ... أليست السماء حزام

5- ردائك...[4]؛ وفي السياق نفسه وردت عبارة أخرى بالمعنى ذاته، في السطرين المواليين من ملحمة البعل وعناة:

30- ...فإنك ستجد نفسك.

31- وهناً، وإن كانت السماءُ حزام ثوبك [5].

- يذكر القس **غراي**(*Gray*) ، أستاذ اللغة العبرية والنقد التوراتي، في مؤَلِفه **نصوص كرت في آداب رأس الشمرا** (*Thé Kirt text in the littérature of Ras*)بأنّ الأسلوب

[1] العهد القديم، حب: 5/2.

[2] ملحمة البعل وعناة، العمود 08، النص04. – نقلاً عن أنيس فريحة، المرجع السابق، ص156-157.

[3] العهد القديم، مز: 2/104.

[4] ملحمة البعل وعناة، النص 04، العمود01، الأسطر4-5. - نقلاً عن أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص156.

[5] ملحمة البعل وعناة، النص04، العمود01، الأسطر30-31. –نقلاً عن، أنيس فريحة، نفسه، ص158.

الشعري الوارد في سفر ملاخي، كان أسلوباً غليظاً به ذم، واحتقار، وتأسف، ذلك أنّ أحد العبرانيين ارتكب خطأً تجاه العقيدة العبرانية،بزواجه من غير العبرانيات، حيث نجد في ثاني إصحاح من هذا السفر العبارة التالية:"**...فَلِم يغدر الرجلُ بِأخِيهِ لِتدنِيس عهدِ آبائِنا.غَدر يهوذَا وعمِلَ الرجس (كذا) فِي إسرائِيلَ وفِي أورشلِيم. لِأن يهوذَا قَد نجس قُدس الرب الذِي أحبه، و تزوج بِنت إلٍهٍ غَرِيبٍ**"[1]؛ ولن نتحدث هنا عن تشابه هذا الأسلوب الأدبي الغليظ مع الأسلوب الشعري الذي ميز ملحمة كارت ملك الصيدونيين عندما اقترن بفتاة أجنبية، بل عن الختلاف بينهما، لأنّ الشكل الأدبي الأوغاريتي هنا كان رقيقاً وهادئاً، جعل من ذلك القران ظاهرة اجتماعية محترمة[2].

- لخّص سفر أيوب فكرة الشقاء التي يتعرض لها الإنسان الصالح في الحياة، بأسلوب أدبي بليغ ذي مشاهد مؤثّرة، تماماً مثلما هو الأمر في قصة دانيال، التي صورت المشهد نفسه من العناء في قالب أدبي قوي العاطفة[3].

- عدت مراثي إرميا مثالاً لطراز أدبي ذي علاقة بالآداب الكنعانية، وكذلك الأمر بالنسبة إلى قصيدة نشيد الإنشاد، الذي لا تخلو عباراته وتعابيره من الخيال الأدبي الكنعاني[4].

نأتي بعد استعراضنا لمجموعة الأساليب الأدبية المتطابقة، بين الأدبين الفينيقي والعبراني، إلى تأكيد ما ذكره الباحثون بخصوص اعتماد الأدب الفينيقي، على الأدب العبراني، في أساليبه، وأهداف تدوينه؛ ونذهب بذلك إلى مشاطرة الكثير من علماء اللاهوت الذين أكّدوا أنّ نصوص العهد القديم مقتبسة تماماً، وبحرفية من حضارات الشرق القديم، حسب ما قال أحمد عبد الرزاق مصطفى في مؤلّفه، **فضائح التوراة**[5]. هذا، ويضيف بأنّ معظم المقومات الثقافية العبرانية، وخاصة اللغة والآداب، مقتبسة مباشرة من الثّقافة

1- العهد القديم، ملا: 11/2.

2- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، المرجع السابق، ص98.

3- فيليب حتي، المرجع السابق، ص124؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص163-164.

4- فاروق الدملوجي، المرجع السابق، ص456؛ موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه، ص162.

5- أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص163.

الكنعانية، وآدا ا؛ ويسانده في هذا الرأي، أحمد سوسة، في كتاب **تاريخ العرب واليهود**، الذي لخّصه جعفر الخليلي، إذ يقول بأنّ أكثر التراتيل، والمزامير، والتسابيح الدينية الواردة في أسفار العهد القديم مأخوذة من طقوس الكنعانيين؛ كما يعتبر محمد أبو المحاسن عصفور في كتابه **معالم حضارات الشرق الأد**نى، أنّ العبرانيين لم يكن لهم أدب سوى ما تعلّموه من جيرا م[1]؛ ولا يختلف،عن هؤلاء، جورج كونتينو في كتابه **الحضارة الفينيقية**، عندما يذكر بأنّ نصوص العهد القديم وأشعاره مأخوذة من نصوص رأس الشمرا الأدبية، وملاحمها[2]. كما أنّ العبرانيين منحوا أبكارهم أسماء فينيقية، مرتبطة باسم البعل مثل **إشبعل**، و**مربعل**، و**بعلياداع**، وهي أسماء ذكرتا إصحاحات سفر أخبار الأيام في سياق الحديث عن مواليد العبرانيين في أرض كنعان، ونشير هنا أيضاً إلى الاشتراك في اسم المعبود إيل، بل وحملت أسماء العبرانيين كلمة إيل كلاحقة مثل إسرائيل، وإسماعيل (أنظرما جاء في الفصل الثاني بخصوص تسمية الإله إيل) [3].

ويذكر الحوراني أنّ معظم ترانيم نشيد الإنشاد التي سقنا أمثلة عنها، هي ترانيم أعراس، واحتفالات الفينيقيين، ويضيف أنّ مزامير العهد القديم، كانت في الأصل ترانيم للإله بعل، كما بدا التأثير الكنعاني-الفينيقي واضحاً في سفر إشعياء وتعابيره، ويستدلّ في قوله هذا، بالنصوص الأوغاريتية، التي أدرجنا منها نماذج[4].

ثالثاً: تطور الأدب الفينيقي العبراني

تعرضت المخلّفات الأدبية الفينيقية إلى التلف والضياع، بسبب ما حلّ بمد م من غزو بابلي، ونفوذ

---

[1]- جعفر الخليلي، المرجع السابق، ص99؛ أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص35؛ محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص 170-171.

[2]- George Contenau, *La Civilisation Phénicienne*, pp 83-84.

[3]- الشيخ نسيب وهيبة الخازن، امرجع السابق، ص42.

[4]- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص254.

فارسي(1). أما في العهد الهلليني، فقد اندمج الفينيقيون في لغة الإغريق وآدا م، فبرز منهم فلاسفة، وشعراء، ومؤرخون(2)، ونذكرهنا الشاعر **ملياغر** الصوري، الذي عاس في القرن الأول قبل الميلاد، ممثّلاً للأدب الفينيقي-الهلليني، وقد أنتج ملياغر مجموعة شعرية هي الأولى من نوعها، عنوا ا **الإكليل**، تغنى فيها بصور، وبوحدة الفكر الإنساني، والمساواة، ومماجاء فيها:"**...صور الجزيرة غذّتني... أنا ملياغر بن أوقراطس، نشأت مع عرائس الشعر. وكانت أول خطوتي برفقة إلهة الحب... فيا أيها الغريب هل من عجبٍ إذا ما كنت سورياً؟ أننا نسكن وطناً واحداً هو العالم...خواء واحد أنجب جميع الأحياء الفانين**"، وجاء في مقطوعة أخرى:" **...سر أيها الغريب بدون ضجيج، فملياغر الشيخ يرتاح مع الأخيار في سبات حقيقي... قضى فتوته في صور الإلهية، وفي أرض غادارا المقدسة... إذن إذا كنت سورياً فلك السلام، وإذا كنت فينيقياً لك الود، وإذا كنت إغريقياً فالخير لك.**"(3). والملاحظ في هذه العبارات أنّ الطراز الأدبي الفينيقي، لم يتغير من حيث الأساليب والمميزات، ذلك أنّ العاطفة الأدبية الأدبية هنا هي ذاتا العاطفة التي ميزت النصوص الأوغاريتية، خاصة فيما يتعلّق بتمجيد صور والتغني ا؛ مما ينم عن عدم الانصهار الكلّي للأدب الفينيقي، في الأدب الإغريقي.

كما ظهر في القرن الأول للميلاد، المؤرخ **فيلون الجبيلي**، الذي استفاد من حرية الفكر السائدة في الفترة الهللينية، فترجم المدونات المتعلّقة بالعقائد الفينيقية، وأساطير الخلق، إلى اللغة الإغريقية، معتمداً في ذلك على شخصية سنخونياتن البيروتي، التي أسهمت في إثراء الأدب الفينيقي بجملة من الأشعار الخرافية عن شعبه، ولم يذكرها سوى فيلون. كما قام بتدوين ثلاثة كتب في نقد أفكار الإغريق، وعنو ا بـ **من التاريخ العجيب**(4).

1- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص234.

2- وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص27؛ يوسف الحوراني، المرجع نفسه، ص56.

3- يوسف الحوراني، نفسه، ص235.

4- نفسه، ص112، 236-237.

نستخلص مما ذكرناه، أنّ الفينيقيين اندمجوا في ثقافة الإغريق وآدا م، رغم أنهم حافظوا على أساليبهم الأدبية التي ألفوها من قبل كما لاحظنا؛ ولعلّ هذا ما حمل إسرائيل ولفنسون على القول بأنّ الحضارة الإغريقية والحضارة الرومانية، لم تؤثّرا في اللغة الفينيقية وآدا ا، بل بقيت قوية[1]، لكننا نعلّق على هذه الفكرة عندما يخص الأمر اللّغة الفينيقية، وذلك لأنّ استعمالها في الفترة الهللينية، أصبح نادراً، إن لم يكن منعدماً، وهذا يناقض فكرة ولفنسون المذكورة.

أما بالنسبة إلى التطورات الأدبية العبرانية، فقد أدت الأوضاع السياسية،، والاتصالات بين الأمم الكبرى مثل بابل، وآشور، ومصر، التي قويت شوكتها في القرن الثامن قبل الميلاد، إلى تسرب اللّغة الآرامية وانتشارها في أوساط العبرانيين، وخاصة بعد النفي البابلي، مما أدى بأحبارهم إلى مقاومة اللغة الآرامية، واللغات الدخيلة التي اختلطوا بشعو ا أثناء فترة النفي، درءاً للخطر المحدق بلغتهم[2]. ورغم ذلك، فقد دونت نصوص التوراة باللغة الآرامية، بسبب التغير الذي لحق اللغة العبرية في أسلو ا، ومميزاتا القديمة[3].

وقد ترجمت أسفار العهد القديم من اللغة الآرامية إلى اللغة الإغريقية، في عهد الملك **بطليموس فيلادلفوس(** *Ptolémus Felladelfus*) (285- 246ق م)، حيث طلب هذا الأخير من مسؤول المكتبة الملكية بالإسكندرية، واسمه **ديمتريوس (** *Démetrius*)، إحصاء الكتب المتوفّرة لديه، وتزويدها بما أمكن من النسخ، فكان أن أطلعه ديمتريوس على نسخ العهد القديم، التي تحتاج إلى ترجمة لفهم فحواها. وقد اتصل ديمتريوس، بالكاهن العبراني عزرا (أو الحاخام عزرا،المتوفّى في سنة 444ق.م، وهو بالنسبة إلى العبرانيين أكبر معلّم يهودي بعد النبي موسى) فاختار له سبعين شخصاً من الكهنة، رافقوه إلى الإسكندرية، وحاوروا الملك البطلمي بشأن محتوى الاسفار، فهيأ الظروف التي تتم في خلالها عملية الترجمة، التي أسفرت عن صدور كتاب العهد القديم باللغة الإغريقية، والتي نسبت إلى

---

[1]- إسرائيل ولفنسون، المرجع، ص59.

[2]- إسرائيل، المرجع نفسه، ص89، 96.

[3]- نفسه، ص97.

عدد الكهنة، فأطلق عليه اسم **كتاب السبعين**، أو **الترجمة السبعينية**[1].

ولعلّ من أهم المخلّفات الأدبية العبرانية التي صدرت بعد ختام أسفار العهد القديم،وترجمته إلى الإغريقية، كتاب **المشنا**، الذي خلّفه الفريسيون[2]، وتناقله الحاخامات منذ القرن الثالث قبل الميلاد، كقانون شفهي، إلى أن وضع كلائحة تشريعية مدونة ما بين سنتي 190و200م؛ والمشنا هو أصل التلمود، الذي ينقسم إلى **مشنا** وهو المتن، و**جمارا** وهو الهامش الشارح للمتن[3].

ونذكر أيضاً المؤرخ **يوسيفيوس فلافيوس** *Josephus Flavius* (يوسف اليهودي)، الذي

عاصر فيلون الجبيلي، وشهد أبرز أحداث القرن الأول للميلاد، وهو الغزو الروماني للمنطقة، فدو ا في مؤلّف عنوانه **حروب اليهود** الذي ضاعت نسخته الأصلية المكتوبة بالآرامية، ولم تبق سوى النسخة الإغريقية[4].

ولا تختلف الملاحظة التي نبديها إزاء تطور الأدب العبراني، عن تلك التي ذكرناها عن الفينيقين، حيث إنّ الحركة الأدبية العبرانية نشطت عقب العودة من نفي بابل، تماماً مثلما نشطت الحركة الادبية الفينيقية في ظلّ الثقافة الهللينية؛ بيد أنّ الاختلاف بينهما يظهر في احتفاظ العبرانيين باللغة العبرية في مدوناتم، رغم الترجمة التي صيغت ا، إذ جعلوا من العبرية لغة قومية خاصة م؛ بينما أضاع الفينيقيون لغتهم، وبات نتاجهم الأدبي معتمداً على اللغة الإغريقية. لاحظنا مما سبق وجود عوامل أدبية مشتركة بين الطّرفين الفينيقي، والعبراني؛ فمن حيث المقومات اللغوية، رأينا كيف أنّ العبرانيين انطلقوا من الخطّ الفينيقي، الذي هو في الأساس أصل كلّ الخطوط، وطوروه إلى أن أصبح لهم خطّاً منسوباً إليهم، وهو الخط العبري.

1- Edmond Fleg, *Anthologie Juive*, pp 82-83.

2- ظهر الفريسيون، كطائفة يهودية منشقة عن العبرانيين، في القرن الثالث قبل الميلاد، واستمر وجودهم إلى حوالي سنة 200م؛ وهم أتباع الحاخام **عزرا**. – أنظر، ظفر الإسلام خان، **التلمود تاريخه وتعاليمه**، ط8 (بيروت: دار النفائس، 2002م)، ص31.

3- ظفر الإسلام خان، المرجع السابق، ص11-12.

4- Pierre Vidal- Nakeb, (Introduction) dans, Flavius Josèphe, *La guerre des juifs,* (Paris : Les éditions de Minuit, 1977), pp18-19.

كما أنّ اللغة الفينيقية، كانت لغة العبرانيين المتداولة في أرض كنعان، بحكم التعامل مع سكا ا، في شؤون حياتم اليومية؛ ويورد الحوراني أنّ أحد الشعراء الإغريق، عاش في القرن الخامس، واسمه **خوريلس(***Khorillus*) كان قد وصف العبرانيين في قصيدة له، جاء فيها ذكر اللغة التي تحدثوا ا، وهي اللغة الفينيقية؛ ونقرأ في هذا الصدد عبارته الآتية:**" شعب ذو قسمات جميلة وعلى ألسنتهم لغة فينيقيا"**[1]**.**

ولا نستثني هنا الدور الجغرافي، الذي أسهم في تغذية الأفكار الأدبية، التي تميز ا الفينيقيون من حيث اعتمادهم على مظاهر الطّبيعة، وتشخيصها في أساليب أدبية، ملأى بالخيال والعاطفة وقوة التعبير عن شعور النفس الإنسانية التي أنتجت الملاحم والأشعار والتراتيل؛ وكلّ هذه الأساليب رأيناها في أسفار العهد القديم التي كانت الممثّل الأول لها، قبل اكتشاف الأدب الأوغاريتي؛ كما أنّ العامل الجغرافي سهل لنا عملية استخلاص الفوارق، والروابط الأدبية بين الشعبين.

ولعلّ النتائج التي توصل إليها الباحثون، والمؤرخون بعد اكتشاف نصوص رأس الشمرا والتي أكّدت في مجمعها على أنّ الأدب العبراني، قد اعتمد بنسبة كبيرة على آداب الفينيقيين، كافية لتعطينا فكرة شاملة عن نوعية الروابط الأدبية التي جمعت بين الشعبين؛ ومن تلك النتائج نذكر قول **جرهارد هارم** الذي ينص على أنّ العبرانيين عاشوا في كنف الحضارة الفينيقية، وآدا ا، وقد بلغ ارتباطهم ا حداً كبيرا [2]، لما لقوه من جوانب حضارية لم يعهدوها في فترات ترحالهم، من البحث عن أساسيات العيش، الإجتماعية، والإقتصادية، والسياسية، إلى تغذية الفكر، وتطوير الذوق الفني، على اختلافه. وبما أنّ العيش في أرض كنعان قد سمح للعبرانيين بالاندماج في معتقدات السكان الدينية، وآدا م، فلا شك أنه منحهم فرصة الاحتكاك بالفنون التي شهدتا المنطقة، وهذا ما سنكشف عنه في الفصل الموالي.

1- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص109.

2- Grhard Herm, op.cit, p150.

أدى استقرار العبرانيين في بلاد كنعان، إلى اندماجهم في الحياة الاجتماعية، والحضارية لسكّا ا. ومن مظاهر الحضارة التي انصهروا في بوتقتها الفنون، من قبل أنها باتت على اختلاف أشكالها، جزءاً مهماً في تسيير شؤون الحياة الفينيقية، وليست من الكماليات كما يخطر في الأذهان؛ فالفنون العمرانية (الدينية، والمدنية) من متطلّبات العيش، ولا ريب في أنّ الموسيقى والغناء، اللّتان تبدوان، أيضاً، من مجالات اللهو والترفيه، كانتا في الأصل تجسيداً للشعور العقائدي، والواجب الديني، لما تتضمانه من تعابير عن الحالة النفسية لصاحبها. لذلك سنعمل في هذا الفصل- ما وسعنا الأمر- على إعطاء نماذج من الفنون التي بدت فيها الصلات بين الفينيقيين والعبرانيين واضحة، على أن تشمل تلك النماذج مختلف المظاهر، التي نجدها في الفن المعماري، والفن الموسيقي، وسائر الفنون التطبيقية، كالنحت والتصوير،وغيرهما.

أولاً: الفن المعماري

1) العمارة المدنية:

ليست هناك دلائل أثرية تشير إلى الطّراز المعماري الفينيقي، بسبب تعرض المنطقة إلى الدمار والتخريب من طرف القوى الخارجية باستمرار، وبسبب قيام مدن جديدة، أدت إلى طمس معالم العمارة المدنية الفينيقية الأصيلة في الفترات التي أعقبت الحضارة الفينيقية[1]. ومع ذلك، فقد سمح الاعتماد على بعض الشواهد الأدبية، وعلى بقايا اللقى الأثرية، للباحثين، بتصور الطراز المعماري الذي كان.

لقد استند العمران الفينيقي، في شكله، على الأوضاع السياسية لبلاد كنعان، حيث ميزته المباني المحصنة، والأبراج العالية، المانعة من الهجمات الخارجية، وهذا ما صورته النقوش الموجودة على جدران القصور الآشورية، واصفة إحدى المعارك الناشبة بين الآشوريين والفينيقين[2].

وقد أكّدت نصوص

1- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص134؛ Fabrice Léomy, op.cit, p83 ; George Contenau, *La civilisation Phénicienne*, pp152-154.

2- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص179؛ موسكاتي سباتينو، المرجع نفسه، ص134.

العهد القديم وجود تلك الأبراج، عندما تنبأ حزقيال بدمار مدينة صور، فجاء في الإصحاح السادس والعشرين:"**...فَيخربونَ أسوار صور ويهدِمونَ أبراجها...**"[1]، كما ذكر الحوراني، استناداً إلى سترابون، بأنّ أبنية مدينة صور تألّفت من عدة طوابق، وأنها كانت أكثر علواً من أبنية روما[2].

ويرى بعض الباحثين، أمثال موسكاتي سباتينو، أنّ العمارة الفينيقيةلم تبلغ مستوى فنياً راقياً، كما أنّ البناءات الاجتماعية لم تنتظم في تخطيطها، وكانت بسيطة، على ما يذكر فيليب حتي[3]؛ بينما يرى آخرون، بأنّ الفينيقيين، برعوا في تشييد القصور الفخمة، وتفوقوا في الفنون العمرانية وأتقنوها، بسبب وفرة المواد المستعملة في البناء، والغالب عليها، الخشب والمعادن[4].

ونسجل هنا تناقضاً في فكرة بساطة الأبنية، وبراعتها؛ وربما يكون تفسير ذلك، وجود نوعين من العمارة، وهما : العمارة البسيطة، للطبقات العادية، وهي تفتقر إلى الزخارف وأشكال التنميق الهندسي، والعمارة المزخرفة التي يسكنها الأغنياء، ويمكن تصويرها بمنازل حجرية مربعة في كلّ منها ساحة مركزية محاطة بأربعة أروقة، يؤدي اثنين منها إلى غرفتين متقابلتين، ويؤدي الرواق الثالث إلى غرفة استقبال تقابلها البوابة الرئيسية للم ل. وقد احتوت بعض هذه المنازل على مطامير للقمح، وصهاريج خاصة لتخزين المياه[5].

وعرفت الكتابات الحديثة هذا النمط المعماري باسم **بيت هيلا**ني، وهو طراز سائد في البناءات الفينيقية، إبان القرن العاشر قبل الميلاد، ووجد له مثيل في عصر البرونز الذي سبقه[6].

وقد اهتم الملوك والنبلاء بتشييد القصور الحجرية وبناء المقابر الخاصة تحت قصورهم، وهذا ما كشفت

1- العهد القديم، حز: 4/26.

2- يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص179.

3- فيليب حتي، المرجع السابق، ص90؛ موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص134.

4- نعمت إسماعيل علاّم، **فنون الشرق الأوسط والعالم القديم**، ط2 (مصر: دار المعارف، 1975)، ص155؛ Fabrice Léomy,op.cit, p83.

5- فيليب حتي، المرجع نفسه، ص90؛ Gerhard Herm, op.cit, p112

6- Gerhard Herm, ibid., p111.

عنه الأبحاث الأثرية في مدينة أوغاريت[1].

هذا، ورغم الافتقار إلى الدلائل المادية، فإنّ الاستناد إلى العمارة المدنية العبرانية، وليكن قصر النبي سليمان نموذجاً، كفيل بإعطاء صورة عن العمارة المدنية الفينيقية، وعن قصورها، وذلك لأنّ المعماريين الفينيقيين هم الذين شيدوه في القرن العاشر قبل الميلاد، إلى جانب الهيكل الذي سياتي ذكره لاحقاً[2]. أُنجز قصر النبي سليمان، الذي عرف بغابة لبنان، في مدة قدرها ثلاثة عشر سنة، فسكن في قسم منه، وجعل القسم الآخر للحكم والقضاء[3]. وتصف نصوص العهد القديم قصر النبي سليمان في أسفار الملوك الأول، وأخبار الأيام الثاني، وفي ذلك الوصف ذكر للطوابق الأربعة التي بني عليها القصر، ولمساحته ؛ كما ذكر عدد الغرف الخمس وأربعين الموجودة في الطوابق الثلاثة، والموزعة خمسة عشر غرفة في كلّ طابق، وهي تعلو الطابق الأرضي الذي به رواق العرش والقضاء؛ وذكر أيضاً المواد المستعملة في بناء القصر، والتي يغلب عليها خشب الأرز، الذي صفّحت به بلاطات الأرض والأسقف، وكذا الأحجار الكبيرة، والأحجار الثمينة للزخرفة[4].

وفيما يأتي ما ورد في الإصحاح الذي يصف بيت النبي سليمان:" **وأما بيته فَبناه سلَيمانُ ِفي ثَلاثَ عشر سنةً وأَكْملَ كُل بيِتِه. وبنى بيت وعرِلُبنانَ ...علَى أربعةِ صفُوفٍ ِمن أعمِدةِ أَرزٍ وجواِئز أرزٍ علَى الأَعمِدةِ. وسقِف ِبأَرزٍ ِمن فَوقٍ عِلى الغرفَاتِ الْخمسِ والأَربعِين الِتي علَى الأَعمِدةِ. كُل صف خمس عشرةَ. والسقُوف ثَلاثُ ِطباقٍ وكَوةٌ مقَاِبلَ كَوةٍ ثَلاثَ مراتٍ. وجمِيع والْقَواِئمِ مربعةٌ مسقُوفَةٌ... وعمِلَ ِرواق الأعمِدةِ...وعمِلَ ِرواق الْكُرسِي حيثُ يقْضِي أي ِرواق الْقَضاءِ وغُشي ِبأَرزٍ ِمن أرضٍ ِإلَى سقْفٍ. كُل هذِهِ ِمن حِجارةٍ كَريمةٍ كَقِياس الْحِجارةِ المنحوتةِ منشورةٍ ِبمِنشارٍ...وكَانَ مؤسساً**

1- نعمت إسماعيل علاّم، المرجع السابق، ص154.

2- نعمت إسماعيل علاّم، المرجع نفسه، ص155؛ Gerhard Herm,op.cit, p112

3- صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص199؛ محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص164.

4- محمد عزة دروزة، المرجع نفس، ص165.

على حِجارةٍ كَريمةٍ حِجارةٍ عظِيمةٍ..."[1]. ونقف أمام هذا الوصف، لنتبين أنّ نمط بناء البيت يشبه كثيراً الطراز المعماري الفينيقي الذي ذكرناه، حيث نجد أنّ البناء ذا الطوابق مذكور في عمارة الفينيقين، بمدينة صور،كما أنّ الكوة التي ذكرها الإصحاح، وهي الساحة التي تتوسط الدار، كانت ميزة البيوت الفينيقية الفخمة؛ وما يزيد القصر الموصوف شبهاً بالبيوت الفينيقية، استخدام أخشاب الأرز، والصنوبر، التي جلبت من جبال لبنان جاهزة، حتى أنّ النبي سليمان منح قصره اسم **وعر لبنان**، أي **غابة لبنان**[2].

وقد أشاد العبرانيون بأهمية الأعمال البنائية التي يرجع الفضل فيها إلى البنائين والحرفيين الفينيقيين، لما علموه من خبرتهم في مجالات الفن المعماري، قبل أن يشيدوا قصر النبي سليمان، حيث كان النبي داود قد اتفق مع الملك الصوري حيرام على أن يزوده هذا الأخير بخشب الأرز، وبالبنائين والنجارين، لكي يبنوا له بيتاً يسكن فيه، وهذا ما ذكره الإصحاح الرابع عشر من سفر أخبار الأيام الأول:" **وأرسلَ حِيرام مِلِك صور رسلاً إلىَ داود وخشب أرزٍ و بنائِين ونجارِين ليبنوا لَه بيتاً."** [3].

كما ذكر النبي سليمان، ذكر في سفر أخبار الأيام الثاني حكمة الفينيقيين ومهارتم في أعمال البناء، إذ نقرأ في هذا الصدد:"**...وأرسِلْ لِي خشب أرزٍ وسروٍ وصندلٍ مِن لُبنانَ لِأني أعلَم أن عِبيدك ماهِرونَ في قَطْع خشبِ لُبنانَ..."**[4].

ونصل هنا إلى إيضاح فكرة اعتماد العبرانيين في فنهم العمراني المدني، اعتماداً كلّياً على المعماريين الفينيقيين، مما يثبت عدم معرفتهم بأمور البناء، ويكفي القول أنّ كثرة ترحالهم، ونمط معيشتهم قبل الاستقرار بأرض كنعان، هو ما جعلهم يهملون أمور البناء، بل ويجهلو ا، ليصبح عمرا م ذا طابع فينيقي صرف.

وقد عجزت الأبحاث الأثرية عن إثبات وجود طابع عمراني خاص بالعبرانيين، وكلّ ما عثر عليه من لقى أثرية، وبقايا لبنى معمارية في أورشليم أسفر عن رسم صورة تقريبية للعاصمة العبرانية، لم تتجاوز صورة

[1]- العهد القديم، 1ملو: 7/1-12.

[2]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص161؛ Gerhard Herm, op.cit, p113

[3]- العهد القديم، 1أخبار:1/14.

[4]- العهد القديم، 2أخبار: 1/2.

بلدة زراعية صغيرة محاطة بأسوار دفاعية، مردها إلى فترة ما قبل الدخول العبراني إلى أرض كنعان، ثمّ تحولت إلى عاصمة سياسية ودينية منذ القرن العاشر قبل الميلاد، مما جعل منشآتا العمرانية تقتصر على البناءات السياسية والدينية، كما عبرت عنها الاستاذة مارغريت شتاينر[1]؛ ولا شك في أنّ قصر النبي سليمان هو البناء السياسي المقصود، حيث جعل قسماً منه للحكم وللقضاء، وهو ما ذكرناه؛ أما القصد من البناءات الدينية، فهو الهيكل المنسوب أيضاً إلى النبي سليمان، وهذا ما سنلاحظه في تطرقنا إلى العمارة الدينية.

2) العمارة الدينية:

ما كان لشعب اعتمد في شؤونه الحضارية على آلهة متعددة، مثل الفينيقيين، ألاّ يقيم لتلك الآلهة أماكن لأداء الطقوس التعبدية ومراسيمها. فقد كشفت الأبحاث الأثرية عن وجود معابد فينيقية في أماكن مختلفة. لكنها متشا ة من حيث قيامها في العراء (الهواء الطّلق)، وعلى المرتفعات، وقرب الينابيع والمساحات المائية، والغابات، وهي أماكن محاطة بسياج، ولها مدخل واحد اعتقد الفينيقيون بأنّ الآلهة تسكن فيها[2]. تميزت المعابد الفينيقية بالبساطة، فلم يكن ا أكثر من مذبح صخري في الوسط، ونصب مقدس إلى جوار عمود خشبي أو شجرة مقدسة، مع حوض لغسل الأقدام قبل أداء الطقوس؛ وتلك كلّها أدوات أساسية للمعابد الفينيقية في فترات مبكرة[3]، لتصبح لها حجرات متعددة، تتوسطها قاعة كبرى ا مذبح، وتقدم فيها القرابين[4].

أما العبرانيون، فقد أقاموا قبل الاستقرار في بلاد كنعان معبدا متنقّلاً واحداً، بسيطاً في تركيبه، وفي محتوياته؛ فهو لم يتعد خيمة مرفوعة على أعمدة، عددها بعدد أسباطهم الإثني عشر، ا تابوت ومائدة

1- مارغاريت شتاينر، " حدود متوسعة: تطور أورشليم في عصر الحديد"، **القدس أورشليم العصور القديمة بين التوراة والتاريخ**، ترجمة، فراس السواح، (بيروت: مركز دراسات الوحدة العربية، 2003م)، ص114- 116.

2- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع السابق، ص165؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص73؛ Gerhard Herm, op.cit, p139 ; George Contenau, op. cit, p103.

[3]- محمد أبو المحاسن عصفور، المرجع نفسه، ص165، فيليب حتي، المرجع السابق، ص129؛ George Contenau, ibid, p103

[4]- نعمت إسماعيل علاّم، المرجع السابق، ص155.

خبز تقابلها منارة؛ وكان المذبح موجوداً بالقرب من حوض الاغتسال عند باب الخيمة[1].

وقد ذكر الإصحاح الأربعين من سفر الخروج، وصفاً لهذا المعبد الذي أقيم في عهد النبي موسى، إذ جاء فيه:" **أَقَام موسى الْمسكَن وجعلَ قَواعِده...وأَقَام أَعمِدته، وبسطَ الْخيمةَ فَوق الْمسكَن... وجعلَ الْمائِدةَ فِي خيمةِ الاِجتِماعِ، فِي جانِبِ الْمسكَن... ورتب علَيها ترتِيب الْخبزِ أَمام الرب... ووضع الْمنارةَ فِي خيمةِ الاِجتِماعِ مقَابِلَ الْمائِدةِ... ووضع مذْبح الذهبِ فِي خيمةِ الاِجتِماعِ... ووضع مذْبح الْمحرقَةِ عِند بابِ مسكَن خيمةِ الاِجتِماعِ ...ووضع الْمِرحضةَ بين خيمةِ الاِجتِماعِ و الْمذْبحِ وجعلَ فِيها ماءً لِلاِغْتِسالِ..."**[2].

ونجد لأشهر المعابد الفينيقية مواصفات ذكرها المؤرخون استناداً إلى بعض الشواهد واللقى الأثرية، كما أطال العهد القديم ذكر مواصفات معبد العبرانيين، كما سنتبين.

معبد أشمون: يقع هذا المعبد على بعد كيلومتر واحد من مدينة صيدا، وهو عبارة عن مجمع ديني يضم عدة معابد شيدت في فترات زمنية متفاوتة، إذ منها ما يرجع إلى العهود الفينيقية، ومنها ما يرجع إلى الفترة الهللينية، ثمّ الرومانية، وحتى البيزنطية.

وقد كان القسم الأقدم من المعبد يمثّل مصطبة هرمية الشكل، بنيت في القرن السادس قبل الميلاد، حين كانت صيدا خاضعة للنفوذ البابلي، كما وجدت مصطبة أخرى ترجع إلى العهد الفارسي، وهي جزء من المعبد الذي بناه **أشمون عزر** أحد ملوك صيد؛ وقد أضيف في القرن الثالث قبل الميلاد معبد آخر لم تبق منه سوى صخرة نحتت عليها مشاهد آداء الطّقوس التعبدية، وأخرى لأطفال يلعبون، وتوجد قرب الزاوية الشمالية لهذا المعبد بقايا مقام نصب للإلهة عشتروت، يرجع إلى الفترة الزمنية نفسها، ويتميز بالعرش الحجري الموضوع فوق مكعب من الحجارة، يحيط به أسدان مجنحان[3].

---

[1]- صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص76.

[2] العهد القديم، خرو:40/18-33.

[3] حسان سلامة سركيس، المرجع السابق. أنظر الملاحق رقم: 15، 16، 17، 18، ص 168، 169، 170، 171.

معبد المسلاّت: كشفت الأبحاث الأثرية في مدينة جبيل عن وجود أعمدة نذرية مثبتة طولاً، تراوح ارتفاعها بين خمس وعشرين سنتيمتراً إلى ثلاثة أمتار، ولم تكن مرتبة ولا متناسقة؛ وقد نصبت لسيدة جبيل بذلك الموضع، والذي يرجع تاريخ تشييده إلى حوالي سنة2700ق م، وفي الفترات اللاحقة، أقيم فوق معبد بعلة جبيل معبد آخر يعتقد أنه للإله رشف، مما جعل الأثريين ينقلون أعمدة المعبد إلى موضع آخر، غير بعيد، من أجل إظهارها، وحمايتها، وقد عرفت تلك النصب أو الأعمدة بالمسلاّت التي نسب إليها المعبد[1].

معبد ملقرط: ليس بالإمكان تحديد موقع معبد ملقرط الشهير الذي لم يبق منه أثر، بسبب ما لحق مدينة صور من دمار على إثر غزوة الإسكندر المقدوني؛ ومع ذلك، فالاعتماد على وصف هيرودوت لما شاهده عند زيارة المعبد في سنة450ق م، قد يصور لنا شكل المعبد؛ فقد سأل هيرودوت كهنة المعبد عن تاريخ تشييده، فأطلعوه على أنه يرجع إلى النصف الأول من القرن الثالث قبل الميلاد، أي في سنة 2570ق م، وهو تاريخ تأسيس مدينة صور[2]؛ وقام الملك حيرام الأول، في القرن العاشر قبل الميلاد ، دم المعابد القديمة، وتشييد معابد جديدة للإلهين عشتارت وملقرط، وقد وظّف في سبيل ذلك فنانين حرفيين، ومهندسين فينيقيين، بعد أن أمر بقطع الأشجار من جبال لبنان، لاستخدام الخشب في بناء الهيكل[3].

أما عن المشاهد التي ذكرها هيرودوت، فكان أهمّها العمودان المقدسان، أحدهما من الذهب الخالص، والآخر من الزمرد، الذي يلمع أثناء الليل. وقد فسر فيلون الجبيلي، نقلاً عن سنخونياتن، بأنّ أحد العمودين كان موقوفاً للنار، والآخر للماء، وأنهما موغلان في القدم، أي منذ تأسيس مدينة صور. ويبدو أنّ للعمودين علاقة بالمذبح وقدس الأقداس (الحجر المقدس الذي يرمز إلى الإله)[4].

وليس تصور مخطّط معبد ملقرط بالأمر العسير، حسب جان مازيل، إذا ما اعتمد على مخطّط هيكل أورشليم (هيكل النبي سليمان)، بحكم أنّ المهندسين المعماريين، والمقاولين، والبنائين، الذين بنوا هيكل

1- جان مازيل، المرجع السابق، ص44؛ George Contenau, op.cit, pp103-104 أنظر الملحقين رقم19، 20، ص172، 173.

[2]- محمد الصغير غانم، المرجع السابق، ص27؛ يوسف الحوراني، المرجع السابق، ص44.

[3]- Gerhard Herm, op.cit, p81 ; George Contenau, ibid, pp91,143.

[4]- يوسف الحوراني، المرجع نفسه، ص93، 94.

أورشليم، هم أنفسهم بناة معبد ملقرط، ومشيدوه[1].

وقد ذكرت أسفار العهد القديم وصفاً مفصلاً لمعبد أورشليم، رغم الافتقار إلى الدلائل الأثرية، وسيكون هذا الوصف مثلاً لفن العمارة الدينية الفينيقية، الذي اعتمده العبرانيون في تشييد معبدهم الوحيد في أورشليم.

معبد أورشليم/ هيكل النبي سليمان: عجز علماء الآثار والمختصون عن الكشف عن بقايا هيكل النبي سليمان أو معبد أورشليم، بسبب ما تعرض إليه من دمار كلي عند سقوط مدينة أورشليم أول مرة على يد نبوخذ نصر، كما أشرنا في بداية البحث، ثمّ التدمير الثّاني للهيكل الذي رممه الملك الفارسي قورش، وقد حصل على يد الرومان في سنة سبعين للميلاد. ومن الصعب تقدير مساحة الهيكل أو تقديم مخطّط له[2]؛ بيد أنّ نصوص العهد القديم، تكفّلت بسرد وصف مفصل عن شكل المعبد وطرازه المعماري بإسهاب. وسنحاول على ضوء بعض تلك النصوص، الحديث عن هيكل أورشليم، في إطار معالجة موضوع الفن العمراني الديني لدى العبرانيين.

لم يجد النبي داود، عندما قرر بناء الهيكل فنانين معماريين وبنائين عبرانيين، وكان وحده خبيراً بأعمال صهر الحديد والفولاذ[3]، كما نص على ذلك القرآن الكريم في سورة سبأ:"**...ولَقَد آتينا داود مِنا فَضلاً... وألَنا له الْحدِيد...**"[4]. من أجل ذلك، اعتمد على الأجانب بصفّة عامة، والفينيقيين بشكل خاص، في عملية التشييد، فكان أن تعاقد مع الملك الصوري حيرام، كي يرسل له خشب أرز، وبنائين، ونجّارين؛ بيد أنّ المنية وافته قبل الشروع في العمل سنة 966 ق م، فخلفه ابنه النبي سليمان، وأراد أن يتم مشروع والده[5]، وفي سفر الملوك الأول ما يدلّ على ذلك:"**... وأرسلَ حِيرام مِلك صور عِبيده إلى سليمانَ لِأنه سمِع أنهم مسحوه مِلكًا مكَانَ أَبِيهِ...فَأرسلَ سليمانُ إِلى حِيرام يقُولُ، أنت تعلم داود**

1- جان مازيل، المرجع السابق، ص36.

2- محمد عز ة دروزة، المرجع السابق، ص164.

3- Gerhard Herm, op.cit, p110.

4- سورة سبأ: الآية 10.

5- كمال الصليبي، المرجع السابق، ص211؛ Gerhard Herm, ibid., p110

أبي أنه لم يستطِع أنْ يبني بيتا لاسمِ الرب إلهِهِ... وهاأنذَا قَائلٌ على بناءِ بيتٍ لاسمِ الرب إلهي...والآنَ فَأمر أنْ يقْطَعوا لي أرزا مِن لُبنانَ ويكُونُ عِبيدِي مع عِبِيدِك. وأجرةُ عِبِيدِك أعطِيك إياها حسب كُل ما تقُولُ لأنك تعلم أنه ليس بيننا أحد يعرِف قَطع الخشبِ مِثْلَ الصيدونيين..." [1].

وقد ذكرت نصوص العهد القديم وصفاً مفصلاً للهيكل الذي تمّ بناؤه خلال واحد وعشرين سنة[2]، ومما ذكر أنّ الهيكل على ثلاثة طرابق، وبه فناء، ونوافذ ، وأنه بني بحجارة متينة مغطّاة بأخشاب الأرز والسرو. واحتوى الهيكل على محراب، أي قدس الأقداس المغطّى بالذّهب الخالص، وبالقرب منه، وجد مذبح البخور المصنوع من خشب الأرز، والمرصع بالذهب الخالص؛ وقد فُصل بين قدس الأقداس والمذبح بسلاسل ذهبية، وبمصراعين مصنوعين من خشب الزيتون نحتا على شكل كروّبين (أي تمثالين لملائكة مجنحة) متقابلين، تتماس أطراف جناحيهما في وسط غرفة قدس الأقداس لتظلّل تابوت العهد الموجود فيها. وكان الستار الأرجواني إزاراً فاصلاً يحجب المكان الأقدس عن الأنظار.

وقد أقيم على جانبي المدخل الرسمي للهيكل عمودان ضخمان مصنوعان من النحاس، يعلوهما تاجان نحاسيان أيضاً. كما وجد مذبح آخر، وهو مذبح المحرقة البرونزي، وحوض الاغتسال النحاسي الدائري الضخم، والمعروف بالبحر[3].

وتتلخص المشاهد التي ذكرناها في الإصحاحين السادس والسابع من سفر الملوك الأول. حيث نقرأ في الإصحاح السادس:**" وكَانَ فِي سنةِ الأربعِ مِئَةٍ والثمانين لخروجِ بني إسرائيلَ مِن أرضِ مِصر فِي السنةِ الرابِعةِ لِملْكِ سليمانَ على إسرائيلَ أنه بنى البيت للرب... وعمِلَ للْبيتِ كُوى مسقُوفَةٍ مشبكَةٍ. وبنى مع حائِطِ البيتِ حولَ الهيكَلِ والمِحرابِ و عمِلَ غُرفَاتٍ في مستدِيرها... والبيت في**

بنائِهِ بني بِحِجارةٍ صحِيحةٍ مقْتلَعةٍ... وكَانوا يصعدونَ بدرجٍ معطفٍ إلى الوسطَى ومِن الوسطَى إلى الثالِثَةِ. فَبنى البيت وأكْمله وسقَّف البيت بِألواحٍ وجوائز مِن الأرزِ... وبنى حِيطَانَ البيتِ مِن داخِلٍ

-1 العهد القديم، 1ملو: 5/ 1-6.

-2 محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص164-165.

-3 صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص195-196؛ Gerhard Herm, op.cit, p113

بِأضلاعِ أرزٍ مِن أرضِ الْبيتِ إِلى حِيطَانِ السقْفِ وغَشاه مِن داخِلٍ بِخشبٍ، وفَرش أرض الْبيتِ بِأخشابِ سروٍ ... الْجمِيع أرز لَم يكُن يرى حجر، وهيأ مِحراباً فِي وسطِ الْبيتِ...وغَشاه بِذَهبٍ خالِصٍ وغَشى الْمذْبح بِأرزٍ...وسد بِسلاَسِلَ ذَهبٍ قُدام الْمِحرابِ... وعمِلَ فِي الْمِحرابِ كَروبين مِن خشبِ الزيتون... وبسطُوا أجِنحةَ الْكَروبين فَمس جناح الْواحِدِ الْحائِطَ وجناح الْكَروبِ الْآخر مس الْحائِطَ الْآخر وكَانت أجنحتهما فِي وسطِ الْبيتِ يمس أحدهما الْآخر... وعمِلَ لِبابِ الْمِحرابِ مِصراعين مِن خشبِ الزيتون... ورسم علَيهما نقْش كَروبيم (جمع كروب) **ونخِيلَ وبراعِم زهورٍ..."** [1]. أما في الإصحاح السابع فنقرأ:**"... وصور الْعمودين مِن نحاسٍ... وعمِلَ تاجين لِيضعهما علَى رأسي الْعمودين مِن نحاسٍ مسبوكٍ... وأوقَف الْعمودين فِي رِواقِ الْهيكَلِ... وعمِلَ الْبحر مسبوكًا..."**[2].

كان هذا، بشكل مختصر، وصف الهيكل الذي دمر عن آخره، وأعيد ترميمه غداة العودة من نفي بابل بأمر من الإمبراطور الفارسي قورش، ويبدو أنّ الشكل الجديد للهيكل، وإن انتهج نفس الخطوات المتخذة في البناء الأول، فقد كان أقلّ شأنا من حيث العظمة والزخارف، أو حتى من حيث المساحة، وندعم هذا القول بالوصف الذي أورده يوسيفيوس، في كتابه حرب اليهود[3]. وقد يمكّننا الوصف الذي وجدناه في نصوص العهد القديم، من استنتاج عدة نقاط، نضبط من خلالها العلاقة القائمة بين المعبد العبراني، والمعابد الفينيقية، وبالأخص معبد ملقرط، ومن أهم تلك النقاط: - تميزت أماكن العبادة الفينيقية، في بداية أمرها بالبساطة في التركيب ، تماماً كما هو الأمر بالنسبة للمعبد العبراني البدائي المتنقّل، الذي جعل لممارسة الطّقوس التعبدية، قبل زمن الاستقرار. - اشتركت المعابد الفينيقية مع المعبد العبراني، في المحتويات الأساسية، وهي الأعمدة، والمذبح،والمكان المقدس، وحوض الاغتسال.

- تطلّب تشييد المباني الدينية الضخمة، ونشير ذا إلى معبدي ملقرط وأورشليم، جهوداً فنية متماثلة،

[1]- العهد القديم، 1ملو:6/ 1-32؛ أنظر الملحقين رقم 21، 22، ص174، 175.

[2]- العهد القديم، 1ملو:7/ 13-22.

[3]- Flavius Josefus, Livre 5, ch. 4/1-5.

ولوازم بناء متشا ة.

- أجمع علماء الآثار على أنّ الفن المعماري الذي امتاز به هيكل أورشليم، هو فن معماري فينيقي صرف، وكفى بإشادة نصوص العهد القديم بالجهود الفينيقية، من حيث الخبرة، والإشراف، والعمل الميدانيّ، دليلاً على ذلك.

- أشارت الأبحاث الأثرية التي قامت ا جامعة شيكاغو في سنة 1936م، إلى أنّ الفن العماري المنتهج في تشييد هيكل أورشليم، كان شائعاً لدى الفينيقين، في القرن العاشر قبل الميلاد، وأنّ سبب اتباعه في أورشليم، هو الاتفاق الواقع بين الملك الصوري حيرام والملكين العبرانيين، النبي داود، والنبي سليمان[1].

- لم يشرف الفينيقيون على كامل أعمال البناء، وإحضار أدواتا فحسب، بل عملوا على تجهيز تلك اللوازم في أماكن استخراجها، ونستدلّ على ذلك بعبارة وردت في الإصحاح السابع من سفر الملوك الأول وهي:**"...ولَم يسمع ِفي الْبيتِ ِعند ِبنائِهِ ِمنحت ولاَ ِمعولٌ ولاَ أَداةٌ ِمن حدِيدٍ..."**[2].

- ليس في بناء المعبد العبراني أثر للفن العمراني العبراني.

ولعلّ الاختلاف الأوحد بين العمارة الدينية الفينيقية، والعمارة الدينية العبرانية، هو أنّ هذه الأخيرة شهدت بناءً دينياً واحداً، بسبب الديانة التوحيدية، بينما تعددت البناءات الدينية، وأماكن العبادة لدى الفينيقيين، بتعدد آلهتهم.

ثانياً: فن النحت والتصوير

تأثّرت فنون النحت والتصوير الفينيقية، بفنون الحضارات ا اورة التي عاصرتا، ومع ذلك فقد ظهرت في شكلها الفينيقي الخاص والمبدع[3]. فقد أتقن الفينيقيون فن النحت على الحجارة وقطعها

-1 صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص197-198.

-2 العهد القديم، 1ملو: 7/6.

-3 جان مازيل، المرجع السابق، ص63، 65؛ فيليب حتي، المرجع السابق، ص95؛ وهيب أبي فاضل، المرجع السابق، ص39.

لاستعمالها في البناء، وعرفوا فن النحت البارز الذي ظهر في اللوحات الحجرية المنقوشة، والتوابيت الحجرية، وصوروا تماثيل لأجسام بشرية من مواد معدنية[1]. كما برعوا في صناعة الزجاج الذي عد فناً حرفياً فينيقياً صرفاً[2].

ولتكن التماثيل الصغيرة التي عثر عليها في معبد المسلاّت، وكذا تابوت الملك أحيرام، نموذجين نستدلّ بهما لمعرفة الطّراز الفني الفينيقي، في مجالي النحت والتصوير، وأثره في فنون النحت لدى العبرانيين.

1) التماثيل: افتقرت آثار نحت التماثيل الفينيقية إلى التماثيل الكبيرة، والتماثيل الحجرية؛ فقد اكتفى الفينيقيون بنحت التماثيل المعدنية ذات الأجسام البشرية الصغيرة، المتميزة بعدم الاتزان في شكلها، مما ينم عن مدى بدائية الفن الفينيقي، وعدم الدراية بتكوين الجسم البشري[3].

ومن أهم التماثيل التي عثر عليها، وأشهرها، تلك المجموعة المكتشفة في معبد المسلاّت بمدينة جبيل، والمحفوظة حالياً بالمتحف الوطني ببيروت، حيث دلّت تلك التماثيل على الفن الفينيقي الخالص في النحت على المعادن[4].

كانت التماثيل موجودة في أوانيَ فخارية، ومدفونة تحت أرضية معبد المسلاّت، وهي ترجع إلى القرن العشرين قبل الميلاد. فقد صنعت من خليط معدني مكون من البرونز والحديد، مما جعلها تبدو بألوان متموجة، يغلب عليها اللون الأخضر الشاحب، واللون البرتقالي الجميل، بسبب عملية الأكسدة التي حدثت لها خلال الفترة الزمنية الطّويلة؛ وكان معدل طول التماثيل هو ستة عشر سنتيمتراً[5].

ولم يكن يعرف عن تلك التماثيل إن كانت تماثيل نذرية، أو صوراً رمزية لآلهة ما[6] ؛ لكن بدا واضحاً أنّ

1- نعمت إسماعيل علاّم، المرجع السابق، ص157؛ جان مازيل، المرجع السابق، ص69.

2- Fabrice Léomy, op.cit, p82.

3- موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص135؛ نعمت إسماعيل علاّم، المرجع نفسه، ص155-156.

4- جان مازيل، نفسه، ص65.

5- نعمت إسماعيل علاّم، ص155؛ J. P. Dummar, op.cit, p15.- أنظر الملحق رقم23، ص 176.

6- جان مازيل، نفسه، ص65.

أحدها كان يجسد الإله بعل الذي ظهر بجسم رفيع وأكتاف عريضة، ورأس صغير، إذا ما قورن بالجسم، وقد بدت فيه تقاسيم الوجه؛ أما الجسم فكان عارياً باستثناء المنطقة الوسطى التي غطّيت بطبقة ذهبية، وكان يبدو في وضع متحرك، رافعاً إحدى يديه إلى الأمام، وربما كان ماسكاً ا رمحاً[1].

2) **تابوت أحيرام:** كان تابوت الملك أحيرام، الذي حكم مدينة جبيل في القرن الثالث عشر قبل الميلاد، من أهم المكتشفات الأثرية التي عثر عليها في المقبرة الملكية الكبيرة، وقد نقل التابوت إلى المتحف الوطني ببيروت، وهو موجود في إحدى قاعات العرض التحت أرضية للمتحف[2] .وقد شهدت النقوش المرسومة فوق جدران التابوت على فن النحت البارز، حيث أظهرت صورة أحد جانبي التابوت مجموعة من المتعبدين المتقدمين تجاه مائدة طعام، تفصلهم عن العرش الملكي الذي يجلس عليه الملك أحيرام، وكان مرتدياً زيا ملكيا، وغطاء رأس، وخصلات لحية لها خصائص فن بلاد الرافدين؛ كما كان حاملاً بإحدى يديه زهرة لوتس منكّسة، وفي ذلك دلالة على الموت. أما العرش الذي كان جالساً عليه، فكان محمولاً على أسود مجنحة. وكان الجزء الاعلى للصورة مزخرفاً بزهرات من اللوتس؛ ونقشت على غطاء التابوت حروف أبجدية منسوبة إلى الملك، وهي أبجدية أحيرام التي تحدثنا عنها في الفصل السابق، وقد حمل التابوت كلّه فوق أربعة أسود منحوتة بإتقان[3].

3) النحت والتصوير عند العبرانيين:

أما فيما يخص فنون النحت والتصوير لدى العبرانيين، فمن الواضح أنّ الديانة العبرانية قد حرمت تصوير الرب، أو صنع تماثيل شبيهة به، وهذا ما أعاق تطور تلك الفنون لديهم، إذ لم يجرؤوا على إعطاء مظهر إنساني أو حيواني للرب[4]. ومع ذلك فقد اعتمد العبرانيون في أعمال فنو م التطبيقية (الحرفية والصناعية) على الفينيقيين منذ دخولهم أرض كنعان، وقد تبلورت تلك الأعمال بصورة أخص في عهد النبي داود،

-1 نعمت إسماعيل علاّم، المرجع السابق، ص155-156. – أنظر الملحق رقم24، ص177.

-2 جان مازيل، المرجع السابق، ص63؛ J. P. Dummar, op.cit, p14.

-3 نعمت إسماعيل علاّم، المرجع نفسه، ص157؛ جان مازيل، المرجع نفسه، ص63-64. – أنظر الملحق رقم25، ص177 .

-4 موسكاتي سباتينو، المرجع السابق، ص173،155؛ صموئيل شولتز، المرجع السابق، ص80؛ Gerhard Herm, op.cit, p139

ومن بعده النبي سليمان[1].

وقد أسهبت نصوص العهد القديم في وصف النقوش والصور المنحوتة التي ميزت هيكل أورشليم، وزخرفته بشكل يجعلنا نعتمد عليها بالدرجة الأولى، رغم افتقارنا إلى الدلائل الأثرية لإثبات ذلك العمل الفني؛ وتتلخص تلك الأعمال الفنية المذكورة في الصور التي نمّقت قاعات الهيكل وجدرانه، ولا سيما المحراب الذي حوى تابوت العهد، وقد تجسدت بعض تلك الصور في الأسود والثيران الحاملة للبحر النحاسي، وعددها اثني عشر ثوراً[2]، والملائكة المجنحة، والنخيل، والأزهار، وقد كثر ذكر هذه الأشكال في عدة إصحاحات، منها على سبيل المثال:"**...وعلى الأتراس التِي بين الْحواجِبِ أسود وثِيرانٌ وكَروبِين...ومِن تحتِ الأُسودِ والثيرانِ قَلاَئِد زهورٍ... ونقّش على أَلْواحِ أياَدِيها وعلى أتراسِها كَروبيم وأسوداً ونخِيلاً... وقَلاَئِد زهورٍ...**"[3].

كما أشارت إلى الفنانين الحرفيين الفينيقيين الذين كان لهم الفضل في ذلك، وعلى رأسهم حيرام الفنان الخبير بأعمال المعادن، والخشب، واستخلاص مادتي الأرجوان والقرمز[4].

ونجد في سفر أخبار الأيام الثّاني أنّ النبي سليمان طلب من الملك حيرام أن يرسل له رجلاً خبيراً بفنون النحت والنقش، وذلك في العبارات التالية:"**...فَالآنَ أرسِلْ لِي رجلاً حكِيماً فِي صِناعةِ الذهبِ والْفِضةِ والنحاسِ والْحدِيدِ والأُرجوانِ والْقِرمِزِ والأسمانجوني ماهِراً فِي النقْشِ...فَقَالَ حورام مِلِك صور بِكِتابةٍ أرسلَها إِلَى سلَيمانَ...والآنَ أرسلْت رجلاً حكِيماً صاحِب فَهمٍ... وأبوه رجلٌ صورِي ماهِر فِي صِناعةِ الذهبِ والْفِضةِ والْنحاسِ والْحدِيدِ والْحِجارةِ والْخشبِ والأُرجوانِ... ونقْش كُل نوعٍ نوعٍ مِن النقْشِ واخِتراع كُل اخِتراعٍ...**"[5].

1- M. S. Munk, op. cit, p381.
2- ibid., p453.

3- العهد القديم، 1ملو: 7/ 29-37.

4- محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص171؛ Gerhard Herm, op.cit, p114

5- العهد القديم، 2أخبار: 2/ 7-16.

وتجدر بنا الإشارة هنا، إلى أنّ اعتماد العبرانيين الكلّي على الفن الفينيقي كان واضحاً، رغم بعض الفوارق بين الطّرازين الفنيين؛ فقد اختلف العبرانيون عن الفينيقيين في فن التصوير من حيث المبدأ، وذلك لأنّ الديانة العبرانية حرمت التصوير وصنع التماثيل على على عكس الفينيقيين، وقد لاحظنا انعدام وجود آثار التماثيل، أو حتى مجرد ذكر لها في النصوص القديمة، باستثناء بعض الأزمنة التي عاشها العبرانيون، ووصفت بفترات الزيغ عن الدين، مثل العجل الذي صنعوه في زمن التيه.

ومع ذلك، نجد الكثير من الصلات الفنية بين العبرانيين والفينيقيين، ونكتفي بالقول بأنّ الصور المنقوشة في محراب هيكل أورشليم، هي صور الحيوانات والنباتات التي لاحظناها عندما تطرقنا إلى وصف تابوت الملك؛ إلى جانب الاستعمال الكثير للمعادن، وهذه الأمثلة نضر ا للإشارة إلى التأثير الفني الفينيقي في فنون العبرانيين المتعلّقة بالنحت والتصوير.

وتتكرر الملاحظة التي أوردناها بشأن الاعتماد العبراني على الخبرات الفنية الفينيقية، والأيادي الفينيقية، التي كان لها الفضل في تصميم منمقات الهيكل وزخرفته، بعد أن تّمت عملية البناء، مما يفضي إلى القول بأنّ الفن المنسوب إلى العبرانيين، هو فن فينيقي صرف، سواء من حيث الأدوات المستخدمة، أو من حيث الذوق الفني، أو من حيث العمل الميداني.

ثالثاً: فنون الموسيقى والغناء

1) **النظام الغنائي الفينيقي:** تقلّ معارفنا عن الفنون الموسيقية الفينيقية بسبب ندرة المصادر المادية التي تبين مدى ممارستهم لهذا النوع من الفنون، وسكوت المصادر الكتابية، المتوفّرة حتى الآن، عن هذا الموضوع؛ غير أنّ الاعتماد على القليل مما ذكرته النصوص الأوغاريتية، في سياق الملاحم الخاصة بالطّقوس والاحتفالات الدينية، قد يغطّي جزءاً من اهتماماتنا، لمعالجته. ذلك أنّ الفينيقيين

خصصوا لاحتفالاتم المرتبطة، كما قلنا، في أغلب الأحيان بالمناسبات الدينية، تظاهرات فنية، للتعبير عن مشاعرهم العقائدية، فكان الغناء من أهم أشكال التظاهرات، وعد طقساً من الطّقوس التي كانت تقام في عدة مناسبات.

ففي عودة البعل إلى الحياة، كانت تقام احتفالات ملؤها الأهازيج، والأغاني العذبة، ونستدلّ على ذلك بعبارات وردت في ملحمة البعل وعناة، هي:

30- مثلما يعود البعل إلى الحياة ومثلما يولمون له.

31- ويقدمون له الشراب، ويهزجون ويغنون له.

32- أعذب الغناء. [1]

وقد تحدثنا في الفصل السابق، عن أغنية الظّفر لعناة، والتي صيغت في أسلوب شعري مصحوب بنغمات صوتية عرفت بالتراتيل، أي أنها تصدر لحناً وهي تردد تلك النغمات[2].

كما تذكر النصوص الأوغاريتية بأنّ البعل كان يغني في إحدى الحفلات، وتشيد بصوته الرنان المتبوع بنغمات موسيقية ناجمة عن آلة الصنوج الإيقاعية، والمصنوعة من المعدن، إذ نقرأ في ذلك العبارات الآتية:

18- ثمّ قام يرتجل ويغني.

19- والصنوج بيديه، نغماً

20- جميلاً غنى فتى حسن الصوت.[3]

ولم يكن الغناء فقط للمناسبات السارة، إذ تذكر بعض المراجع أنّ عمليات التضحية بالأبناء التي عهدها الفينيقيون كانت ترفق بنغمات موسيقية من بداية العملية وإلى ايتها[4].

---

[1]- أسطورة أقهات بن دانيال، اللوحة الأولى، العمود السادس، الأسطر30-32، نقلاً عن أنيس فريحة، المرجع السابق، ص311.

[2]- أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص232.

[3]- ملحمة البعل وعناة، النص السابع ، العمود الأول، الأسطر18-20 ، نقلا عن أنيس فريحة، نفسه، ص190.

[4]- M. S. Munk, op. cit, p 91.

هذا، وقد أولى الفينيقيون الصوت الغنائي الجميل والحسن أهمّية، إذ كان يتم انتقاء ذوي الأصوات العذبة لأداء الأغاني المهيأة للمناسبات، وعرف هؤلاء بالمغنين أو الفنانين المختصين في الغناء. حيث ذكر ذلك في النصوص الأوغاريتية، عندما شبهت المغنيات اللائي جئن لإحياء حفلة في قصر دانيال، بمناسبة وعد إيل له بأن يرزقه طفلاً ، بقطيع السنونوات ذوات الأصوات المغردة والجميلة، ووصفن بالقيان (مفردها قينة) ، والكاشرات، وهما كلمتان تعنيان فنانات مختصات في الغناء؛ كما وصفن أيضاً ببنات **الهلال**، وهنا نتوقف لنتبين معنى الكلمة هلال، والمقصود ا، فنجدها واردة في النص بصيغة " هـ ل ل" من جذر " هـ ل" الذي معناه رفع الصوت في الغناء، ومن ثمّة اشتقّت كلمة **التهليل** المستعملة للدلالة على المعنى المذكور[1]، حسب أنيس فريحة. ونقرأ في نص الملحمة العبارات الدالة على ما قلناه:

26- ثمّ جاءت بيته القيان، بنات

27- الهلال، الشبيهات بالسنونو...

....

30- أولم وليمة للقيان

31- وقدم شراباً لذوات الأصوات الشجية " السنونو". [2]

وكان للفن الغنائي الديني الفينيقي نظام خاص، حيث تشكّلت في المعابد فرق موسيقية منتظمة ومختصة عرفت بـ **الجوقة،** التي كان أعضاؤها من الكهنة ورجال المعبد، وأشرف على الفرقة رئيس، هو رئيس الجوقة الذي يقودها ويوجه لها التعليمات أثناء الاحتفال الذي كان يوجد به راقصون، وممثّلون [3].

وقد عدت ملحمة **مولد الآلهة الجميلة والوسيمة** مثالاً للدراما الفصلية التي انتظمت في مسرح فينيقي، وضمت الجوقة الدينية للاحتفال بالطّقوس الدينية المتعلّة بالفصول، كما هي العادة عند الفينيقين[4]؛ وليس

1- أنيس فريحة، المرجع السابق، ص311.

2- أسطورة أقهات بن دانيال، اللوحة الأولى، العمود الثاني، الأسطر26-31، نقلا عن أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص304.

3- أنيس فريحة، نفسه، ص87-88.

4- نفسه، ص95.

هذا فحسب، بل تمكّننا قراءة الملحمة من معرفة الوظائف التي تقلّدها أعضاء الجوقة، والتزموا ا، تبعاً للتعليمات التي يتلقّو ا من قائدهم، ومن تلك التعليمات نجد: الإشعار ببداية الغناء، أو التوقف عنه، وإطلاع المغنين على مواضع التكرار في عبارات الأغاني، وهذا ما يعرف بـ **اللازمة** أو **القرار**[1].

ونقرأ في ذلك، عبارات من ملحمة مولد الآلهة الجميلة والوسيمة، تؤكّد ما ذكرناه، ففي السطر السابع من الملحمة ترد العبارة:

7- ليكن سلام لك أيها الملك، سلام أيتها الملكة والشيوخ والمرددون. [2]

وفي الملحمة ذكر لوجود العازفين على الآلات الموسيقية، وتحديداً آلة العود، التي نقرأها في السطر الثاني عشر، في سياق التعليمات التي كان يصدرها رئيس الجوقة آمراً العازفين على آلة العود الوترية، بأن يعزفوا سبع مرات، ثمّ يتوجه بتعليمة أخرى إلى الكهنة، أو المغنين، ليرددوا اللازمة سبع مرات، متبعين في ذلك النغمات المعزوفة على الآلة:

12- سبع مرات يعزف على ضرب العود، والشيوخ الشمامسة يجيبون. [3]

2) انتهاج النظام الفينيقي في **الغناء العبراني:** ابتهل العبرانيون إلى ربهم في المناسبات الدينية وفق طقوس معينة، منها التراتيل الشعرية، المحفوظة في مزامير العهد القديم، وأسفاره، وقد مر بنا هذا في الفصل السابق. وكانت التراتيل تؤدى بأصوات وألحان شجية عرفت بـ **التراكت**، أو **التهليلة،** التي هي نوع من الغناء الذي يؤدى بإصدار صوت عالٍ دون الكلام، وهو أشبه بما يعرف لدينا بالزغاريد، أو الولولة، وتعد التهليلة عنصراً ضرورياً في الغناء الديني العبراني، لما تحدثه من تناسق بين الشعر واللحن[4]. وقد رأينا هذا النوع من الغناء عند الفينيقيين.

---

[1]- لا يزال هذا النوع معروفاً في أداء الأناشيد الدينية المسيحية، - أنظر، أنيس فريحة، المرجع السابق، ص301.

[2]- ملحمة مولد اللآلهة الجميلة والوسيمة، السطر ال07، نقلاً عن أنيس فريحة، المرجع نفسه، ص301.

[3]- محمة مولد الآلهة الجميلة والوسيمة، السطر 12، نقلاً عن أنيس فريحة، ص301.

[4]- هوجولا يختنتريت، **الموسيقى والحضارة،** ترجمة، أحمد حمدي محمود، مراجعة، حسين فوزي، (مصر: الدار القومي، 1964م)، ص69، 73، 78.

ولم يكن الغناء والموسيقى لدى العبرانيين، طقساً دينياً فحسب، بل كان علاجاً لذوي النفوس العليلة، إذ أصيب الملك العبراني شاوول بإرهاق نفسي، وصرع، فعالجه النبي داود بما كان يتميز به من صوت شجي، ومن إجادة العزف على آلة القيثارة[1].

أما النظام المتبع في الغناء الديني العبراني، فلم يكن يختلف عما ذكرناه بالنسبة إلى النظام المنتهج لدى الفينيقيين من حيث تعيين فرقة مختصة من الكهنة يشرف عليها قائد؛ فقد قسم النبي داود الوظائف بين أعضاء الفرقة الذين كان جلّهم من سبط لاوي (ذكرنا في السابق، أنّ اللاويين هم الذين تولّوا اعمال الكهنوت)، حيث منح القيادة لآساف وأشار إليه بالضرب على آلة الصنوج، وأمر كاهنان بالمكوث أمام تابوت العهد لينفخا في الأبواق، وباقي الكهنة كان لهم أمر العزف على مختلف الآلات، كالرباب، والعيدان، وهذا ما ذكره الإصحاح السادس عشر من سفر أخبار الأيام الاول:" **وجعلَ أمام تابوتِ الرب ِمن اللاويين خدام ولأجل التذْكِير والشكْر وتسبِيح الرب ِإلَهِ ِإسرائِيلَ. آساف الرأس وزكَريا ثَانِيه ويعِيئِيلَ وشمِيراموثَ ويحِيئِيلَ ومتثْيا وأَلِيآب وبنايا وعوبِيد أَدوم ويعِيئِيلَ ِبآلاَتِ رباب ٍ وعِيدانٍ. وكَانَ آساف يصوت ِبالصنوجِ. وبنايا ويحزِئيلُ الْكَاهِنان ِبالأبواق داِئما أمام تابوتِ عهدِ اللهِ..."**[2].

وكان الأسلوب المنتهج في الغناء العبراني، على نوعين هما: **الأسلوب التجاوبي** أو**الترددادي** *Responsoria* ، وهو الذي عرفناه لدى الفينيقيين بالقرار أو باللازمة، إذ يعتمد في هذا النوع على تكرار مقاطع من الأغنية بأمر من قائد الفرقة؛ والأسلوب الثاني هو **الأسلوب التقابلي** *Antiphonie*، الذي يتلخص في تقسيم الـموعة الصوتية إلى فريقين، أحدهما يغني مقطوعة، والآخر يرد عليه بالمقابل[3]، وقد أشير إلى هذا النوع في ملحمة مولد الآلهة الجميلة والوسيمة، في عبارة:**"...والشيوخ الشمامسة يجيبون..."**.

هذا، وقد أشار العهد القديم إلى أنّ الرقص كان يمارس أثناء الاحتفالات، ومثال ذلك أنّ النبي داود

1- أحمد عبد الرزاق مصطفى، المرجع السابق، ص44؛ محمد عزة دروزة، المرجع السابق، ص141-142؛ Encyclopédie Larousse Méthodique, p225.

2- العهد القديم، 1أخبار: 16/ 4-6.

3- هوجولا يختنتريت، المرجع السابق، ص72،61.

كان يرقص في احتفال أقيم بمناسبة إدخال تابوت العهد إلى الخيمة، حيث ذكر الإصحاح السادس من سفر صموئيل الثاني ما ملخصه:"**...فَذَهب داود وأصعد تابوت اللهِ مِن بيتِ عوبيد أدوم إلى مدِينةِ داود بِفَرحٍ...وكانَ داود يرقُص بِكُل قُوتِهِ أمام الرب...**" [1]. وقد لاحظنا أنّ الفينيقيين كانوا يرقصون أيضاً عندما يقيمون حفلاتهم، بدليل وجود الراقصات في بيت كارت ملك الصيدونيين، وبقرينة ما تذكره النصوص الأوغاريتية، في عدة مناسبات.

3) الآلات الموسيقية: سبق أن ذكرنا أنّ الغناء الفينيقي والعبراني، على حد سواء، كانا يرفقان بنغمات وألحان تصدرها آلات موسيقية.

أما عن آلات الموسيقى التي استعملها الفينيقيون، فمن المؤسف أنّ المصادر الأدبية والمادية المتعلّقة بهذا الشأن، نادرة جداً؛ وربما تفيدنا الأبحاث القليلة لمعرفة أنواع تلك الآلات.

فقد عثر الأثريون في مناطق مختلفة من المدن الفينيقية، والكنعانية، على مجموعة من الآلات الموسيقية ترجع إلى فترة ما قبل القرن العاشر قبل الميلاد، منها قيثارة ملكية وجدت بمدينة جبيل[2]،ومنها أيضاً صنوج صغير، وقيثارة، وناي، ومزمار، وعود، ودف، بمناطق مختلفة، وكلّها ترجع إلى القرن الرابع عشرقبل الميلاد، وقد تعرضت هذه الآلات إلى التلف بشكل لايسمح بحفظها في صورة مواتية؛ أما في مدينة مجدو فقد عثر على قطعة عاجية منحوتة على شكل مغن عازف على آلة القيثارة، وهي ترجع إلى القرن الثاني عشر أو القرن الثالث عشر قبل الميلاد[3].

نتبين مما ذكر بأنّ الفينيقيين عرفوا استخدام الآلات الموسيقية، على أنواعها النفخية، والإيقاعية، والوترية، منذ فترة مبكّرة، وقد برزت الكنارة، أو القيثارة، أو العود في طليعة تلك الآلات، التي لا يعرف لها شكل على وجه التحديد، سوى أنها آلة مشكّلة من اثني عشر وتراً، ويعزف عليها بالأصابع[4].

1- العهد القديم، 2صمو: 12/6-14.

2- جان مازيل، المرجع السابق، ص44؛ - أنظر الملحق رقم26، ص179

3- فيليب حتي، المرجع السابق، ص96.

4- M. S. Munk, op.cit, p455.

ويمكننا الاستدلال على ما ذكرناه آنفاً، بالاحتفالات الغنائية الفينيقية التي ترافقت والمعازف الناجمة عن الآلات السالف ذكرها، وهي الصنوج الذي كان بيد البعل وهو يغني، حسب ما جاء في الملحمة، والعود الوارد ذكره أيضاً في الملحمة.

وأما بالنسبة إلى العبرانيين، فقد ذكرت نصوص العهد القديم، بكثير من التفصيل، في سياق الحديث عن تنظيم الاحتفالات، مجموعة كبيرة من الآلات الموسيقية، بأنواعها المختلفة، فالإيقاعية، نجدها ممثلة في الدف، والصنوج، والنفخية ممثلة في البوق، والوترية مثل العيدان (الكنارات)، والرباب [1].

ويمكننا قراءة ذلك في سفر أخبار الأيام الأول:" **وأمر داود رؤساءَ اللاويين أنْ يوقِفُوا إِخوتهم الْمغنين ِبآلاتِ غِناءٍ ِبعِيدانٍ وربابٍ وصنوجٍ مسمِعِين ِبرفْعِ الصوتِ ِبفَرحٍ...ووالْمُغنونَ هيمانُ وآساف وإِيثَانُ ِبصنوجٍ مِن نحاسٍ ِللتسمِيعِ. وزكَريا و...وبنايا ِبالربابِ على الْجوابِ. ومتثْيِا و...وعزريا ِبالْعِيدان على الْقَرارِ ِللْإِمامةِ...وزكَريا وبنايا وأَلِيعزر الْكَهنةُ ينفُخونَ ِبالْأبواق أمام تابوتِ اللهِ...**"[2].

نصل في نهاية هذا المبحث إلى تأكيد ما قاله الباحث الألماني، هوجولا يختنتريت، في كتابه **الموسيقى والحضارة**، بخصوص دور الفينيقيين في نقل الفن الموسيقي والغنائي الديني إلى الطّقوس الدينية العبرانية، التي طورته في فترات لاحقة، وبات لها تأثير قوي في الموسيقى الدينية للكنيسة المسيحية المعاصرة، وفق ما يعرف بالموسيقى الغرغوريانية، وأناشيدها، التي اقتبست نظام الطّقوس من المعابد العبرانية، ونظمها بفضل قواعد الموسيقى الإغريقية، التي طورت الفنون التي وجدتا في بلاد كنعان إبان الفترة الهللينية[3].

ومن الواضح أنّ أهم عامل اشترك فيه العبرانيون والفينيقيون، هو ربط الفنون الغنائية، والموسيقية بالطّقوس الدينية أكثر من أي مجال آخر، والدليل على ذلك اختصاص كهنة المعابد في أمور الغناء

1- العهد القديم، 1أخبار:15/ 16-23؛ -أنظر الملحق رقم27، ص180.

2- M. S. Munk, op.cit, pp 454-450.

3- هوجولا يختنتريت، المرجع السابق، ص57، 65.

والعزف.

كما أنّ الأدوات الموسيقية التي اعتمد عليها الفينيقيون، هي نفسها التي وجدناها عند العبرانيين، وأصبحت الآن من المنجزات الحضارية المنسوبة إليهم، والتي يرجع إليها الفضل في تطوير الموسيقى العالمية، ولا سيما منها، الموسيقى الدينية المعتمدة في الكنائس المسيحية المعاصرة.

واشترك العبرانيون مع الفينيقيين، في تنظيم المجموعات الغنائية، ووضع قواعد راسخة لتهذيب فن الغناء، وقد بات هو الآخر معتمَداً في الكنائس المعاصرة في أيامنا هذه.

أما خلاصة هذ الفصل، فتتمحور حول نتيجة أساسية، مفادها أنّ العبرانيين، لم يشتركوا مع الفينيقيين في شؤونهم الفنية، بل أخذوا عنهم مظاهر تلك الفنون، لأنّ الواضح، كما لاحظنا، أنهم لم يسهموا فيها بشيء، فقط ظلّوا يقتبسون من الفينيقيين فنونهم، مستغلّين فرصة حسن العلاقات الدبلوماسية بين حكامهما، خاصة منذ مطلع القرن العاشر قبل الميلاد، التي فتحت المجال أمام الصلات الفنية، وبالتالي كان من نتائج تلك الصلات الاعتماد العبراني الكلّي على فنون الفينيقيين العمرانية، والتطبيقية، والوجدانية التي أوردناها في إطار الفنون الموسيقية والغنائية.

أسفرت دراستنا للروابط الفكرية الفينيقية- العبرانية عن جملة من النتائج نلخصها في الفقرات الموالية:

* تطلّبت دراسة تاريخ المنطقة الكنعانية، وخاصة مجالات الفكر، الالتفات إلى مصادر استخلاصها، وتحليلها عن طريق الاستناد إلى الأبحاث الأثرية التي من شأ ا التأكيد على صحة أو عدم صحة المضامين الواردة في تلك المصادر، وبالتالي تكتسب الدراسات التاريخية صدقية أكثر بوجود الدراسات الأثرية؛ وهذا ما لاحظناه في بحثنا، الذي بات الغموض يكتنف معطياته، بسبب التناقضات التي وردت في المدونات الأدبية، وخاصة كتب العهد القديم، لولا الكشوفات الأثرية التي عثر عليها في تل رأس الشمرا.

* ضمت الرقعة الجغرافية الكنعانية، كلا من الشعبين الفينيقي والعبراني، بعد أن قدما إليها في فترات زمنية متباينة؛ وقد أدى التقارب الجغرافي، بل الوحدة الجغرافية بينهما، إلى اشتراكهما في الأحداث التاريخية التي ميزت المنطقة، وكانت ذات تأثير واحد في مصير كلّ منهما. كما قامت بين الطرفين علاقات سياسية، واقتصادية، واجتماعية، تبلورت في فترة حكم النبيين داود وسليمان، بإبرامهما معاهدات مع الملك الصوري الفينيقي حيرام الأول، وذلك في القرن العاشر قبل الميلاد.

* حاد العبرانيون عن ديانتهم ذات الأصل التوحيدي، بسبب انسياقهم وراء المعتقدات الوثنية، بشكل عام، والفينيقية، بشكل خاص؛ ولمّا كانت هذه الأخيرة مرتبطة بطبيعة أرض كنعان ومظاهرها، فقد مال الفكر العبراني العقائدي إلى هذه الناحية، وتغيرت نظرة العبرانيين تجاه إلههم؛ كما حيكت أفكارهم في شكل أساطير فينيقية الطّراز، ومورست طقوسهم الدينية على النمط الفينيقي، مما سمح لنا بالقول باندماجهم في المعتقدات الوثنية الفينيقية، وهذا ما أثبتته الدراسات التاريخية، بعد فك رموز نصوص رأس الشمرا.

* تحدث العبرانيون بلغة نسبت إليهم، وهي اللغة العبرية، لكنها كانت فرعا من فروع اللغة السامية، التي نتجت عنها أيضاً اللغة الكنعانية التي تحدث ا الفينيقيون، وعرفت باللغة الفينيقية، فيكون الاشتراك بين لغة العبرانيين، ولغة الفينيقيين، في الأصل السامي، من دلائل العلاقات اللغوية بينهما. هذا، وقد دون العبرانيون كتاباتم بالخطّ العبري الذي عد فينيقي المصدر، بحكم تفرع كلّ الخطوط عن الحروف الأبجدية الفينيقية، وهو أمر لا يختلف فيه باحثان. كما حذا أهم نتاج أدبي للعبرانيين، وهو أسفار العهد القديم، حذو النصوص الأوغاريتية، وهي النتاج الأدبي الفينيقي، من حيث الأسلوب، والشكل والمضمون، وهذا ما تبيناه خلال النماذج التي تناولناها للمقارنة بين الأدبين الفينيقي والعبراني، وهنا يبدو التأثر العبراني بالآداب الفينيقية لغة، وكتابة، وأسلوباً واضحاً.

* اعتمد العبرانيون في فنو م الجمالية، والتطبيقية، اعتماداً كلّياً على الفنون الفينيقية، إذ تبين لنا كيف كانو يلجأون في تشييد مبانيهم المدنية والدينية على الفنانين الفينيقيين، والأدوات الفينيقية، لجهلهم ذه الأمور، وقد ضربنا المثل في ذلك، يكل النبي سليمان وقصره، مستشهدين بما جاء في أسفار العهد القديم. أما بالنسبة إلى الفنون الحسية، فقد تبين من خلال إجرائنا لبعض المقارنات بين أساليب الغناء، وفنون الموسيقى التي التزم ا كلّ من الفينيقيين والعبرانيين بأنّ التنظيم المعتمد في سبيل ذلك كان موحداً، كما أنّ الهدف المتوخى من فنون الموسيقى والغناء كان هدفاً دينيا بالنسبة إلى الطرفين.

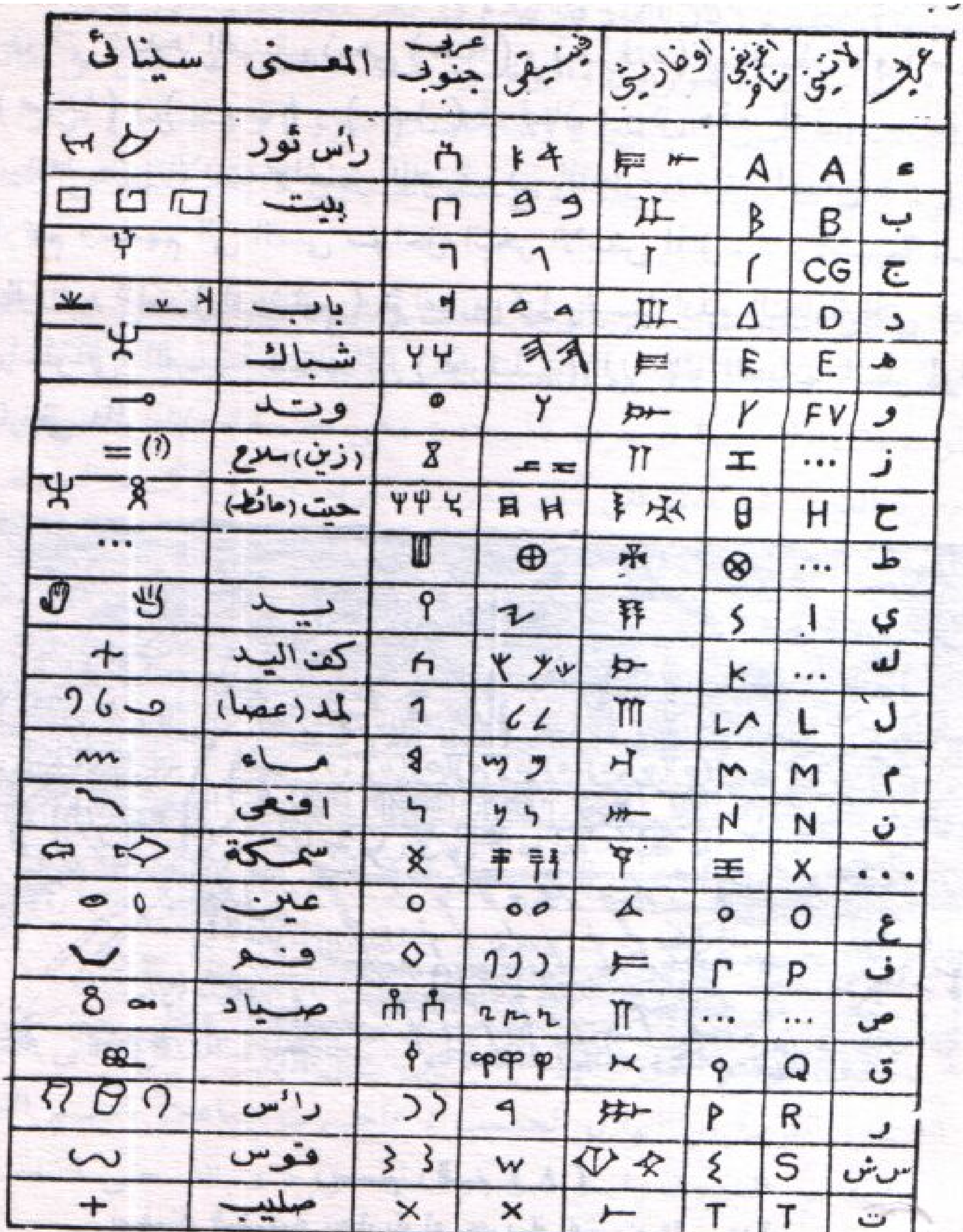
* كان ارتباط العبرانيين بالفينيقيين، على مستوى الفكر الديني، والأدبي، والفني أمراً مقضيا، بحكم التقارب الجغرافي، والتاريخي، ومن ثمّة كانت المصائر التي آل إليها كلاهما مشتركة،

في العصور اللاحقة، فنجدهما يخضعان لنفوذ القوى العالمية آنذاك، وينصهران في مظاهرها الحضارية، ونشير ـذا إلى الفترة الهللينية، التي طغى من خلالها الفكر اليوناني، وكان ذا تأثير في الفكر الفينيقي والعبراني على حد سواء، على الرغم من الاختلاف في طريقة الاندماج في تلك المظاهر.

* مثّلت الروابط الفكرية بين الفينيقيين والعبرانيين صورة مصغرة للواقع الحضاري الذي كان سائداً في العالم القديم، ألا وهو التأثيرات الحضارية بين الشعوب، فتصبح هذه الدراسة نموذجاً لدراسات العلاقات الفكرية بين شعوب العالم القديم.

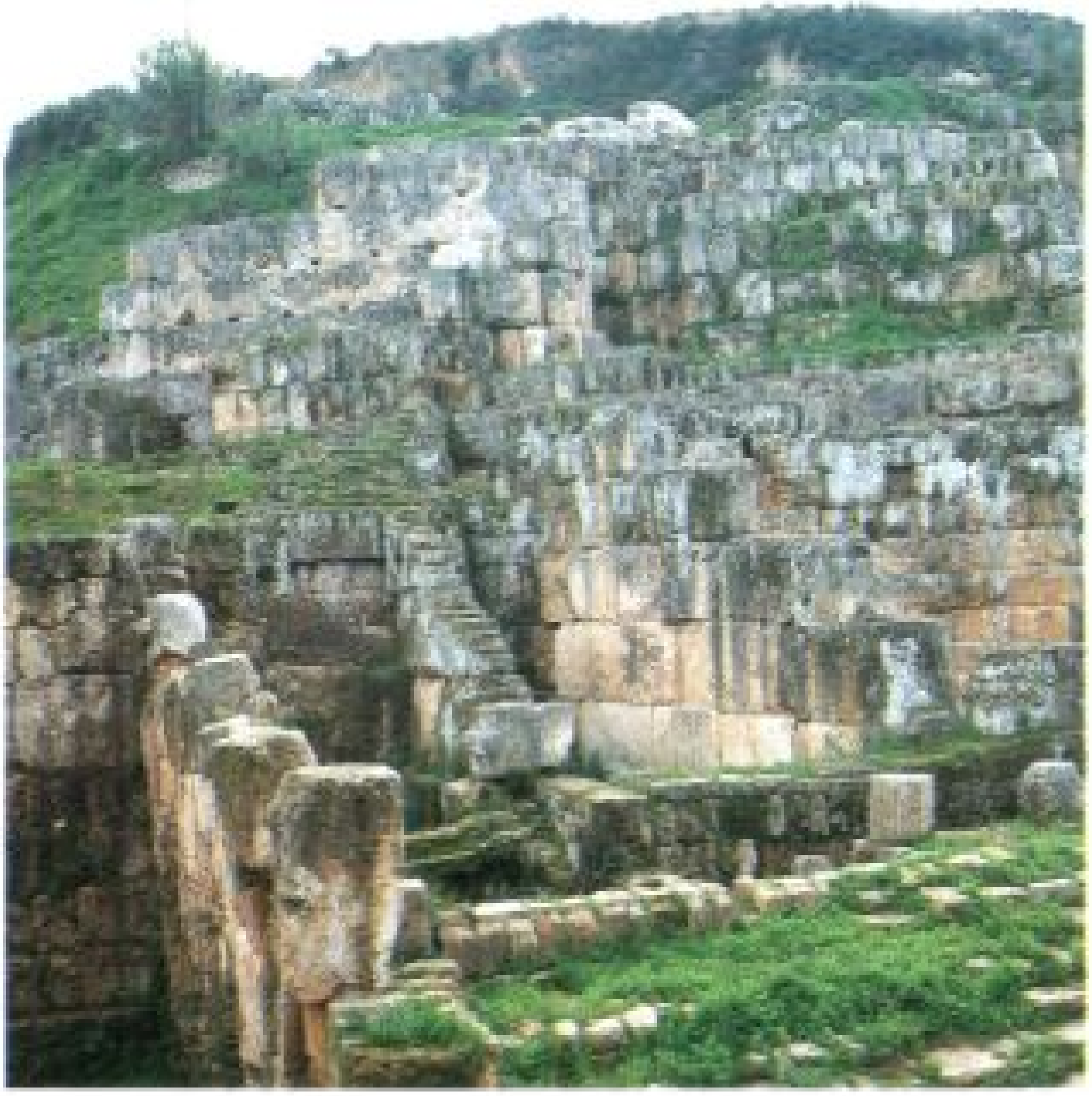
كان الوجود الحضاري العبراني في بلاد كنعان وجوداً شكليا، يعتمد في مظاهره على الإسهامات الكنعانية الفينيقية، التي أثرت المنطقة بالفكر الحضاري؛ وهذا ما استخلصناه من هذه الدراسة ودعمناه ببعض الدراسات التاريخية والأثرية التي أحاطت ـذا الموضوع. ومن ثمّة يمكننا تفنيد ما قيل عن الدور الحضاري العبراني في بلاد كنعان، وإن وجد هذا الدور فهو تطوير لما اقتبسوه من المظاهر الحضارية وفق ما يناسبهم.

ونكون ـذه الاستنتاجات قد حاولنا الاجابة عن الإشكالية التي طرحناها في بداية بحثنا، ولو بجزء يسير، ويبقى مجال البحث مفتوحاً في هذا المضمار، طالما لا تزال بعض القضايا تحتاج إلى الدراسة والتمحيص، ولن يحدث ذلك بالاعتماد على الدراسات التاريخية دون ربطها بالشواهد الأثرية التي يتم استنطاقها بفضل المختصين الأثريين.



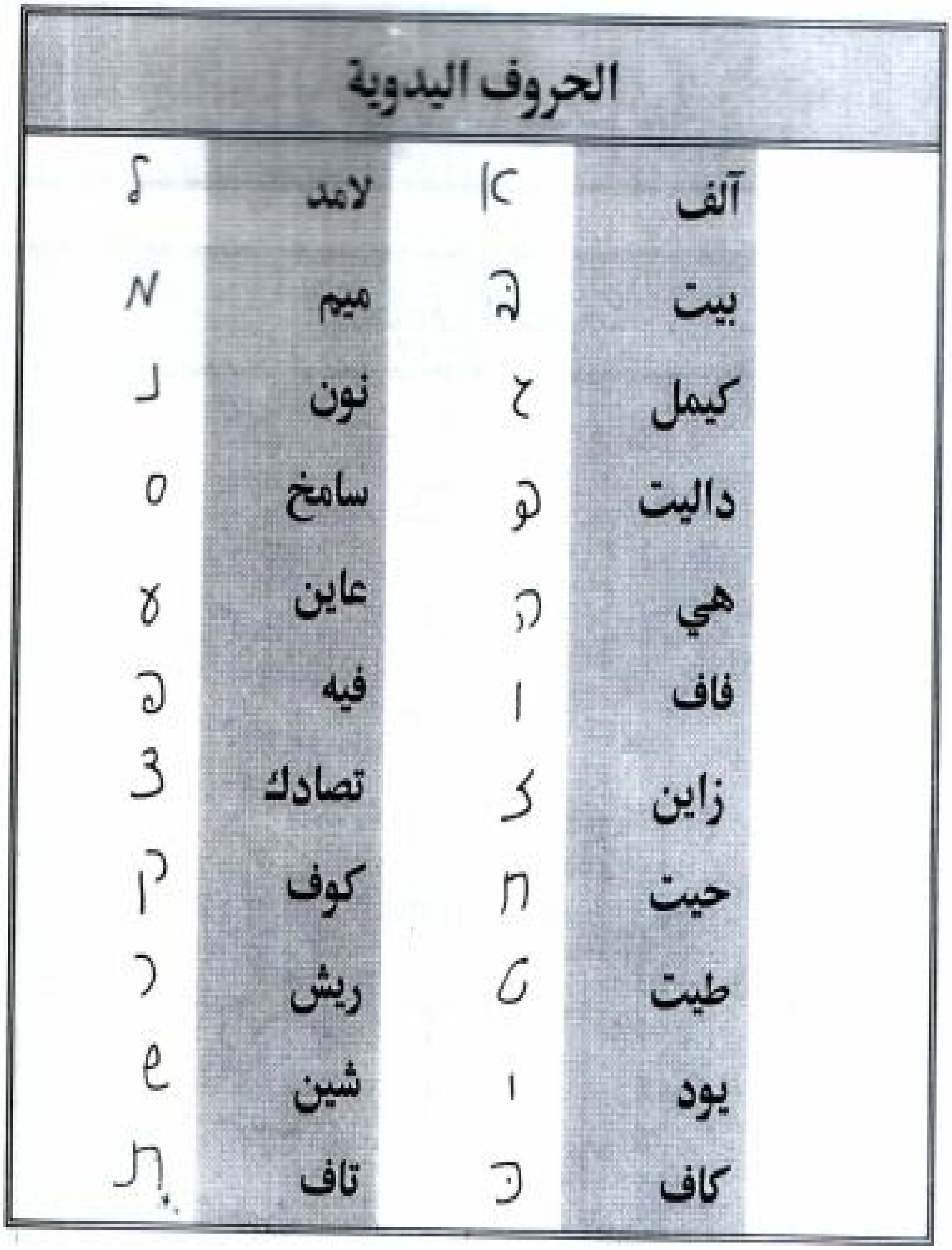
عربي
لاتيني
اغريقي
أوغاريتي
فينيقي
عربي جنوبي
المعنى
سينائي
ء A A رأس ثور
ب B بيت
ج CG
د D Δ باب
هـ E شباك
و FV وتد
ز ... (زين) سلاح
ح H حيت (حائط)
ط ... ⊗ ...
ي I يد
ك ... K كف اليد
ل L مد (عصا)
م M ماء
ن N N افعى
... X سمكة
ع O عين
ف P فم
ص ... ... صياد
ق Q
ر R P رأس
س ش S قوس
ت T T صليب +

الملحق رقم16:منظر عام لمعبد أشمون.



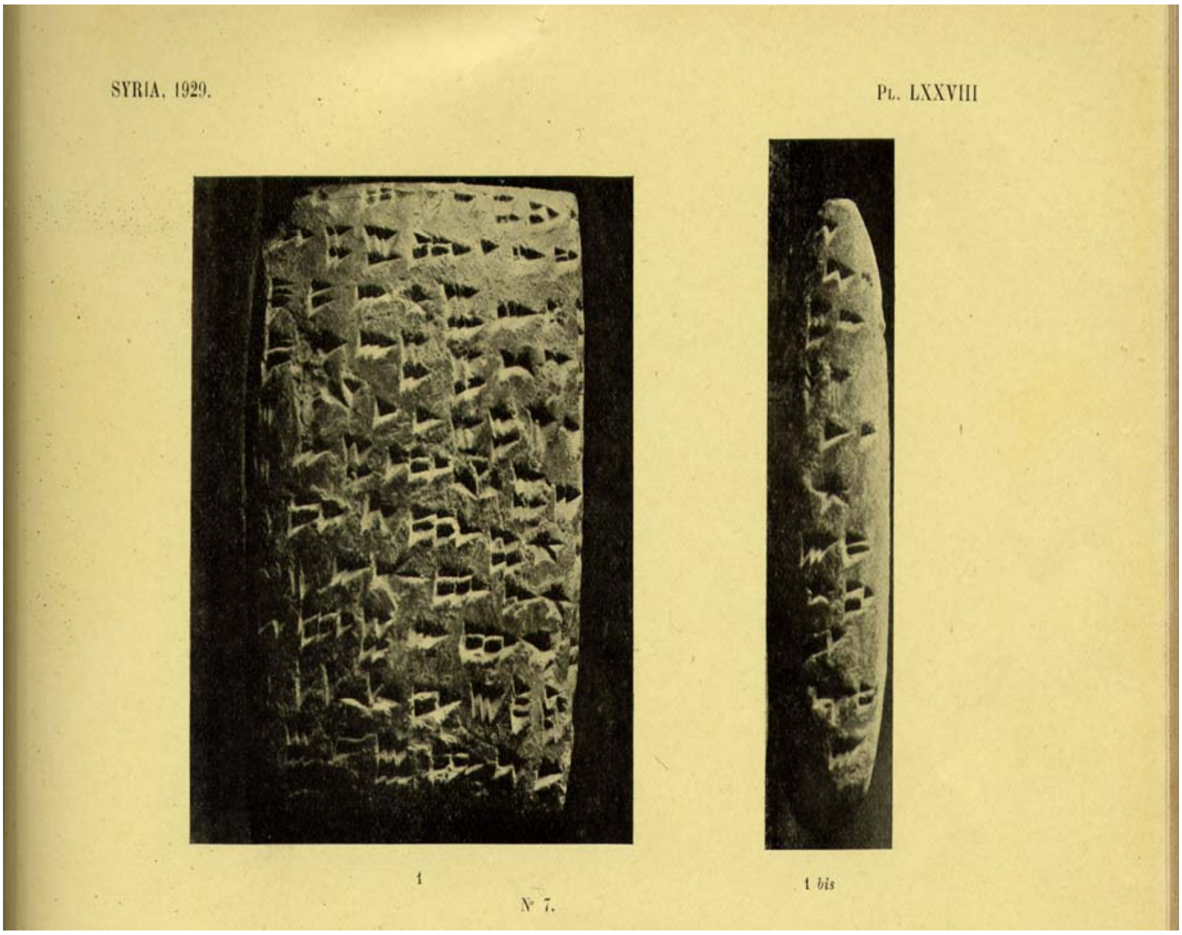
المرجع، حسان سلامة سركيس، نفسه.

الملحق رقم 12: الحروف العبرية القديمة. (2)



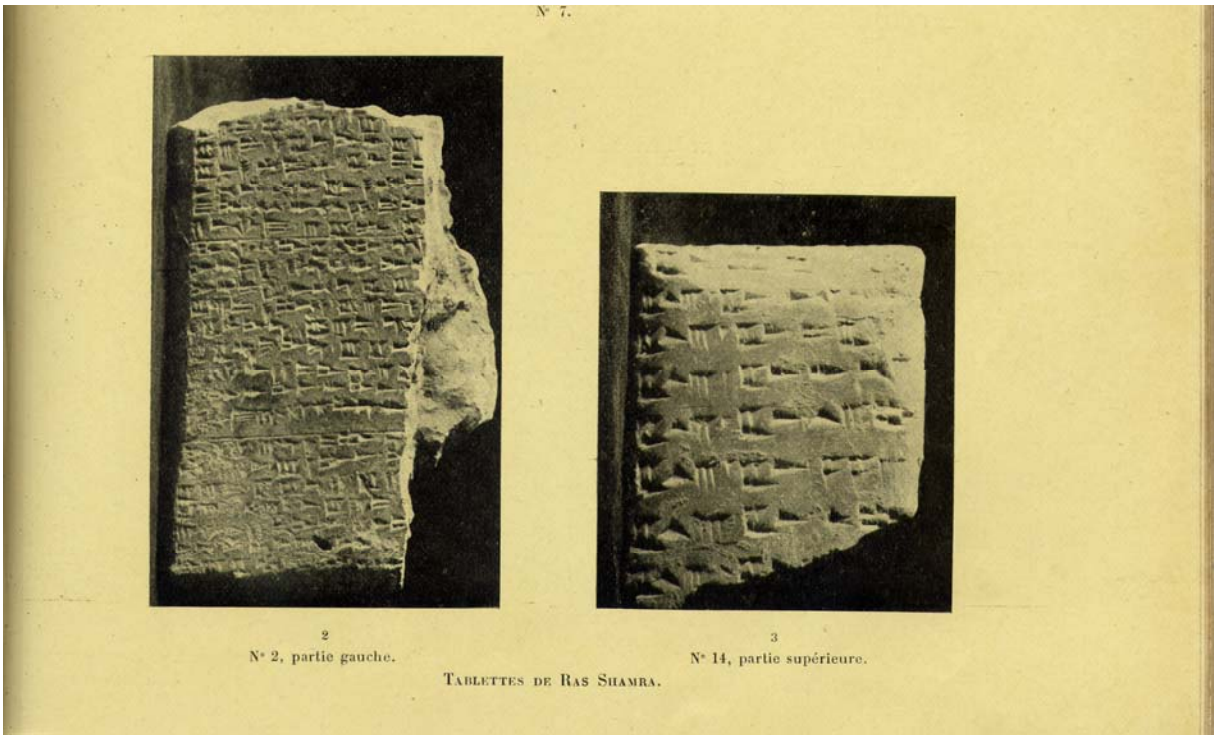
المرجع: كميليا أبو جبل، ص7.

الملحق رقم 1: نماذج عن الألواح الأوغاريتية المكتشفة في سنة1929م.(1)



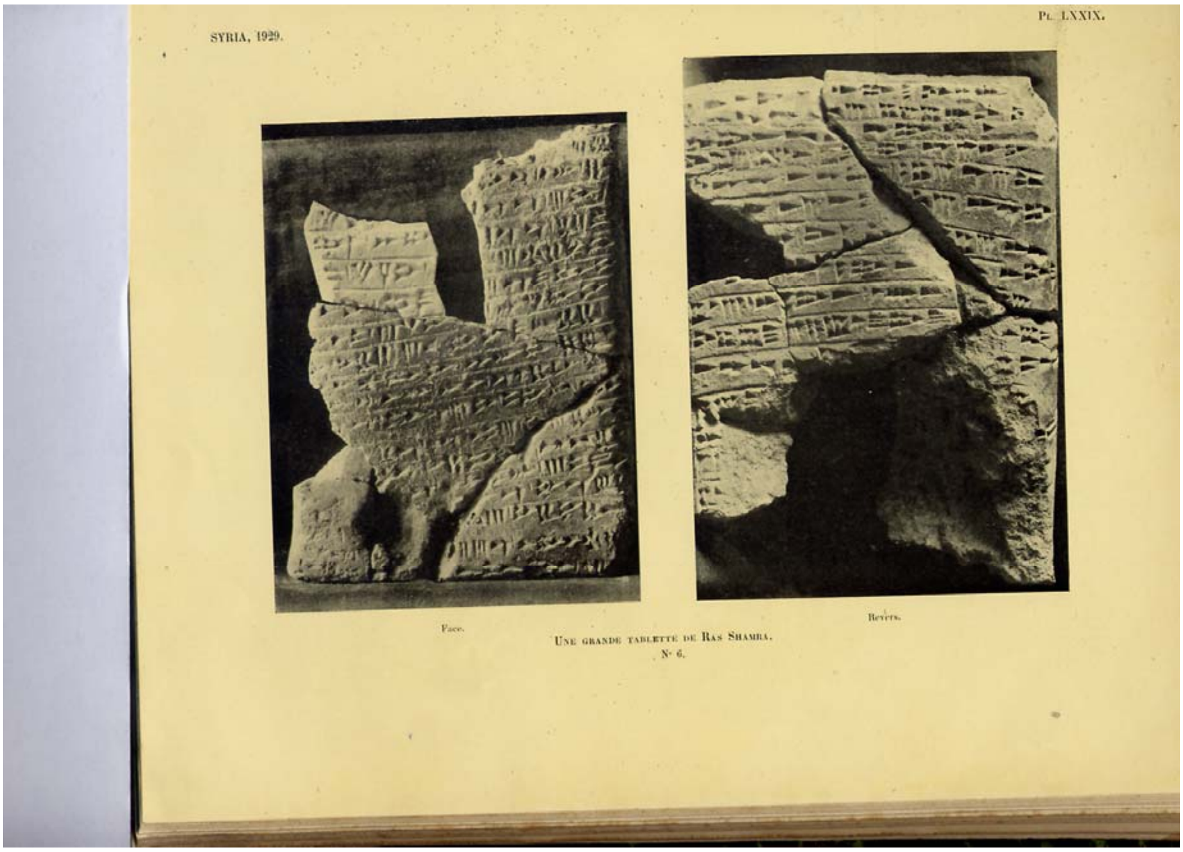
المرجع: *Syria* 1929,T 10.

الملحق رقم 2: نماذج عن الألواح الأوغاريتية المكتشفة في سنة1929م.(2)

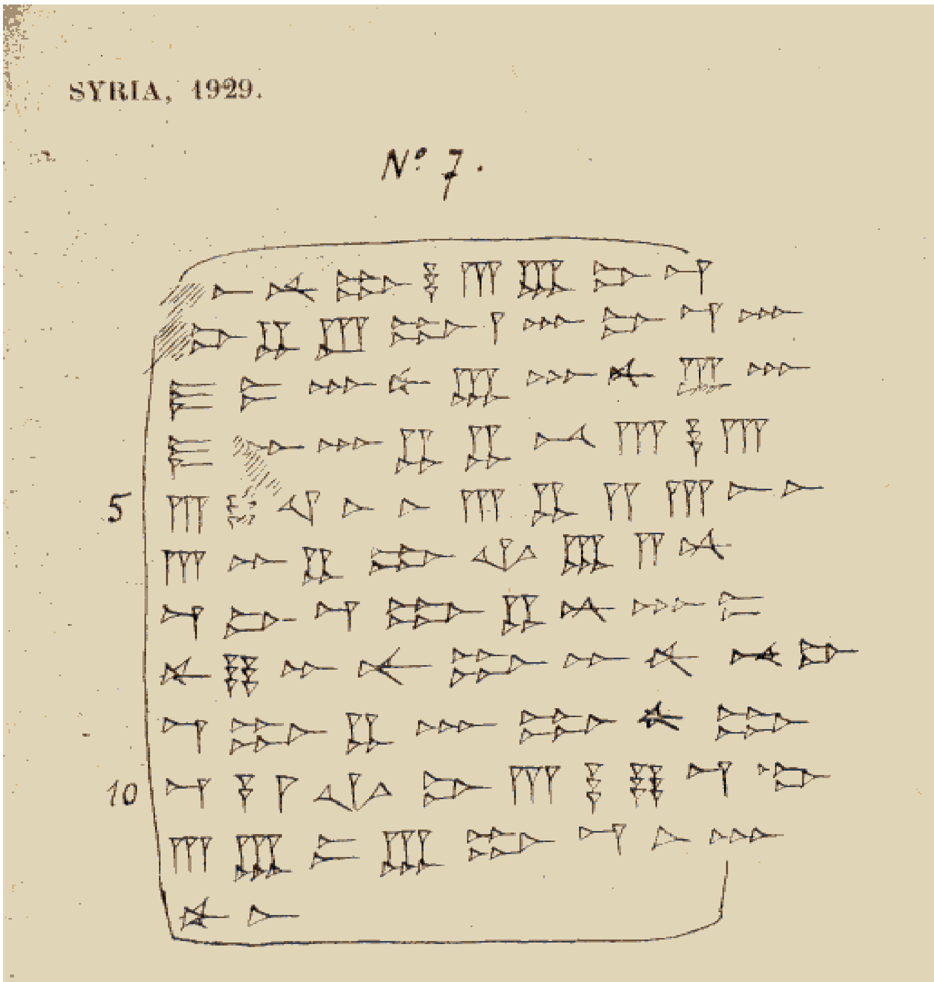


المرجع : op. Cit,

الملحق رقم 3: نماذج عن الألواح الأوغاريتية المكتشفة في سنة1929م.(3)



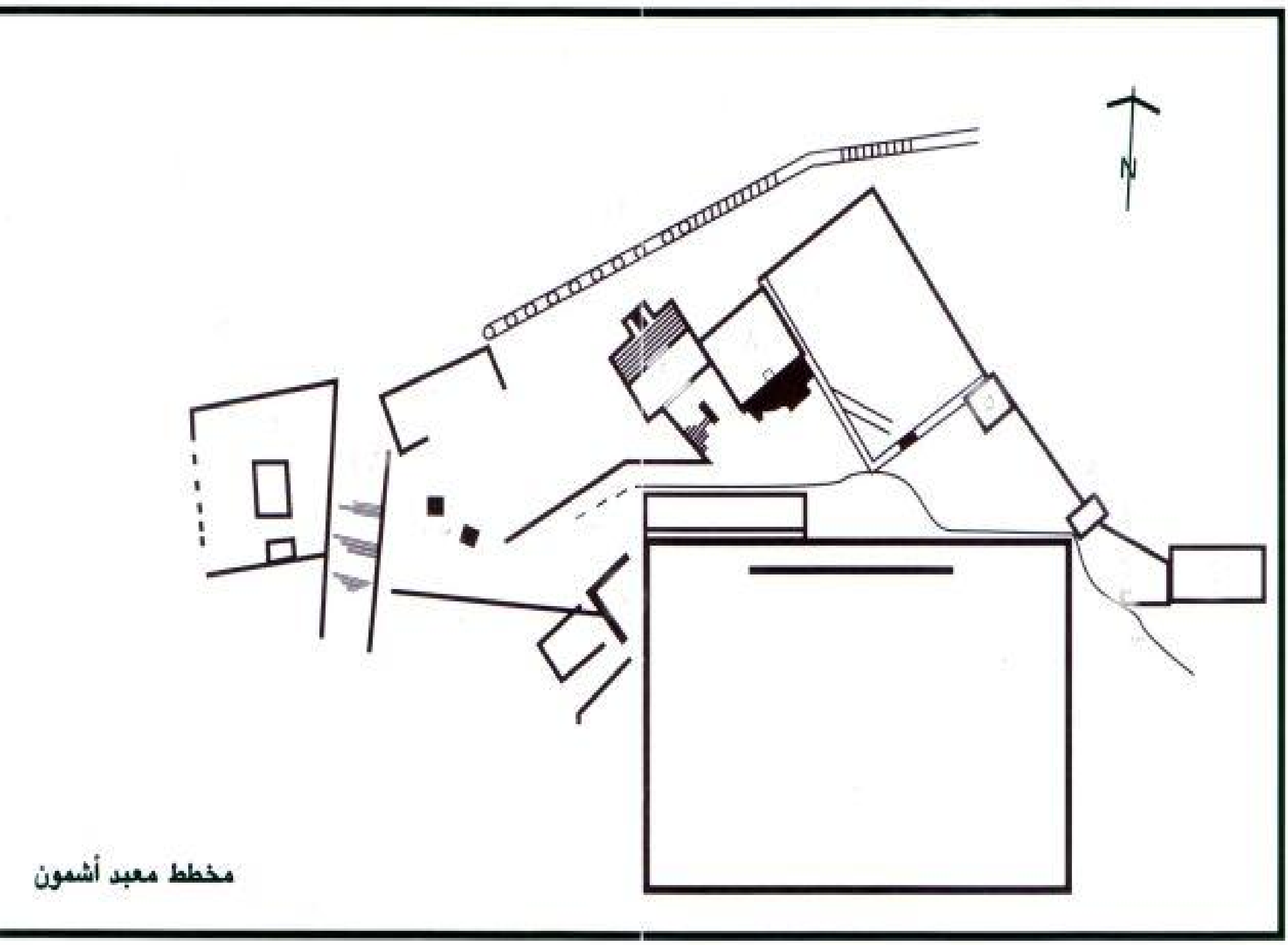
المرجع: . op. Cit.



المرجع: Syria, 1929..

1- مصطبة العصر البابلي(القرن السادس ق م)

7- بركة وعرش عشتروت.



2- مصطبة العصر الفارسي (القرن الخامس ق م).

3 - قنوات جر المياه

4- بركة غسل.

5- برك غسل.

6 - معبد من القرن الثالث ق م.

8- مدرج وبركة غسل.

9- بركة غسل.

10- مقام به تاج عمود مزين بمقدمات ثيران.

- أ -

- ب-

- ت / ث -

- ج/ح/خ -

- د/ذ -

- س/ ش -

- را ز -

- ص/ ض -

- ع /غ -

- ف/ ق -

- ك -

-ل-

- م-

- ن-